

السحر

بين الحقيقة والخيال

تأليف

الدكتور أحمد بن ناصر بن محمد آل حمد

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾
صَدَقَ الله العَظِيم

[سورة البقرة]

السِّحْرُ

بين الحقيقة والخيال

بسم الله الرحمن الرحيم

حصل هذا على جائزة المدينة المنورة في مجال البحث العلمي لعام ١٤١٩هـ - فرع العلوم الشرعية، عن موضوع: "موقف الإسلام من السحر والشعوذة".

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ

الطبعة الثَّانية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩

طُبِعَ بموجب فسح إدارة شئون المصاحف
ومراقبة المطبوعات
رقم ١٤٠٩/ ٥/ ١٤٠/ ١٠/ ١٤٠٨/ ٥١٦٩١٩
وتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٤٠٨هـ

المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمِين، الرَّحمـنِ الرَّحِيم، مَالِكِ يَومِ الدِّينِ، والعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ، ولاَ عُدْوَانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمينَ.

وأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلَـهَ إلاَّ الله، وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، إِلَـه العَالمين، عَالِم الغَيْبِ والشَّهادَةِ العَزِيزِ الحَكِيْمِ، لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وهُو الغَنِيُّ الحَمِيدُ.

وأَشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه، خَاتَمِ الأَنْبياء والمُرْسَلِين، لاَ خَيْرَ إلاَّ دَلَّ الأُمْةَ عَليه، ولاَ شَر إلاَّ حَذَّرَهَا مِنْهُ. بَلَّغَ الرِّسَالَة، وأَدَّى الأَمَانَة، ونَصَحَ الأُمَّة، وجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِه، صَلَوات اللهِ وسَلاَمُهُ عَليهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِه ومَنْ تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقد راودَتِني فكرة الكِتَابَة في موضوعِ السحرِ مُنذ سنوات، وقد حالت دون شُرُوعِي فيه مَشاغل، وكُنتُ مُقْتَنِعًا بأحَقِّيَّتِهِ بالدِّراسة والتَّتَبعِ لأمورٍ كثيرة

منها: الاختلاف حول كونه حقيقة أَو خَيالاً عند القُدماءِ والمُحدَثين.

ومنها: كثرةُ أدعيائهِ، وانتشارهم في كثير من البقاع.

ومنها: تهاون كثير من المسلمين في أمر السحرة والتَّردد عليهم.

ومنها: الوقوف على حقيقة دعاوىٰ السَّحرة نفع المصابين، وقضاء حاجات المحتاجين، ومعرفة أحوال السائلين، ممَّا هو غيبٌ عن المخلوقين.

ومنها: أنني لم أَرَ كتابًا مستقلاً في الموضوع عالجه بالطريقة التي أنشُدُهَا.

وبعد أن يسَّر الله تعالى لي سنَة تفرغ عِلمي في هذا العام الدِّراسي (١٤٠٦هـ/ ١٤٠٧هـ)، خصَّصتُ جُزءًا من وقتي للعمل بهذا الموضوع ـ لأن لَديّ أعمالاً أخرى ـ، فوضعت خطته على نحو ما آمل كونه مفيدًا، محاولة للوصول إلى الهدف من الدراسة بأقصر طريق، مع التزام المنهج العلمي الصَّحيح في نظري: من العرض، ثم الاستدلال، ثم التحليل والمُناقشة، وإثارة التساؤل ومحاولة الإجابة فيما أُحبُّ لفت الانتباه إليه، ممَّا سيجده القاريء ـ إن شاء الله ـ في ثنايا هذا البحث.

وسأحاول ـ بإذن الله ـ عرض المسائل، والقضايا مجردة، وأعالجها من حيث هي، مع عدم إغفال ذكر القائلين بها؛ لأني لا أهدف بالدَّرجةِ الأولىٰ إلىٰ الدِّراسة المقارنة بِقدر ما يعنيني الرأي ومُعالجته، حيث رأيت في هذا اختصارًا لِلموضوع، وتحقيق الرأي في المسألة، وذِكْر أدِلَّتها، والجواب على ما يمكن أَن يَرِد عليها من اعتراض، هو مناقشة لمخالفها من غير أن يكون القائل غرضًا.

كما سأتناول ـ إن شاء الله تعالى ـ ماله علاقة بهذا الموضوع

بالبيان، حتَّى لا يلتبس بغيره ممَّا قد يُتَوهم مُشاركته له، أَو كونه جُزءًا منه، أو مماثلاً له، وبتجليته يُعرفُ الفرق بينه وبين آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وهو أمر لا يخفىٰ إلاَّ على من قَلَّتْ معرفته بالدِّين.

ولن أُلْقِي بالاً للقصصِ والروايات التي يُرددها المروجون للسَّحرة والمشعوذين، ويرونها حقائق دالَّة على صِدْقِ عَامِليها؛ لِكُونها دعاوىٰ غير مبنيّة على براهين وحقائق، إنَّما هِيَ خُزَعْبَلات وضلالات ينزه البَحْثُ العِلْمي عنها.

وسأحاول ـ إن شاء الله تعالى ـ تخريج كل مَا يَردُ مَعِي مِنْ حَديث، وأذْكرُ مواضعه مِنْ كُتبِ السُّنَّةِ، لِيَسْهُلَ رُجُوع القَارِيء إِليه لو احتاج إلى ذلك.

كما سأُتَرجم لِبعض الأعلام الوارد ذكرهم، ممَّن أتوقع الاحتياج إلى معرفتهم.

وسَأُعَرِّفُ بالفِرَقِ، والمصطلحاتِ، والألفاظ الواردة في ثنايا البحث، ممَّا تستدعيه الحال.

وقد وضعتُ خطةَ هذا الموضوع علىٰ النحو التَّالِي:

البابُ الأول: حَدُّ السِّحر.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحثُ الأول: تعريف السحر: لغةً واصطلاحًا.

المبحثُ الثَّاني: أقسامُ السِّحر.

المبحثُ الثَّالث: السِّحر حقيقة أو تخييل، وفيه سيأتي بعد تحرير محلِّ النِّزاع:

١ـ مذهب نُفاة حقيقة السحرِ، وأدلَّتهم، ومناقشتها.

٢ـ مذهب مُثْبِتي حقيقة السِّحر، وأدلَّتهم، ومناقشتها.

٣ـ تحقيق القولِ في السِّحر.

المبحثُ الرَّابع: حقيقة السِّحر، وفيه يكون الكلام على:

ـ الفعل المستطاع للسَّاحرِ.

ـ أثرُ السِّحر على الرَّسول ﷺ.

ـ الرَّدُّ على مُنكِري أثرِ السِّحر على الرسول ﷺ.

البابُ الثَّاني: أحكام السِّحر.

وتحت هذا الباب أربعة مباحث:

المبحثُ الأول: تعلم السِّحر وتعليمه.

المبحثُ الثَّاني: حكم السَّاحر، وفيه الفرقُ بينه وبين المنجم والعرَّاف والكاهن، وحكم إتيان السَّحرة، ومن في حكمهم.

المبحثُ الثَّالث: حلُّ السحر عن المسحور «النشرة».

المبحثُ الرَّابعُ: الواقع والحكم، وهو مبحث خِتامِي سيكون فيه ـ إن شاء الله ـ وضعُ النِّقاط على الحروف في هذا الموضوع، من الإشارات إلى الركائز الأساسية في المسائل، وبناء الأحكام عليها، وإعطاءِ الخُلاصة والنتيجة تحقيقًا للهدف من البحث، وتقريبًا لما بَعُدَ في ثناياه.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السَّبيل، أسألهُ العون في البدء والختام، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به إنه وليُّ التوفيق، والهادي إلى أقومِ الطريق، وصلى الله على نبينا مُحمَّدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم.



البابُ الأول

حد السِّحر

يشتمل هذا الباب على أربعة مباحث :

المبحثُ الأول : **تعريف السحر.**

المبحثُ الثَّاني : **أقسام السحر.**

المبحثُ الثَّالث : **السحر حقيقة أو تخييل.**

المبحثُ الرَّابع : **حقيقة السحر.**



المبحث الأول
تعريف السحر

السحر في اللغة: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره. يُقال ما سحرك عن كذا؛ أي: صرفك.

قال الفرَّاء[١] في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[٢]: «تصرفون، ومثله تؤفكون، أفك، وسحر، وصرف سواء»[٣].

فهو مشتقٌّ من سحرت الصبي، إذا خدعته، وكذلك إذا عللته، والتسحير مثله قال لبيد[٤]:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المُسَحَّر

أي المعلل المخدوع، أو المتغذِّي بالطعام، والشراب، أو أنه من ذوي السحر، وهو الرئة، وما تعلَّق بالحلقوم.

---

(١) هو أبوزكريا، يحيىٰ بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي، المعروف بالفراء الديلمي الكوفي، بارعٌ في اللغة وفنون الأدب، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي في طريق مكة، وقيل ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثلاث وستون سنة. انظر: الفهرست لابن النديم (ص/٩٨ـ١٠٠)، وتاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩ـ١٥٥)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٧٦ـ١٨٢).

(٢) سورة المؤمنون.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٤١).

(٤) انظر: شرح دايون لبيد بن ربيعة العامري (ص/٥٦)، وأعلام الحديث للخطَّابي (٢/ ١٠٣٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٢)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٨٠).

وقال امرؤ القيس[١]:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[٢]، قيل: ممَّن جعل له سحر تنبيهًا أنه محتاج إلىٰ الغذاء، وفي ذلك كله معنىٰ الخفاء.

وسمي إخراج الباطل في صورة الحق سحرًا، لخفاء تلك الخدعة.

وكل ما لطف مأخذه، ودقَّ فهو سحرٌ، ويقال: سحره بكلامِه إذا اسْتَمَاله برقَّتِه، وحُسن تركيبه.

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا**»[٣].

ولا يَرِد مدحًا من غير قيد.

ويجمع السحر على أسحار، وسحور.

---

(١) ديوانه (ص/٩٧)، وانظر: أعلام الحديث للخطابي (٢/ ١٠٣٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥/ ٨٠).

(٢) سورة الشعراء.

(٣) صحيح الإمام البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة (٧/ ٢٥)، وكتاب الطب، باب من البيان سحرًا (٧/ ١٧٨، ١٧٩)، وانظر: صحيح الإمام مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٤)، وسنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب في قصر الخطبة (١/ ٣٦٥)، وموطأ الإمام مالك، كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله (٢/ ٩٨٦)، ومسند الإمام أحمد (١/ ٢٦٩، ٢٧٣، ٢/ ١٦، ٥٩، ٦٢، ٩٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٢٦١، ٥/ ٣١٦، ٣١٧).

والساحر المذموم المفسد، والمحمود العالم[١].

وفي الاصطلاح: السِّحرُ ليس نوعًا واحدًا يسهل حدّه بحدٍّ جامعٍ مانعٍ، فلفظه في اللغة شمل أكثر من معنىً، وأُريد به في الاصطلاح أكثرَ من حالة تبعًا لاختلاف المذاهب فيه بين الحقيقة والتخييل، وتبعًا لاختلاف أصحابه في طرقه بين أهل الأقطار، وقد أشار إلى هذا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٢] بقوله: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حدّه بحدٍّ جامعٍ مانعٍ؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا

(١) انظر في معنى السحر: أعلام الحديث للخطَّابي (٢/ ١٠٣٥)، وغريب الحديث له (١/ ٣٩٨)، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص/ ٢٢٥)، والمغرب في ترتيب المعرِّب للمطّرزي (ص/ ٢١٩)، وذيل كتاب الأضداد للصغاني (ص/ ٢٣٢)، ومختار الصحاح للرازي مادة «سحر» (ص/ ٢٨٨، ٢٨٩)، ولسان العرب لابن منظور (٦/ ١١ـ١٦)، وتفسير غريب الحديث لابن حجر (ص/ ١١٦، ١١٧)، والمصباح المنير للفيومي، مادة «سحر» (١/ ٢٨٧)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٢/ ٤٥)، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة (١/ ٤٢١).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي أحد علماء شنقيط، ولد بها سنة (١٣٠٥هـ)، وبها تعلَّم، وحجَّ سنة (١٣٦٧هـ) واستقرَّ بالمدينة المنورة، ثم انتقل للتدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة (١٣٧١هـ) ثم في الكُلِّيَّتَيْن: الشريعة واللغة العربية، ثم عاد إلى المدينة مدرسًا بالجامعة الإسلامية سنة (١٣٨١هـ)، وتوفي بمكة المكرمة سنة (١٣٩٣هـ)، له مصنفات عديدة أشهرها «أضواء البيان» أكمل منه سبعة أجزاء، و«رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» و«دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب» وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥)، ومقدمة كتاب رحلة الحج للمترجم بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم (ص/ ١٢ـ٣٨).

يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعًا لها مانعًا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متباينًا»[١].

وسأورد أشهر ما ذكر من التعريفات الاصطلاحية، مع الإشارة إلى ما تَصْدُق عليه من الأنواع فأقول:

١ ـ عرَّفه أبوبكر الرَّازي[٢] بأنه: «كلُّ أمرٍ خَفِي سببه، وتُخُيِّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع»[٣].

وقد تبع أبا بكر الرَّازي على هذا التعريف الإمام ابن حزم الظاهري[٤]، والإمام الفخرُ الرَّازي[٥] وغيرهما[٦].

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٤٤).

(٢) هو أحمد بن علي الرازي الجصاص، قدمَ بغداد شابًا ودرس بها، وإليه انتهت إمامةُ أصحابِ الرأي في وقته، كان مشهورًا بالزهد والورع، له مؤلفاتٌ منها أحكام القرآن وغيره، توفى سنة (٣٧٠هـ)، وله من العمرِ خمس وستون سنة. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٣١٤، ٣١٥)، شذرات الذهب (٣/ ٧١).

(٣) أحكام القرآن (١/ ٥١)، وانظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٠٥)، وكتاب التوحيد للماتريدي (ص/ ١٨٩، ٢٠٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ١٢٩)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢).

(٤) انظر: الفصل (٥/ ١٠٣)، والأصول والفروع (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤)، الدرة في الاعتقاد (ص/ ١٠٣ب، ١٠٤)، المحلى (١/ ٤٦)، كلها لابن حزم. وظاهرُ ما يقوله ابن حزم في السحر هو نفي حقيقته، ولكنَّ حقيقة قوله إثبات أنواع منه حيث يرى أنها من قوى الأشياء. انظر: الفصل (٥/ ١٠١، ١٠٤)، الأصول والفروع (٢/ ٣٠٣).

(٥) انظر: التفسيرالكبير له (٣/ ٢٠٥)، عرَّف الرازي السحر بهذا التعريف مع أنه يرى أنَّ له حقيقة وأثرًا. انظر: (٣/ ٢١٣) من تفسيره.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٤)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢)، =

٢ ـ عرَّفه القاضي عبدالجبار[١]: بأنه ما لطف مأخذه مما يقصد به الإضرار ولا يوجبه، وإنما هو ضرب من التمويه والحيلة[٢].

وكل من التعريفين السابقين: يدخلان أمورًا كثيرة في السحر، وإن لم تكن سحرًا إلاَّ بالمعنى اللغوي، كما أنهما لا يصدقان إلاَّ فيما لا حقيقة له من أنواع السحر.

٣ ـ وعرَّفه ابن العربي[٣] بقوله: «هو كلام مؤلفٌ، يُعَظَّمُ فيه غير الله تعالى، وتُنسَبُ إليه فيه المقادير والكائنات»[٤].

= تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٦٣٠، ٦٣١).

(١) هو أبوالحسين عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني، شيخُ المعتزلة في عصره، ولي قضاءِ الري، ويُعرفُ عند المعتزلة بالقاضي، له مصنفات كثيرة منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، شرح الأصول الخمسة، المغني في أبواب التوحيد والعدل وغيرها. توفى في مدينة الري سنة (٤١٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١١٣ـ١١٥)، الرسالة المستطرفة للكتاني (ص/ ١٢٠)، الأعلام (٣/ ٢٧٣).

(٢) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٨)، متشابه القرآن (١/ ١٠١)، مقالات الإسلاميين (٢/ ١٢٩).

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي، قاض، من حُفاظ الحديث، ولد في أشبيلية، ورحلَ إلى المشرقُ، وبلغ رتبة الاجتهاد، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ في: الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، والأدب، والتاريخ. مات في المغرب سنة (٥٤٣هـ)، له مصنفات كثيرة منها: العواصم والقواصم، أحكام القرآن، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي وغيرها. انظر: بغية الملتمس (ص/ ٩٢ـ٩٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٦، ٢٩٧).

(٤) انظر: أحكام القرآن (١/ ٣١)، الخرشي على مختصر خليل (٨/ ٩٣).

وأقول: إن هذا الحد يصور السحر بمعناه الدقيق من حيث الشرع ـ أي ما يصدق فيه الكفر ـ لا بمعناه المصطلح العام، الذي يدخل فيه أمور لاتوصل إلى حد الكفر.

٤ ـ عرَّفه ابن قدامة بقوله: «عَزائم، ورُقَىٰ، وعقدٌ تؤثرُ في الأبدان والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذُ أحد الزوجين عن صاحبه»[١].

وعلى هذا التعريف، السحر نوع واحد هو ماله حقيقة وأثر. والحقيقة أنه نوعان: ماذكر في التعريف، وما كان تخييلاً ومخادعة. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٥ ـ وعرَّفه ابن خلدون[٢] بقوله: «هو عِلْمٌ بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إمَّا بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية»[٣].

تعريف ابن خلدون هذا: لا يشمل كل أنواع السحر التي بينها

---

(١) الكافي (٤/ ١٦٤)، وانظر: شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٨٢)، فتح المجيد (ص/ ٣١٤).

(٢) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبوزيد الحضرمي الأشبيلي، فيلسوف مؤرخ، وعالم اجتماعي، ولد ونشأ بتونس، له رحلات في الشمال الأفريقي، وتولى أعمالاً فيها. له مصنفات أشهرها كتابه «العبر»، وله شرح البردة، وكتاب في الحساب. توفى في مدينة القاهرة سنة (٨٠٨هـ)، وكان مولده سنة (٧٣٢هـ). انظر: هدية العارفين المجلد الأول (٥/ ٥٢٩)، الأعلام (٣/ ٣٣٠).

(٣) المقدمة (ص/ ٤٩٦).

بعد ذلك، حيث ذكر أن منه ماله حقيقة، ويصدقُ فيه هذا التعريف، وهو ماعبَّر عنه بالسحر والطلسمات[١]، وأن منه ما لا حقيقة له، ولا يشمله تعريفه هذا، وقد وصفه بالتأثيرات في القوى المتخيلة، وأنه لا حقيقة له.

٦ ـ وعرَّف السحر صاحب كشف الظنون[٢]، بأنه: «علم باحثٌ عن معرفة الأحوال الفلكية، وأوضاع الكواكب، وعن ارتباط كل منها مع الأمور الأرضية»[٣].

وهذا التعريف: لا يشمل إلاَّ نوعًا واحدًا من أنواع السحر، هو ما عبَّر عنه ابن خلدون في التعريف السابق بالطلسمات.

٧ ـ ذكر التهانوي[٤] أن المشهور عند الحكماء في تعريف السحر: «الإتيان بخارق عند مزاولة قول، أو فعل محرم في الشرع، أجرى

---

(١) الطلسم: لفظ يوناني، وهو في علم السحر خطوط وأعداد، يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية، لجلب محبوب، أو دفع أذى. انظر: المعجم الوسيط: مادة «طلسم» (٢/ ٥٦٨).

(٢) هو مصطفى بن عبدالله، كاتب جلبي، المعروف بالحاج خليفة، صاحب المصنفات الكثيرة، والرحلات العديدة، ولد بالقسطنطينية سنة (١٠١٧هـ)، وبها توفى سنة (١٠٦٧هـ). انظر: مقدمة كشف الظنون (ص «و»)، الأعلام (٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٣) كشف الظنون (٢/ ٩٨٠)، وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٣).

(٤) هو محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي، التهانوي، باحثٌ هندي، له كشاف اصطلاحات الفنون، وسبق الغايات في نسق الآيات. توفى بعد سنة (١١٥٨هـ). انظر: إيضاح المكنون (٢/ ٣٥٣)، ذيل كشف الظنون (ج٤)، والأعلام (٦/ ٢٩٥).

الله سبحانه سنَّتَه بحصوله عنده ابتداء»[١].

وهذا التعريف يحدد السحر بنوع واحد، هو ماكان له حقيقة دون ما هو تخييل، كما يوحي بنفي الأسباب، وإسناد التأثير الحاصل بالسحر إلى فعل الله تعالى مع نفي ارتباط فعل السحر بالأسباب، وعلى هذا يلزم قائله عدم التفريق بينه وبين آيات الأنبياء، وكرامات الصَّالحين.

وسيأتي لهذا زيادة بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الكلام على ما يمكن الساحرُ فعله[٢].

تلك الجملة من التعريفات: أرى استحواذها على كل ما قيل في هذا الشأن، وكما رأينا قصور كل منها، ومن مجموعها يعرف المراد بالسحر.

وأُقَدِّمُ هذا التعريف استخلصه من جملتها فأقول:

السحر: هو المخادعة، أو التأثير في عالم العناصر، بمقتضى القدرة المحدودة، بمعين من الجن، أو بأدوية، أثر استعدادات لدى السَّاحر.

وأرى في هذا شمولاً؛ لما كان من السِّحر عن طريق التخييل والمخادعة، وما كان منه حقيقة يؤثرُ بالهمة، أو بمعين من الشياطين، أو بدعوى موافقة مزاج الأفلاك والعناصر، أو نحو ذلك. والله أعلم.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٢).

(٢) انظر: (ص/ ١٠٨ـ١٢٧).

المبحث الثاني
أقسامُ السِّحر

لمَّا كان السِّحر يُطلق علىٰ أعمالٍ كثيرةٍ متنوعةٍ في أشكالها وطرقها، كان لابد لي من تحديد أقسامه المُعْتَبَرة من النَّاحية الشرعية، فما سُمّي في عُرفِ الشرع سحرًا ذكرته قسمًا من أقسامه بحسب ما أعتقد، وما عُدَّ قسمًا بحسب الإطلاق اللغوي أغفلته. فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

الأول ـ سحر أصحابِ الأوهام والنُّفوسِ القوية[1] الخبيثة:

إن النفوس المتصفة بالقوة تكون مستعلية علىٰ البدن شديدة الانجذاب إلىٰ عالمِ الأرواح؛ حتَّى تكون كأنها منه، وتصبح لها قوة تستطيع التأثير بها في مواد هذا العالم بحسب قدرة الأرواح الملائمة لمثلها، والمنجذبة نحوها، مع عدم الشعور بالمعين من تلك الأرواح، حيث يظن أصحاب هذا الشأن وكثيرٌ غيرهم: أنَّ ما يحصل من تأثير هو من النفوس وحدها والحقُّ خلاف هذا. كما سأبين هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وقد ذكر الإمام الرَّازي وجوهًا كثيرة، تؤكدُ تأثيرَ الوهم والأمور

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٠٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٠٩)، مقدمة ابن خلدون (ص/ ٤٩٧)، أبجد العلوم للقنوجي (٢/ ٣١٩ـ ٣٢١)، أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٤٤٥، ٤٤٦).

النفسانية على الإنسان، فقال:

«**أولها** ـ أن الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشْي عليه لو كان موضوعًا علىٰ الأرض، لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على هاوية، وماذاك إلاَّ أن تَخيل السقوط متىٰ قوي أوجبه.

وثانيها ـ اجتمعت الأطباء على نهي المرعوف عن النَّظَرِ إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القويَّة الَّلمعان والدوران، وماذاك إلاَّ أن النُّفوس خلقت مطيعة للأوهام.

وثالثها ـ حكى صاحبُ الشفا[١] عن أرسطو[٢] في طبائع الحيوان: أن الدَّجاجة إذا تشبهت كثيرًا بالدِّيَكة في الصَّوتِ، وفي الحِرَابِ معَ الدِّيَكة؛ نبتَ على ساقِها مثل الشيء النابت على ساقِ الدِّيْك. ثم قال صاحب الشفا: وهذا يدلُّ على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوالِ النفسانية.

---

(١) هو الحسين بن عبدالله بن سينا، أبوعلي شرف الملك، الفيلسوف، طبيب، منطقي، متكلم. له مصنفات في كل ذلك (ت ٤٢٨هـ). انظر: في ترجمته تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي (ص/ ٥٢ـ٧٢)، وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧ـ١٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١ـ٥٣٧)، شذرات الذهب (٣/ ٣٤ـ٣٧)، تاريخ فلاسفة الإسلام لمحمد جمعة (ص/ ٥٣ـ٦٦).

(٢) هو فيلسوف يوناني قديم، دعاه الفلاسفة بأمير الفلسفة، وهو أحد تلاميذ أفلاطون، علَّمَ الإسكندر الأكبر، ويدعى هو وتلاميذه بالمشائين، ولد في أسطاغيرا من مقدونيا سنة (٣٨٤ق.م) وتوفي (٣٣٢ق.م). له عدة مؤلفات في الطب، والفلسفة، والمنطق. انظر: ترجمته في دائرة معارف القرن العشرين (١/ ١٦٤، ١٦٥)، الموسوعة العربية الميسرة (ص/ ١١٧).

ورابعها ـ أجمعتِ الأُمم على أنَّ الدُّعاء اللسَاني، الخالي عن الطلب النفساني، قليلُ العمل، عديم الأثر. فدلَّ ذلك على أن للهمم والنُّفوس آثارًا، وهذا الاتفاق غير مختص بمسألة معينة وحكمة مخصوصة.

وخامسها ـ أن المباديء القريبة للأفعال الحيوانية ليست إلاَّ التصورات النفسانية؛ لأن القوة المحركة المغروزة في العضلات صالحة للفعل وتركه، أو ضده، ولن يترجَّح أحد الطرفين على الآخر إلاَّ لمرجِّح، وماذاك إلاَّ تصور كَون الفِعل جَمِيلاً، أو لذِيذًا، أو تصور كونه قَبِيحًا، أوْ مُؤلِمًا. فَتِلكَ التَّصَوراتِ هي المباديء لصيرورة القُوى العضلية مباديء للفعل؛ لوجود الأفعال بعد أن كانت كذلك بالقوة، وإذا كانت هذه التَّصَوراتِ هي المباديء لمباديء هذه الأفعال، فأي استبعاد في كونها مباديء لأفعال أنفسها، وإلغاء الواسطة عن درجة الاعتبار.

وسادسها ـ التَّجربةُ والعيانُ شاهدان بأنَّ هذه التصورات؛ مباديء قريبة لحدوثِ الكيفيات في الأبدان، فإن الغضبان تشتدُّ سخونة مزاجه حتَّى إنَّه يفيده سخونة قوية..، وإذا جازَ كون التصورات مباديء لحدوث الحوادثِ في البدنِ فأي استبعاد من كونها مباديء لحدوث الحوادث خارجِ البدنِ.

وسابعها ـ أنَّ الإصابة بالعين، أمرٌ اتفق عليه العقلاء، وذلك

يحققُ إمكان ما قلناهُ»[١].

وقد رأى الإمامُ الرَّازي بناءً على ماذكره من الوجوه السَّالفَة الذِّكرِ، أنَّ ذلك التَّأثير الحاصل نتيجةً لِتأثيرِ الوهمِ، ونتيجة لأمور نفسانية، ممَّا يُؤكدُ أن النُّفوس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تقوى فتستغني عن الوسيط وتُؤثرُ بِنفسها، ونقلَ إجماع الأُممِ على أنَّه لا بدَّ لمزوالة هذه الأعمال من انقطاع المألوفات والمشتهيات، وتقليل الغذاء، والانقطاع عن مخالطة الخلق، وكلَّما كانت هذه الأمور أتمَّ كان ذلك التَّأثير أقوى وأطال في هذا[٢]. ولا شكَّ أن ماذكره ونقل عليه الإجماع؛ يُعطي دليلاً واضحًا على إعانة الأرواح الشَّيطانية لتلك الأرواح التي خرجت عن مألوفها المشرُوعِ لها، وهو الاعتدال في تلبية رغبات الروحِ والجسدِ، الأمرُ الذي تتمُّ به الإنسانية، ويتحققُ به الغرضُ والغايةُ التي لأجلها خُلقَ البشر، وبها جاءت الشرائع السَّماوية. فإذا حصلتِ المخالفةُ عن المشروعِ بتركِ رغبات الجسد طغت الرُّوح، وازدادت شفافيتها، فتقترب من عالم الأرواح، فيسهل على الأرواحِ التعاملُ معها، وليست روحًا طيبة بكل حال؛ لأن صاحبها مخالف للشرائع الرَّبانية، والأرواح الخبيثةُ تتولاها الأرواح الشيطانية، وتُرغبُها في سُلُوكِها، وتحقق لها أمورًا لا تستطيعها في حالةِ اعتدالها في الجسد؛ لتستشعر الرَّغبة والسُّرور بعملها حتى تستمر في طريقها الباطل

(١) التفسير الكبير (٣/٢٠٨، ٢٠٩).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٣/٢٠٩).

وتَسْتَمْرِءه، مع عدم شعورها بعونِ تلكَ الأرواحِ الشَّيطانية، وتَوليها لها حيث تسترت بما وهبها الله تعالى من القدرة، ولم تتراءى له تلك الأرواح حتى لا يتنبه فينجو من هذه الخدعة، أو أنَّه لمْ يصل إلى مرتبة تمكنه من ذلك، والله أعلم.

الثاني ـ سحرُ الاستخدامِ للكواكب والجنِّ:

أهلُ الاستخدامات يزعمون أنَّ للكواكب إدراكات روحانية، فإذا قوبلت ببخورٍ خاص، ولباسٍ خاص على الذي يُباشِرُ البخور، كانت روحانيةُ فلك الكواكب، مطيعة له، متى ما أراد شيئًا فعلته له ـ على زعمهم ـ، وكذلك ملوكِ الجَّان يزعمون: أنَّهم إذا عملوا لهم أشياء خاصة بكل ملِك من ملوكهم؛ أطاعوا وفعلوا لهم ما أرادوا[(١)].

هذا النوعُ من السِّحرِ شِركٌ أكبر، والقول بأن تلك الأعمال مجردة؛ مُسبِّبةٌ طاعة فاعِلِها من قِبَلِ روحانية فلك الكواكب، ومن قِبَلِ

---

(١) انظر: الأصول والضوابطُ المحكمةُ للبوني (ص/ ٩ـ١٣)، وهو من المؤمنين بكونه حقيقة المتعلقين بما يتوهمونه من تأثيرها. وأما عند الناقلين الناقدين فانظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢ـ٥٤)، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٦٣٥)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٣). وهذا النوع هو ما سماه الرَّازي سحر الكلدانيين والكسدانيين، ولكن طريقة عرضه ليست صريحة في بيان مفهوم السحر في هذا النوع. فقد أوضح عبادة أولئك للكواكب، وزعمهم تدبيرها ونسبة الخير والشرِّ إليها. . .إلخ، وهذا صريح في الشرك والضلال، وليس شرطًا أن يكون ذلك سحرًا. انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٠٦ـ٢٠٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٩)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢)، أضواء البيان (٤/ ٤٤٤، ٤٤٥).

الجنِّ؛ زعمٌ باطلٌ. ولكن ما يحصل من تحقيق رغبات الفاعل إنَّما هو من خدمة الشَّياطين وعونهم له ثمنًا لاستجابته لداعيهم بالتوجه والقصد والتعظيم لغير الله تعالى، فذلك ثمنٌ للشرك.

الثالثُ ـ الاستعانةُ بالأرواحِ الأرضية «الجن»:

الجن على قسمين: مؤمنون، وكفَّار ـ وهم الشَّياطين ـ، واتصالِ النُّفوس الناطقة بها ليس صعبًا للتشابه الأرضي بينهما، فهو أمرٌ ممكن[1]. يقول الإمامُ الرَّازي: «إنَّ أصحاب الصنعة، وأرباب التجربة شاهدوا أنَّ الاتصال بهذه الأرواح الأرضية بأعمال سهلة قليلة من الرُّقى، والدخن والتجريد. فهذا النوع هو المُسَمَّى بالعزائم وعمل تسخير الجن»[2].

وهذا النوع لا يختلفُ كثيرًا عن سابقه من حيث مضمونة، ولكن صُوره فيها بعضُ الاختلاف، فقد يظهر السَّاحر بمظهر القوة والتسلط على بعضِ تِلكَ الأرواح بما يعمله من أعمال يسخرِّهم بها لما يريد، من الرقى، والتدخين، والتجريد قهرًا عنهم بحكم تبعيتهم لقاهر منهم، هيأ لهذا الشخص تلك الأسبابِ التي بها يتسلطُ على تلك الأرواح بِحُكمِ خضوعه هو، وطاعته له، ولن تكون تلك الطَّاعة والخضوع دونَ الشِّركِ لأمورٍ سأبينها بعدُ ـ إن شاء الله تعالى ـ[3].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٠)، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٠)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢)، أضواء البيان (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧).
(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢١٠، ٢١١)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٦، ٥٧).
(٣) انظر: (ص/ ١٠٥ـ ١٠٨، ١٢٢، ١٢٣، ٢٣٠ـ٢٣٣).

كما قد يزعمُ أصحاب تلك الأعمال أنهم علموا أسماء أنواع من الملائكة أُمروا بتعظيمها، وإذا أقسم عليهم بها أطاعوا وأجابوا، وفعلوا ما طُلِبَ منهم[١]، ولا يَشُكُّ عاقلٌ ببطلانِ هذا الزعم، وأنَّ ما يحصل في مثلِ هذه الأحوال من الأسماء المقسَم بها، والتعظيم والطلب، إنَّما هو متوجهٌ إلى الشَّياطين. وهذا بَيِّن؛ لمخالفته الهَدي الإلهي الآمر بتوحيدِ القصدِ والطلبِ لله تعالى.

الرابعُ ـ تعليق القلوب:

تعليق القلوب كما قال الإمامُ الرَّازي: «. . هو أن يدَّعي السَّاحرُ أنَّه قد عرفَ الاسم الأعظم، وأن الجنَّ يطيعونه، وينقادونَ له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن كان السَّامعُ لذلك: ضعيف العقل، قليل التَّمييز؛ اعتقدَ أنَّه حق، وتعلَّق قلبُه بذلك، وحصلَ في نفسه نوعٌ من الرُّعبِ والمخافةِ. وإذا حصلَ الخوف ضعفت القوى الحسَّاسة، فحينئذ يتمكن السَّاحرُ من أن يفعل حينئذ مايشاء، وإنَّ من جرَّب الأمور، وعرفَ أحوال أهلِ العِلم؛ عَلِمَ أنَّ لتعلقِ القَلْبِ أثَرًا عظيمًا في تنفيذ الأعمالِ، وإخفاءِ الأسْرارِ»[٢]. وقال الإمام ابن كثيرٍ بعد أن ساقَ كلام الرَّازي: «هذا النمطُ يُقال له التنبلة[٣]، وإنَّما يُرَوَّجُ على ضُعفاءِ العُقولِ من بني آدم،

---

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٥٣).

(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢١٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢١١)، وأضواء البيان (٤/ ٤٥٠، ٤٥١).

(٣) لعل المراد به «قصر الإدراك» مأخوذ مجازًا من التنبال أي: التقصير، أو هو من التِّبْل أي: السقيم. انظر: غريب الحديث للحربي (٢/ ٦٥٠)، المعجم =

وفي عِلْمِ الفَراسة ما يُرشِدُ إلى معرفة كاملِ العقلِ من ناقصه، فإذا كان المتنبل حاذقًا في عِلْمِ الفَراسة، عَرفَ من يَنقَادُ لهُ من النَّاسِ من غيرِه»[(١)].

وأقول: إنَّ هذا النوع مع إمكانه ووقوعه من فاعله بلاَ شِرْك، إلاَّ أنَّه مبنِيٌّ على الكَذِبِ، والخِدَاع، والاستِخفَافِ بالآخرين، وأكل أموالهم بالباطل؛ إذا كان الفاعلُ ممن يهدفُ إلى ذلك، وقد يجرُّ السَّاحرُ ضِعافِ العقُولِ إلى تعظيمه، وخوفه ومُدارَاته، فيوقعهم في عبادة نفسه فيكون طاغوتًا بذلك، فجميع أعماله محرمة.

الخامسُ ـ النَّظرُ في حركة الأفلاك:

النظر إلى طلوع الأفلاك، وغروبها، واقترانها، وافتراقها، واعتقادُ أنَّ لكلِ حالةٍ منها منفردة ومجتمعة أثرًا على الحوادثِ الأرضِيّة من غَلاءِ الأسعار ورُخْصِها، ووقوع الكوائن والحوادث وغير ذلك[(٢)].

السَّادسُ ـ النَّظرُ في منازلِ القَمرِ الثمانيةِ والعشرين:

النظر في منازل القمر، واعتقاد أنَّ لاقترانه بكلٍ منها، أو مفارقته لها أثرًا في: السُّعودِ، والنُّحوسِ، والتَّأليف، والتَّفريق، ونحو ذلك[(٣)].

= الوسيط: مادة تنبل (١/ ٨٩).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١١).

(٢) انظر: شمس المعارف للبوني (ص/ ١٢ـ١٧)، وانظر: مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية (٣٥/ ١٧١، ١٩٢)، كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٣)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٤١، ٤٤٢)، ومعارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (١/ ٤٢٦)، دعوة التوحيد للدكتور الهراس (ص/ ٧٦).

(٣) انظر: شمس المعارف(ص/ ١٨ـ٢٥)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٤٢، ٤٤٧)، معارج القبول (١/ ٤٢٦).

ولاشكَّ أن في اعتقاد هذين النوعين ـ الخامس والسادس ـ؛ مُحَادة لله تعالى ورسُوله، وتكذيبًا بِشرعِ الله وتنزيله. ونسبة تلك الأمورِ والأحوالِ، إلى حركاتِ الأفلاك، أو مَنازِل القمر؛ كُفْرٌ صَريحٌ؛ فذلكَ شِركٌ في الرُّبوبيّة. والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخَالِقُ وحده، وهُوَ المُتَصَرفُ المُطْلَقُ، الغَنِيُّ عمَّا سواه، والعَالَمُ كلُّه مربوبٌ، مفتَقِرٌ إليه، وهُوَ العَليمُ الخَبيرُ، رتَّبَ الخَلْق، وسَيَّرَهُ بِنظَامٍ مُحْكَمٍ دقيقٍ، وسَخَّرهُ بِمَا يَكْفُلُ لِخَلْقِه البَقاءَ، ويَضْمنُ لهم العيش في أمانٍ ورخاءٍ. فَمن أدركَ شَيئًا من لطيفِ صُنعِ الله تعالى، وعجيب خلقه، وعَلِمَ بعض الأسبابِ، أو مُسَببَاتِها؛ كانَ أدعى لقوة إيمانه ويقينه، وقد لفتَ الله تعالى الأنظارَ إلى هذا وبَيَّنه ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، لا أن ينسبوا الحوادث إلى أسبابها، ويعتقدوا أن تلك الأسباب موجبة، وأنها فاعلة بنفسها، فهذا شِركٌ في الربوبية. وكذا اعتقاد تأثِيرها ولو بوجه ما؛ لأنها أسبابٌ عادية لا يعلم منها مالم يقع. وادعاء ذلك ادعاءٌ للعِلْمِ بالغيب. وقد نهى تبارك وتعالى عن ذلك، وبيَّنَ لعباده طُرق الحقِّ والهُدَى، وأَمَرَهم بالأخذِ بها، وحذَّرَهم من غوائلِ الشَقا، ومن مخالفة الهُدى. فأخبرَ في كتابه العزيز عن مخلوقاته منَ الأفلاك وغيرها، وما تسيرُ به من الدِّقةِ والإتقان، وما فيها من الحِكَم والمصالح، مع عدم قيامها بذاتها، ولا تملك نفعًا ولا ضرًا، و لا تستحقُّ شيئًا من التعظيمِ، وإنما المُسْتَحِق لذلك هو من أُوْجَدَها وسَخَّرها، وجعل في تعاقبها مصلحة لعباده في حياتهم ومعاشهم، وعِبرَة لهم تذكرهم بصدقِ وعدِ الله تعالى وعبادته. كما جاء

ذِكرُ ذلكَ في كثيرٍ من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة يونس.

(٤) سورة الفرقان.

(٥) سورة يس.

وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ جدًا يطولُ المقام باستقصائها، والغرضُ بيَانُ الواجب على العباد، نحو خالق هذه الأشياء ومُوجِدها؛ وهو إخلاصُ العبادة لهُ وحدهُ، والاستدلال بها على وحدانيته. كما دلَّ على ذلك بقوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣].

السابعُ ـ الطلاسمُ:

الطلاسم؛ نقشُ أسماء خاصة في جسم من المعادن، أو غيرها. يزعم أصحاب هذا العمل أن لها تعلقًا بالأفلاك والكواكب، تَحدثُ بها خاصيةٌ رُبِطت في مجاري العادات، ولا تجري هذه الخاصيّة إلاَّ مع نفسٍ صالحةٍ لهذه الأعمال[٤].

هذا النوع من أعمالِ السَّحرةِ أمرٌ مادِي يُوهِمونَ به أغلبَ من يأتي إليهم، ممن يتعلقُ قلبه بتلك الدعاوى فيضعف أمامهم فيحصل له تأثرٌ من جراء حالته، وذلك في الحقيقة نتيجة لضعفِ عقله، وقلة تَمييزه، لا

---

(١) سورة الصافات.

(٢) سورة فصلت.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ١٠١، ١٠٢)، مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٣٥/ ١٧١)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٢٨)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٣).

أن تلك الأعمالِ التي يعملها السَّاحرُ لها أثرٌ حقيقيٌّ كأَثَرِ الأدويةِ بخواصها، إذ لابدَّ لحصُولِ تأثِيرها من أمرين:

الأول ـ من تجرى هذه الأعمال على يده، وهو إمَّا محتالٌ ذَكِيٌّ، فلا يعمل أعماله مع من يعلمُ عدم تأثرِه بها؛ لقوةِ تمييزه، أو مع من يشكو من مرض عضوي. وإمَّا صاحبُ علاقةٍ بالجنِّ فيحصلُ له عونٌ وتأثيرٌ منهم بما يستطيعونه.

الثاني ـ المحلُ القابِلُ، وهو من يضعفُ أمام السَّاحر، إمَّا لِضَعفِ إيمانه، وإمَّا لضَعفِه الخلقي، فيحصل له نوعُ تعلق بتلك من جراء تصديقه لفاعلها، فيحصلُ الشعور النفسي بتأثيرها، أو قد يحصل التأثير فعلاً إذا كان السَّاحرُ ممن يستعينون بالجن، فالتأثير منهم، لا بما يعمله من الطلاسمِ فذلك شيءٌ صُورِي، ولا شكَّ في تحريمِ هذا، فهو إن كان احتيالاً، فهو كذبٌ وغشٌ وبهتانٌ. وإن كان بوساطة الجنِّ، فهو شِركٌ من فاعله.

الثَّامنُ ـ عقدِ الخيوط والنفثُ[1] فيها:

عقد الخيوط والنفث فيها فعل السَّاحر، إذا تكيفت نفسه الخبيثةُ بالخبثِ والشَّرِ الذي يريده بالمسحور، مع مساعدة الأرواح الشيطانية؛ نفَثَ في العقد حتى ينعقد ما يريده من السِّحرِ، وقد يباشرُ المسحور بذلك فيطلقُ على فعله هذا الرُقى[2] تشبيهًا لها بالرُقيَة من حيثُ

(١) النفثُ كالنفخ، وأقلُ من التفل. انظر: اللسان (٣/ ١٧)، القاموس (١/ ١٧٥).
(٢) يقال رقى الراقي، إذا عوذ ونفث في عوذته. انظر: اللسان (١٩/ ٤٨)، =

الصورة، وإلاَّ فهي سحرٌ لا رُقية، فإذا نفثَ السَّاحرُ على أحد بعد تكيف نفسه بالخبث والأذى مع الاستعانة بالشياطين الذين يردد أسماءهم، ويستعدي بهم ضر ذلك بإذن الله تعالى[١].

وهذا النوع: هو ما سحرَ به لبيدُ بن الأعصم[٢] رسولَ ﷺ، وهُو المُسْتَعاذُ بالله منه في سورة الفلق: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾[٣]. وقد حدَّ بعضُ العلماء السِّحر بهذا الحد، ولا شكَّ في خطورته وكثرته، حيث قد أمرَ الله سبحانه نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالاستعاذةِ من شرِّ هذا العمل، وهذا كافٍ بالإشعارِ بِضَرَرِه. ولم أرَ أحدًا من المُفسِّرين فسَّر هذا المستعاذ منه في آية سورة الفلق بغير السِّحر، وأنَّ النفَّاثاتِ هُنَّ السَّواحرِ اللائي ينفثن في العقد[٤].

= القاموس (٤/ ٣٣٦)، المعجم الوسيط (١/ ٣٦٨).

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢١)، التفسير القيم له (ص/ ٥٦٣)، الفصل (٥/ ١٠٢)، أضواء البيان (٥/ ٤٥٢)، معارج القبول (١/ ٤٢٩).

(٢) هو يهودي من يهود بني زريق، وقيل رجل من بني زريق، حليف ليهود، وكان منافقًا، وبنوزريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بينهم وبين اليهود قبل الإسلام حلفٌ وإخاءٌ. انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر وقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (٧/ ١٧٦، ١٧٧)، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (٨/ ٢٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦)، (٢٠/ ٢٥٣)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

(٣) سورة الفلق.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٠١)، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٣٠/ ٢٢٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٤)، التفسير الكبير (٣٢/ ١٩٥، ١٩٦)، =

والشركُ في هذا العملِ حاصل بسبب أن هذا الفاعل قد استعان بالشياطينِ في إنفاذِ قصده، ولا يحققون له طلبه ما لم يستجب لمطالبهم بالخضوع، والدعاءِ والنصرةِ التي يطلبها مع ذكر أسمائهم، وهذا شِركٌ؛ لأنَّ العقد والنفث الخالي من ذلك، لا يحصل به أثرٌ على أحد؛ والله أعلم.

التّاسعُ - استخدام الأرقام المعينة لحروف أبجد هوز... إلخ:

استخدام الأرقام هو إجراء أسماءِ الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها على أرقام حروفها. فيجمع متعاطي هذا جمعًا معروفًا عنده، ويطرح منه طرحًا خاصًّا، ويثبتُ إثباتًا خاصًا. وينسبُ ذلك إلى الأبراج الاثْنَى عشر المعروفة، ثمَّ يحكي على تلك القواعدِ بالسعودِ، والنحوسِ وغيرها، ممايوحيه الشيطان إليه، فيحكمُ بعد ذلك حكمه الباطل - وهو نوعٌ من الاستقسام[1] -، فيفرقُ بين المرءِ وزوجه بدعوى أنهم لو اجتمعوا لايعيش أحدهم، أو أن أحدهم لايولد له، أو لاتعيشُ أولادهم، أو نحو ذلك. أو يحكمُ بالغنى أو بالفقرِ لمستفتيه بعد تلك الأعمالِ[2]،

= أحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٣٥٧)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢١)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٣١)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٥٥)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٨/ ٤١٦)، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/ ٦٢٨).

(١) الاستقسام طلب ما قسم، واستقسم طلب القسم الذي قسم له، وقدر مما لم يقسم ولم يقدر، وهو نوع من الاقتراع بالأزلام. انظر: اللسان: مادة قسم (١٥/ ٣٧٨، ٣٧٩)، مختار الصحاح (ص/ ٥٣٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٧٤١).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤١٥)، فتح المجيد (ص/ ٣٤١)، معارج القبول بشرح سلم الوصول في التوحيد (١/ ٤٢٦).

وهي ضمن ما يُسمى عند المُشْتَغلين به بعلمِ الأوفاقِ[١].

ولا شكَّ في تحريم هذا العملِ، وكذبِ مُدعِيه، وأن أحكامه رَجمٌ بالغَيبِ. ويتبعُ هذا النوع أنواعٌ أخرى مماثلة.

العاشرُ ـ التكهن والاستقسام:

من التكهن والاستقسام؛ زجر الطير[٢]، والخط بالأرض[٣]،

(١) انظر: بغية المشتاق للبوني ضمن مجموعة له اسمها «منبع أصول الحكمة» (ص/ ٦٢ـ٦٤).

(٢) الزجر: النهر، والزجر للطير وغيرها التيمن بسنوحها، والتشاؤم ببروحها. والطيرة والزجر: العيافة، وهو ضرب من التكهن. انظر: مختار الصحاح (ص/ ٢٦٩)، اللسان (٥/ ٤٠٧).

(٣) الخط بالأرض هو الطرق، ويقول عنه القائلون به: إنه سرٌ عظيم نزل من السماء فتلقاه التراب وما فيه، فكانت أحكامه تبرز الضمير في كل شيء.. ويذكرون أن المبحوث عنه في هذا العلم هو الأسطر الموضوعة من نقط متتابعة من غير عدد على أربعة خطوط، كل خط منها على أربعة أسطر، أول سطر من كل خط يزيد على اثنتي عشرة نقطة، وما بعده أطول منه، ويؤخذ من كل خط حاصل سطرين من بعد إسقاطه زوجًا زوجا، فيخرج من الخط شكل على أربع مراتب، من كل سطر مرتبة، وهي إما زوج وإما فرد، ثم تتولد أشكال الأربعة خطوط المذكورة إلى ستة عشر شكلاً، كل شكل منها يدلُّ على بيت مخصوص، له دلالة مخصوصة في هذا العلم...إلى آخر كلامهم. انظر: رسالة ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل للأدهمي (ص/ ٥٣٩)، ضمن شمس المعارف.

وقيل في وصف ذلك وتقريبه: هو أن يأتي صاحب هذا العمل، إلى أرض رخوة، فيخط فيها خطوطًا كثيرة بسرعة، ثم يعود عليها فيمحوها على مهل خطين خطين، فإن بقي خطان فهي علامة قضاء الحاجة، وإن كان واحدًا فهي =

والأشكال(١)، والموالد(٢)، والقرعة(٣)، والفأل(٤)، وعِلْمُ

= علامة الخيبة على زعمه، ويردد أثناء المحي كلامًا للتفاؤل.

وقيل: هو أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشعير، أو نوى، ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة. انظر: اللسان: مادة خط (٩/ ١٥٧، ١٥٨)، الإسلام وتقاليد الجاهلية (ص/ ٨٥، ٨٦).

(١) الأشكال: جمع شكل، ويُسمى علمها علم الجداول والأوفاق، ولمتخذيه فيه فلسفات معينة في وضع الأعداد، في أشكال معينة من الفردية والزوجية وأصول الأوفاق. ووضع الأسماء والآيات بطريق التكسير والتكعيب واستخراج النتائج ونحو ذلك، وللبوني رسالة في ذلك انظرها: ضمن منبع أصول الحكمة (ص/ ٥٦ـ٦٦)، وانظر: شمس المعارف له أيضًا (ص/ ١٠ـ١٨).

والأشكال كما يصفها المعرفون: خطوط متوازية على صفحة، قد تتقاطع فتكون مربعات يكتب فيما بينها. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١١١)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٣، ٤٥٤).

(٢) الموالد جمع مولد، وهو أن يدعي من معرفة النجم الذي كان طالعًا عند ولادة المولود أنه يكون سلطانًا، أو عالمًا، أو غنيًا، أو فقيرًا، أو طويل العمر، أو قصيره، وهذا محض الباطل؛ لأن هذا من الغيب. انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٥٤).

(٣) القرعة: اسم من الاقتراع، أي الاستهام على شيء لأخذ النصيب، وما يفعله السحرة هو ما يسمونه قرعة الأنبياء، وحاصلها جدول مرسوم في بيوته أسماء الأنبياء وأسماء الطيور، ويوضع ترجمة لكل اسم مما في الجدول، ويذكر فيها أمور من المنافع والمضار، ويقال لطالب الاقتراع غمض عينيك وضع إصبعك في الجدول، فإذا وضعها على اسم قرئت له ترجمته ليعتقد أنه يكون له ذلك، وهو من نوع الاستقسام. انظر: المصباح المنير (١/ ٣١٤)، (٢/ ١٥٧)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٤).

(٤) المراد الفأل المكتسب الذي من نوع الاستقسام، لا الذي يعرض من غير اكتساب، لما جاء في الأحاديث الصحيحة. انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٥٤).

الكتف[١]، والرعدي[٢]، والكِهانةُ[٣]، وغير ذلك[٤] من أنواع الاستقسام بطُرقٍ مختلفة في أشكالها وهيئاتها. وكلُّها مُحرَّمةٌ مع تفاوتها في ذلك بحسبِ حالِ متعاطيها من الاستعانةِ بالشَّياطينِ، والكَذبِ والخِداعِ، والدعاوى الباطلة التي يُلبسُ بها على النَّاسِ. يقولُ الشَّيخُ محمد الأمين الشنقيطي بعد ذِكرِهَا: «وقصدنا بذكرِ ما ذكرنا منها التنبيهُ على خستِها، وقُبْحِها شَرْعًا، وأنَّ منها ما هوَ كُفرٌ بواحٌ، ومنها ما يؤدي إلى الكفرِ، وأقل درجاتها التحريمُ الشَّديد»[٥].

---

(١) الكتف: عظم عريض خلف المنكب للناس وغيرهم، والكتاف الذي ينظر في الأكتاف فيكهن فيها، ويزعم أصحاب هذه المهنة: أن هذا عِلْمٌ يمكن متعلمه من الاطلاع على أمور الغيب إذا نظر في أكتاف الغنم، ولاشكَّ في كذب متعاطيه. انظر: اللسان: مادة كتف (١١/ ٢٠٢،٢٠٣)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٤).

(٢) الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب، والرعدي تكهن، يزعم أصحابه: بأن الرعد إذا كان في وقت كذا من السنة والشهر، فهو علامة على أمور غيبية من جدب وخصب، وكثرة الرواج في الأسواق وقلته، وكثرة الموت وهلاك الماشية، ونحو ذلك، ولا شكَّ ببطلان هذه المزاعم. انظر: مختار الصحاح (ص/ ٢٤٧)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٤).

(٣) الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ويزعم أن له تابعًا من الجن، ورئيًا يلقي إليه الأخبار. انظر: اللسان: مادة كهن (١٧/ ٢٤٤)، وسيأتي لهذا زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٩٤ـ٣٩٩)، فتح المجيد (ص/ ٣٢٥ـ٣٢٦)، معارج القبول (١/ ٤٢٩)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٣،٤٥٤)، الدر النضيد لابن حمدان (ص/ ١٧٤ـ١٧٨)، دعوة التوحيد للهراس (ص/ ٨١).

(٥) أضواء البيان (٤/ ٤٥٥).

الحَادِي عشر ـ الهِيمياء[١]:

الهيمياء مركبات من خواص سماوية تضافُ لأحوالِ الأفلاكِ، يَحصلُ لِمن عملَ له شيء من ذلك ـ أُمورٌ معلومة عند السَّحرةِ ـ تسلبه إدراكه، أو تُؤثِرُ عليه فتصبحُ حاله كحال النائمِ من غير فرق، حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير، وحدوث الأولاد، وانقضاء الأعمار، وغير ذلك، في ساعة ونحوها من الزمن اليسير[٢]. والأقرب أنَّ هذا التأثير على من عمل له هذا العمل من سيطرة الشياطين، وتسلطهم على النفس، ومن تلاعبهم بالخواطر بعد إثارة الأحاسيس عند الشخص، وتهيئة أوهامه قبل تأثير هذا العمل ثم استغلالها، وقد يكون التأثير على البدن بسبب تضييق بعض مجاري الدم في البدن، أو نحو ذلك، وكلٌّ ما يتصوره في هذه الحالة من الأوهام التي لا حقيقة لها، والله أعلم.

الثَّاني عشر ـ السيمياء[٣]:

السيمياء عبارة عمَّا تركب من خواص أرضية، كدهن خاص، أو

---

(١) الهيمياء: بكسر الهاء بعدها مثناة تحتية، فميم فياء بعدها ألف التأنيث الممدودة. هكذا في أضواء البيان (٤/ ٤٥٢).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٤٥)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٢).

(٣) بكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية، فميم فياء بعدها ألف التأنيث الممدودة. وهي لفظ عبري، أصله: شيم يه، معناه: اسم الله، وقيل: يطلق على غير الحقيقي من السحر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس. انظر: مقدمة منبع أصول الحكمة (ص/ ٣)، المعجم الوسيط: مادة سيم (١/ ٤٧١).

كلمات خاصة توجب إدراك الحواس الخمس، أو بعضها بما له وجود حقيقي، أو بما هو تخييل صرف[١].

وهذا النوع من السحر تخييلي، ويتأتى بأمرين:

إمَّا بتأثيرِ عقاقيرٍ بخواصها، وهذا ليس سحرًا بالمعنى الاصطلاحي، وإما بكلمات خاصة، وهذا لايحصل بمجرد الكلام، إنَّما هو بمعين من الشياطين يكون منهم التخييل على الحواس بعد ذلك الكلام الذي يستدعي به السَّاحرُ ذلك المعين[٢].

وهذ الكلامُ خضوعٌ وتذللٌ للشياطين، يعاوضون عنه السَّاحر بما يريدُ من الغش والخِداعِ، ولا شكَّ بِحرمةِ هذا لكونه شِركًا.

الثالثُ عشر ـ التخييلات، والأخذ بالعيون، والشعبذة[٣]:

هذا النوع مبني على مقدمات:

أولها ـ أنَّ للبصرِ أغلاطًا كثيرة معلومة؛ منها أن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط ظنها واقفة، والشط متحركًا. وراكبُ السيَّارة، ونحوها إذا نظر إلى الأرض عن يمينه، أو عن شماله، ظنها متحركة كذلك.

وثانيها ـ أنَّ القوة الباصرة إنَّما تَقِفُ على المحسوسات وقوفًا تامًا إذا أدركتها في زمان له مقدار ما. فإن كان الزمنُ قصيرًا جدًا، ثم أدركت

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٤٥)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٢).

(٢) انظر: في شرح هذا النوع وبيانه عند أهله شمس المعارف (ص/ ٣٩٢ـ٣٩٥).

(٣) الشعبذة، والشعوذة لعب بخفة يرى الإنسان منه الشيء بغير ماعليه أصله في رأي العين، أي: يرى ما ليس له حقيقة. انظر: اللسان: مادة شعذ (٥/ ٢٩)، المصباح المنير (١/ ٣٣٧).

بعده محسوسًا آخر، وهكذا، فإنه يختلط بعضها ببعض، ولا تتميزُ الألوانُ. مثالُ ذلك: لو نظرت إلى مروحة ذات ألوان مختلفة، وهي لاتدور، أدركت جميع ألوانها، وعند استدارتها لا ترى تلك الألوان، وإنَّما ترى لونًا واحدًا، كأنه مُركبٌ من جميعها.

وثالثها ـ أن انشغال النفس بشيء معين يصرِفها عن ماسواه، وهَول الموقفِ يَطغى على مادونه، ونحو هذا مما هو معروف(١). يقول الإمامُ الرَّازي بعد أن أطال في بَيانِ تلك المقدمات: «إذا عرفت هذه المقدمات سَهُلَ عند ذلك تصورُ كيفية هذا النوع من السِّحر، وذلك لأنَّ المشعبذ الحاذق يُظْهِرُ عملَ شيءٍ، ويُشْغِلُ أذْهَان النَّاظِرين به، ويأخذُ عُيونَهُم إليه، حتَّى إذا استغرقهم الشغلُ بذلك الشيء والتحديقُ نحوه، عملَ شيئًا آخرَ عملاً بسرعةٍ شديدةٍ، فيبقى ذلك العمل خفيًا لتفاوت الشيئين: أحدهما: اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني: سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني. وحينئذ يظهر لهم شيءٌ آخر غير ماانتظروه، فيتعجبون منه جدًا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه؛ لفطن الناظرون لكل ما يفعله»(٢).

وهذ النوع تخييلٌ لا حقيقة لما يفعله السَّاحرُ فيه من فعل، وإن

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٤ـ٥٦)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١١)، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٠)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢)، أضواء البيان (٤/ ٤٤٧).
(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢١١)، وانظر: الفصل (٥/ ١٠٤).

ظنَّه بعضُ من يراه أمرًا خارقًا؛ لأنَّه ـ كما سبق ـ نتيجة خدعة للبصرِ. ولا شكَّ في دخوله في اسم السِّحر الاصطلاحي؛ لأنَّ السِّحرَ ليس على درجةٍ واحدةٍ في حكمه وأثره، وإن خلا من الاعتقاد الفاسد بالنسبة لفاعله، فهو لم يخلُ من الكذبِ، والغشِ، والخِداعِ في أقلِّ أحواله، كما أن تضليل الرائي قد يكون سببًا في تغيير معتقده فيظنُّ أنَّ لذلك الفاعل قدرةً وتأثيرًا معجزًا فيما فعله إذا كان الرائي ضعيف الإدراك، فهذا السِّحرُ وإن لم يكن فاعله مُشْرِكًا، فقد تسبب في حصوله. وليسَ من هذا سِحرُ سحرة فرعون، حيث لم يكن منهم غير إلقاء الحبال والعِصي، ثم تراءى للناس أنها متحركة، فكان سحرهم بفعل آخر أثر على الأعين هو نوع من الاستخدامات، فكان أقوى الآثار في علاجه إتلاف ما وضع أمام الأعين لتدبير المكيدة، والله أعلم.

هذه هي الأقسامُ التي رأيتُ دخولها في مفهوم السحرِ الاصطلاحي، وإلاَّ فقد ذكر أكثر من ذلك؛ لأن هناك من يتوسعُ في مفهومه، وقد ذكر ابن عاشور[١] في تفسيره أصولاً ثلاثة يرى أن جميع أنواع السحرِ لا تخرج عنها. **قال**: «**الأولُ** ـ زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما يعتاده السَّاحرُ من التَّأثير النفساني في نفسه، ومن

---

(١) هو محمد الطاهر بن عاشور، أحد علماء تونس من بلدة المرسي، تولى القضاء سنة (١٣٣١هـ)، وبقي في هذا المنصب عشر سنوات، ثم أسندت إليه الفتيا سنة (١٣٤١هـ)، له مؤلفات أعظمها التفسير الذي مكث في تأليفه قرابة أربعين عامًا، وقد أتمه سنة (١٣٨٠هـ). انظر: مقدمة تفسيره ونهايته (١/ ٦، ٣٠/ ٦٣٦).

الضعفِ في نفس المسحور، ومن سوابق شاهدها المسحور واعتقدها، فإذا توجه إليه السَّاحرُ سُخِّر له، وإلى هذا الأصل الإشارة بقوله تعالى في ذكر سحرة فرعون: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾[(١)]

الثاني ـ استخدامُ مُؤثرات من خصائص الأجسامِ من الحيوانِ والمعدنِ، وهذا يرجع إلى خصائص طَبيعِيَّة كخاصيةِ الزئبق، ومن ذلك العقاقير المُؤثرة في العقول صلاحًا أو فسادًا، والمُفَتِرَة للعزائم والمخدرات والمرقدات على تفاوت تأثيرها[(٢)]. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى في سحرة فرعون: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾[(٣)].

الثالثُ ـ الشعوذة، واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج، حتى يُخيل الجمادُ متحركًا، وإليه الإشارةُ[(٤)] بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[(٥)]. هذه أصولُ السِّحر بالاستقراءِ، وقد قسَّمها الفخرُ الرَّازي في التفسير إلى ثمانية أقسام، لا تعدو هذه الأصول الثلاثة وفي بعضها تداخلٌ»[(٦)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

(٢) هذا الأصل مما يؤثر بخواصه مع كل من يتعاطاه أيًا كان، من غير لوازم اعتقادية كالبنج ونحوه، فلا يعد سحرًا بالمعنى الاصطلاحي، ويختلف الحكم فيه بحسب الحال، بخلاف السحر فهو محرم بكل حال، وإن اختلفت فيه درجة التحريم.

(٣) سورة طه، الآية: ٦٩.

(٤) بحسب زعمه.

(٥) سورة طه.

(٦) تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٣).

وبإلقاءِ نظرة على هذه الأصول التي زعم ابن عاشور: أنها أصول السحر بالاستقراءِ، وأنَّه لا يخرجُ عنها شيءٌ منه، يظهرُ أنَّ السِّحر عنده هو مالا حقيقة له، أو ماليسَ سِحرًا على التحقيقِ، ويخرجُ عن أصولهِ هذه مما ذكرته من أنواع السِّحرِ: الثاني، والثالث، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر. ويدخلُ في أصولِه منها: الأول، والرابع، الثاني عشر، والثالث عشر؛ لأنَّ هذا مما لاحقيقة له من السِّحر. وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ بَيانُ المذاهب في هذا[1].

---

(١) انظر: (ص/٤٦ـ١٠٢).

المبحثُ الثالثُ
السِّحرُ حقيقة أو تخييل

تحرير محل النزاع:

سبق ذكر الاختلاف في تعريف السِّحر، وذلك دليل على الاختلاف في تحديد مفهومه، ومرَّ ذكر أقسامه، ويظهر للناظر تباينها وتشعبها، واختلاف مبناها ومعناها. مع أنَّ السِّحر ليس محل خلاف من حيث هو فهو موجود ومسَلَّم بذلك[١]، وإنما محل الخلاف ـ كما يفهم من كثرة التعريفات وتباينها ـ في ذات السِّحر، هل هو مما له حقيقة أولا؟. أو أنَّ منه أنواعًا لها حقيقة، وأخرى لا حقيقة لها، أما التعريفات الاصطلاحية السابقة فلم يشتمل واحد منها على أمرين معًا، ما كان له حقيقة وأثر، وما كان تخييلاً، بل انصب كل تعريف على أحد هذين الأمرين. فالخلاف دائر بين إثبات حقيقة السِّحر وأثره، وبين نفي ذلك،

---

(١) أي عند الجمهور خلافًا لمن أنكر ذلك، كما قال الإمام النووي فيما يرويه عن المازري. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٤). ويوضح المراد بهذا النفي ما نقل ابن حجر عن الخطابي من القول بأن هناك من أنكر السحر مطلقًا، ورأى ابن حجر أن ذلك مكابرة إلاَّ على معنى إنكار حقيقته. انظر: الفتح (١٠/ ٢٢٢)، ورأي ابن حجر هو الحق حيث جاء ذكر السِّحر عن الأمم قديمًا وحديثًا، كما ذكر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [سورة الذاريات]. فالإنكار على وجه الإطلاق مستبعد لمخالفته المنقول والمشاهد، والله أعلم.

ولم أرَ تعريفًا لمن ذهب إلى أن السِّحر منه ماهو حقيقة، ومنه ماهو تخييل، فوضعت ذلك التعريف، الذي رأيت أنه جامع لهما، وفيما يلي سأتعرضُ لبيان الرأيين والتحقيق في ذلك إن شاء الله تعالى.

أولاً- نفاةُ حقيقة السِّحر:

أنكر المعتزلة[(١)] من أنواع السِّحر ما كان له حقيقة وأثر، وجعلوه ضربًا واحدًا: هو ما يحصلُ به الإضرار، من التمويه والحيلة على وجه خفي.

يقول القاضي عبدالجبار: «إنَّ السِّحرَ في الحقيقة لا يوجب المضرة؛ لأنه ضربٌ من التمويه والحيلة، وإنما يقع به التقريع والتخويف، فيؤدي ذلك إلى أمراض ومضار، ويكون بنفسه إقدامًا على مضرة على وجه يلطف فسمي بذلك»[(٢)].

كما أنكر حقيقة السحر أيضًا جماعة من العلماء من غير المعتزلة،

---

(١) هم من يلقبون بالقدرية والعدلية، وقد اختلف في سبب تسميتهم بالمعتزلة، فقيل: لاعتزالهم قول الأمة في مرتكب الكبيرة، وقيل: لاعتزال أول رجال هذه الفرقة ـ واصل بن عطاء ـ مجلس الحسن البصري، وقد افترقت المعتزلة إلى عشرين فرقة يُكفِّرُ بعضها بعضا، ومما يجمعهم القولُ: بأن الله قديم، وأن العبد خالق لأفعاله، وأنَّ الله لا يفعل إلاَّ الصلاح وغير ذلك. انظر: الفَرْقُ بين الفِرَق (ص/ ٢٤، ١١٤ـ٢٠١)، الملل والنحل (١/ ٨٣ـ٨٥).

(٢) متشابه القرآن (١/ ١٠١). وانظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٨، ٢٩)، الكشاف (١/ ٨٥، ٨٦)، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص/ ١١٥، ١١٦)، تأويل مختلف الحديث له (ص/ ١٧٧، ١٧٨)، كتاب النبوات لابن تيمية (ص/ ١٠٢)، البحر المحيط (١/ ٣٢٧)، التحرير والتنوير (١/ ٦٣٧).

ورأوه تخييلاً لا حقيقة له، منهم الإمامُ أبومنصور الماتريدي[١]، وأبوبكر الجصاص من الأحناف[٢]، وأبوإسحاق الاسترباذي من الشافعية[٣]، والإمام ابن حزم في ظاهر قوله[٤] وغيرهم[٥].

ويستدل هؤلاء على إنكار أثر السِّحر بأدلة كثيرة عقلية ونقلية.

أ ـ الأدلة العقلية:

١ ـ إن حصول الأثر المناقض للعادة بفعل السَّاحر لا يمكن معه العلم بالفرق بين مايختص الله تعالى بالقدرة عليه، وبين مقدور العباد[٦].

٢ ـ القول بأن للسحر أثرًا ممَّا لا يمكن معه التمسك بالنبوات، لتعذر الاستدلال بالمعجزات عليها؛ لأن تجويز حصول ما يناقض العادة

---

(١) انظر: كتاب التوحيد له (ص/ ٨٩، ٢٠٩). وذكر ابن كثير في تفسيره نقلاً عن كتاب الوزير أبي المظفر بن هبيرة: أن لاحقيقة للسحر عند أبي حنيفة، انظر: (١/ ٢١٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن له (١/ ٦٠، ٦٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦)، البحر المحيط (١/ ٣٢٧)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢)، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٧)، ولم أجد المكنى بأبي إسحاق الاسترباذي من الشافعية فلعل إطلاق الكنية غير صحيح، أو لم يرد له ترجمة فيما اطلعت عليه.

(٤) انظر: الفصل له (٥/ ٩٩ـ١١٠)، الأصول والفروع له أيضًا (٢/ ٣٠٣، ٣٠٤)، وكذا رسالة الدرة في الاعتقاد (ص/ ١٠٣ب ـ١٠٤ب)، المحلى (١/ ٤٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٢/ ٤٤)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٢).

(٦) انظر: متشابه القرآن (١/ ١٠٢، ٢٩١)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ٩٩، ١٠٠).

بفعل السَّاحر، مما يجوز كون ما يأتي به الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من جنس ما يأتي به السحرة من الخوارق(١).

٣ ـ إن عدم حصول السحرة على الأموال العظيمة من غير تعب مع شدة الرغبة فيها، والتعطش إليها دليل عدم استطاعتهم قلب الأعيان بوساطة سحرهم، إذ لو أمكنهم ذلك؛ لقلبوا غير الذهب ذهبًا، وأغنوا أنفسهم، وفي عدم حصول ذلك المطلوب لهم دليل على عدم قدرتهم عليه، وعلى أمثاله مما لايجوز للعبد إيقاعه إمَّا لكثرته، وإمَّا لوجه مخصوص لا يتأتى منه إيقاعه عليه(٢).

ب ـ الأدلة النقلية:

١ ـ قول الله تعالى عن السِّحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٣)، وجه ذلك أنَّ الله تعالى ربما أحدثَ عند فعل السحر، الخلاف والنشوز بين الزوجين، وربما لم يحدث شيئًا من ذلك فدلَّ ذلك على أن ليس للسحر أثر في نفسه(٤).

---

(١) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (١/ ١٠٢، ٢٩١)، المغني له (١٥/ ٢٢١ـ٢٢٥)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ١٠٤)، الأصول والفروع (٢/ ٣٠٣)، الدرة في الاعتقاد (ص/ ١٠٣ب ـ١٠٤ب)، غاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص/ ٣٣٤)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢٠٦، ٢١٤).

(٢) انظر: متشابه القرآن (١/ ٢٩١)، التفسير الكبير (٣/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٤) انظر: متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (١/ ١٠١)، الكشاف للزمخشري (١/ ٨٦)، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٤٤، ٦٤٥).

٢ ـ قول الله تعالى حاكيًا صنيع سحرة فرعون: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾[(١)]، على معنى أنهم خَيلُوا إلى الأعين، وأروها بالحيل والشعوذة ماالحقيقة بخلافه، حيث أوهموا الناس فيما رأوه أن تلك الحبال والعصي تسعى، وتلك ظنون لا حقيقة لها، كَادُوا عُيونَ الناس بها، ولو فتشوا تلك الحبال والعصي لَلاحَ لهم الحق، ووقفوا على الحيلة في ذلك، وهي أنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصي، فملؤها زئبقًا ولَّدَ فيها تلك الحركات بفعل الحرارة، وهذا من السحرٍ العظيم في بابه[(٢)].

٣ ـ قول الله تعالى في وصف سحر سحرة فرعون: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[(٣)]. ووجهُ الاستدلال أن الله تعالى أخبر عن عمل أولئك السحرة، أنَّه إنَّما كان تخييلاً، لا حقيقة له، حيثُ لم يقل تسعى على الحقيقة، ولكن قال يخيلُ إليه[(٤)].

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/ ١٠٣، ١٠٤)، الكشاف (٢/ ٨١، ٨٢)، التفسير الكبير للرازي (١٤/ ٢٠٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٠٥، ٢١٠)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨).

(٣) سورة طه.

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢)، الفصل (٥/ ١٠٣)، الكشاف (٢/ ٤٣٩، ٤٤٠)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٤)، الجامع لأحكام القرآن =

٤ ـ قول الله تعالى مخبرًا عن صنيع سِحرِ سَحَرة فرعون: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]، ووجه الاستدلال أن الله تعالى أخبر عن هذا العمل بأنه لا حقيقة له افتعلوه مكيدة، قال تعالى عن تلك الحالة: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[2]، أي: يقلبونه من الحقِّ إلى الباطلِ ويُزَوِّرُونَه[3].

٥ ـ ماجاء في الحديث الصحيح من أنه ﷺ حين سُحِرَ، كان يُخيلُ إليه أنه يفعلُ الشيء وما يفعله، لما روى البخاري بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «سحر رسول الله ﷺ رجلٌ من بني زريق، يُقالُ له لبيدُ بن الأعصم، حتَّى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتَّى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا، ودعا، ثم قال ياعائشة: . . . . الحديث»[4].

= للقرطبي (٢/ ٤٦)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٢٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٥، ٢١٠)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢، ٢٢٥)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٧)، ٤٣٨).

(١) سورة طه.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (٥/ ١٠٣)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٨٢، ٤٤٠)، التفسيرالكبير للرازي(١٤/ ٢٠٤)، أضواء البيان(٤/ ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٠).

(٤) صحيح الإمام البخاري كتاب الطب، باب السحر وقول الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ (٧/ ١٧٦، ١٧٧). وانظر: من الكتاب نفسه باب هل يستخرج السحر، وباب السحر (٧/ ١٧٧، ١٧٨). كما ورد أيضًا=

ودلالة الحديث ظاهرة وهي التصريحُ بأن تأثير السِّحر إنما كان تخييلاً لا حقيقة له، ولو كان حقًّا لما استحقَّ الذم أولئك الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾[١] بسبب هذا القول[٢]، والله أعلم.

مناقشة الأدلة:

أولًا ـ الأدلة العقلية:

أدلة نفاة حقيقة السِّحر وأثره، تقوم على أن وجود الحقيقة والأثر لهذا العمل موجب لحصول جميع الحقائق، ووجود كل الآثارِ، الأمر الذي يترتب عليه ـ على زعمهم ـ عدم التفريق بين مقدور الخالق، ومقدور المخلوق، فتتعذر لذلك معرفة صدق النبوة.

والحقيقة أن كل ما استدلوا به من العقل، لا يرقى إلى درجة

= في كتاب الجزية، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر (٤/ ١٢٣)، وفي كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٤٨)، وفي كتاب الأدب باب قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ (٨/ ٢٢، ٢٣)، وكتاب الدعوات باب تكرار الدعاء (٨/ ١٠٣).

وانظر: صحيح الإمام مسلم كتاب السلام، باب السحر (٤/ ١٧١٩، ١٧٢٠)، سنن النسائي كتاب تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب (٧/ ١١٢، ١١٣)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٧) (٦/ ٥٠، ٥٧، ٦٣، ٦٤، ٩٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٢ـ٩٤).

(١) سورة الفرقان.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٤)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٢٧)، فيما حكياه من أدلة من نفي أن للسحر حقيقة.

الاستدلال عند التحقيق، ولا يعدو أن يكون شُبهًا عقلية يمكن الجواب عليها على وجه الإجمال بما يلي:

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى متفردٌ بالخلق، والنفع، والضرِّ، والإتيان بالآيات، قال سبحانه في أول فاتحة الكتاب الكريم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[(١)]، والربُّ هو المالك، والسيِّد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم، وهذه معاني كلمة «الرَّب»، ولا تصح على إطلاقها إلاَّ لله؛ لأنه المتفردُ بالخلق والملك، وتدبير الشئون[(٢)]، وقد ذكر سبحانه في كثير من الآيات تفرده في خلق المخلوقات، منها قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾[(٤)] ومن قال غير هذا فهو مشرك في ربوبية الله.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ

---

(١) سورة الفاتحة.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص/ ١٨٤، ١٨٥)، لسان العرب (١/ ٣٨٤، ٣٨٥)، المصباح المنير (١/ ٢٢٩).

(٣) سورة الفرقان.

(٤) سورة الزمر.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٧.

كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾[٣].

فيما سبق من الآيات يبين الله ـ تبارك وتعالى ـ تفرُّده بالخلق، والإتيان بالآيات بخلقه وأمره، وذلك مقتضى الربوبية المطلقة له ـ تبارك وتعالى ـ، فمن اعتقد أن غير الله تعالى قادر على التصرف في شيء من العالم، على سبيل التأثير أو الإيجاد كان مشركًا بالله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى وحده هو المتصرفُ في شئون خلقه[٤]، وقد ذكر سبحانه وتعالى: «أنه حكيم» في القرآن في اثنين وتسعين موضعًا مقرونًا بكونه عليمًا، أو عزيزًا، أو خبيرًا، أو عليًا، أو توابًا، أو واسعًا، أو حميدًا، ومن هو كذلك لن يدرك المفتقرون من عظمة الصنع، ودِّقة الإتقان إلاَّ النزر اليسير، كما أخبر تعالى عن قلة ما عليه الخلق من العلم بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٥]، وقد رتب الحكيم الخبير مخلوقاته ترتيبًا عجيبًا، وربط الأسباب بمسبباتها، فهي تسير على هذا الوفق بنظام مُحْكمٍ دقيقٍ لا يتغير، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ

---

(١) سورة الأنعام.
(٢) سورة الأنعام.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠.
(٤) انظر: كتاب النبوات لابن تيمية (ص/ ٢٧٥ـ٢٧٨).
(٥) سورة الإسراء.

سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾[1]، وقد جعل سبحانه هذا العالَم الفسيح مترابطًا، تحكمه قوانين غاية في الدِّقةِ، يرتبطُ بعضها ببعض، وفي هذا العالَم أسبابه ومسبباته، وليست الأسباب فاعلة ولا موجبة، ومن جعلها مبدعة فقد أشرك في ربوبية الله تعالى؛ لأنَّ الاستقلال بالفعل من خصائص الرَّبِ ـ سبحانه وتعالى ـ خالقُ الأسباب ومسبباتها، كما أن محو الأسباب نقصٌ في العقل، وطعن في الشرع، والإعراض عنها قدحٌ في الشرع والعقل.

٢ ـ إنَّ خوارق العاداتِ ليست نوعًا واحدًا، ولا مرتبة واحدة، بل هي أنواع ومراتب، فأنواعها ثلاثة:

الأول ـ ما يُعينُ صاحبه على البرِّ والتقوى، فهذه أحوال الأنبياءِ ومن تبعهم، خوارقهم لِحُجّة في الدين، أو حاجة للمسلمين، وهذه أكملُ الخوارق وأعلى الأنواع.

الثاني ـ ما يعينُ على مُباح، كمن تعينه الجنُّ على قضاء حوائجه المباحة، ويُعدُّ من هذا من بعض الوجوه تسخير الجنِّ لسليمان ـ عليه السلام ـ.

الثالث ـ ما يعينُ على محرمات، كالفواحش والظُلم والشرك، والقول الباطل، ومن هذا النوع: خوارق السحرة والكُهان ونحوهم، وهذه الخوارقُ تحطُ صاحبها وتقصيه؛ لأنها لا تقوى، ولا تظهر إلاَّ

(١) سورة الملك.

بالابتعاد عن الله تعالى، وهذا أدنى الأنواع، وهو مشتمل على كثير من المحرمات(١).

ومراتب الخوارق ثلاث أيضًا:

الأولى ـ آيات الأنبياء، وبراهينهم الدَّالةُ على صدقهم.

الثانية ـ كرامات الصَّالحين، وتعدُّ من آياتِ الأنبياء، لكنها ليست من آياتهم الكبرى، ولا مما يتوقفُ عليها صدقُ النبوة، مما يكون خارقًا لعادة غير الأنبياء مطلقًا، بل هي معتادة في الصَّالحين من جميع الأمم(٢).

الثالثة ـ خوارق الكفَّار، والفجَّار كالسحرة والكهان، وما يحصلُ لبعضِ المشركين وأهل الكتاب، والضُّلال من المسلمين(٣).

وعلى هذا فكل ما يجري على أيدي السحرة من الحقائق وحصول الآثار، ليس هو مما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى، ولا مما يختص به الأنبياء، وإنما هو من مستطاع الإنس والجن لا يخرج ذلك عنهم، بخلاف آيات الأنبياء، فهي خارجة عن مقدور الثقلين؛ لأن الرُّسل أرسلت إليهم. يقول تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾(٤)، ومعلوم أن النبي إذا دعا الجن والإنس إلى الإيمانِ بالله تعالى، فلابدَّ أن يأتي بآياتٍ خارجة عن مقدورهم جميعًا، وجنس مقدورات الجنِّ والإنس واحدة،

---

(١) انظر: كتاب النبوات للإمام ابن تيمية (ص/ ١٠، ١١، ٢٦٠ـ٢٦٣).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص/ ٤، ٥، ٢٨٢).

(٣) انظر: المرجع السابق (ص/ ٤، ٥، ٢٦٠).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٠.

لكنَّها تختلف في المواضع؛ فإنَّ الإنس قادرون على الضرب حتى المرض، أو الموت، أو التسببِ في المرض، أو الموت، أو الحب، أو البغض بمجرد الكلام بسباب، أو تخويف، أو بالسعي بالنميمة بين الناس، أو نحو ذلك، كالإصابة بالعين وهي حق[١]، وما يحصلُ من

---

(١) لفظ «عين» تقع بالاشتراك على أشياء مختلفة، والمراد هنا منها «المبصرة» وجمعها أعين وأعيان وعيون. انظر: المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (ص/ ٣٣٤)، المصباح المنير (٢/ ٩٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٧).

والمراد بالعين التي هي حق: أن الإصابة بها وتأثيرها متيقن، وهي وسيلة الإصابة غالبًا، والتأثير يكون بالنفس أو منها بعد رؤية العين، أو استثارة شعور العائن نحو شيء مرغوب للعائن، وتحصل من الإنس والجن.

وقيل في تعليلها: إن العائن إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينة قوة سمية تتصل بالمعين فيتضرر.

وقيل: لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، تتصل بالمعين وتتخلخل مسام جسمه فيحصل له الضرر. وتأثيرُ الحاسدِ في أذى المحسود أمر لا ينكره إلاَّ من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين؛ فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة وتقابل المحسود فتؤثر بتلك الخاصية.

ولا يشترط للتأثير الاتصال الجسمي ولا الحسي، إنما العامل في هذا توجه الروح نحو من تؤثر فيه، حصلت معها الرؤية، أو لم تحصل، فتخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود تصيبه تارة وتخطئه أخرى، وفي الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء بالأدعية المشروعة وقاية وشفاء من ذلك، والأحاديث في أن العين حق، وأنه لو كان سابق القدر شيء لسبقته العين؛ أحاديث صحيحة رواها أهل الصحاح والمساند والسنن. انظر: الطب النبوي لابن القيم (ص/ ١٢٧ـ١٣٦).

جرائها معلوم، وهذه كلها من الأمور الموجودة بين الإنس. والجن بحكم خلقتهم قادرون على الطيران في الهواء، والسيرِ على الماء، وقطع المسافات البعيدة في الزمن القصير، وهذه الأعمالُ لا تختلفُ في جنسها عن مقدورات الإنس، لكن باختلاف المحل، فالإنس يسيرون على الأرض بحكم الخلقة، والجنُّ بوساطة الهواء بحكم خلقتهم، لهذا فحركتهم أسرع، وتغلغلهم أنفذ، فإذا حصلَ لأحدٍ من الإنس عونهم، أظْهرَ من الأعمال ما يخفى على الكثيرين، فيتوهمون أنه من الأمور التي لا يستطيعها الخلق، والواقع بخلاف ذلك، فكل ما يجرى على أيدي السحرة والكهان؛ لايخرج عن كونه مستطاعًا للإنس والجن، وهذا من التصرفِ في أعراض الحي؛ فإن الموت، والمرض، والحركة أعراض، والحيوان يقبل مثل هذه الأعراض في العادة، وليس في هذا قلب جنس إلى جنس، ولا في هذا ما يختص الربُّ تعالى بالقدرة عليه، ولا مايختصُّ بالملائكة. وقد أخبر تعالى عن العفريت من الجنِّ أنه قال لسليمان ـ عليه السلام ـ عن عرش بلقيس وهو باليمن، وسليمان ـ عليه السلام ـ بالشام: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(١).

فمن مقدور الجن مثل هذه الأعمال، وبالإمكان أن تعملها مع الإنس، فتنقلهم من مكان إلى مكان، أو تُحضر لهم بعض الأشياءِ التي لم يُذكرِ اسم الله عليها، كما ينقلون الأخبار التي يسمعونها، ويُخبرونَ بما شاهدوهُ، أو ما استرقوهُ من السمع، وكلُّ هذا بخلاف ما يأتي به

---

(١) سورة النمل.

الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من الآيات، فهي خارجة عن مستطاع الجنِّ والإنس، مع أن الفروق كثيرة جدًا بين النوعين من حيث أهلُ هذا، وأهلُ هذا، ومن حيثُ جنس هذه، وجنسُ هذه.

فالأنبياءُ ـ عليهم السلام ـ يدعون إلى عبادة الله تعالى وحده دون سواه، وإلى مكارم الأخلاق، ويتحلونَ بالصدقِ والعدلِ والبرِّ والإحسانِ، والإخلاصِ في القولِ والعملِ، وينهون عمَّا يخالفِ ذلك، ويأتون بالآيات والبراهين الدَّالة على صدقهم مما هو غيرُ معتاد لغيرِ الأنبياء، ولا يُنالُ بالاكتساب، ولا يمكن معارضته. أمَّا غيرُ الأنبياء من أهلِ السِّحرِ والكهانة وأهل الشرك والضَّلال، فهم أعداءُ الدِّين الحق، والعبادة الصَّحيحة، حيث يكثرون في الأماكن التي يقلُّ فيها الدِّين الصَّحيح، ويقلُّ فيها العلمُ والعبادة الحقَّة، وهُم أهلُ الفواحش والظُّلم، والعُدوان على الخلق، والكذب، والفجور، والشرك، والقول على الله بلا علم، ويُلَبِّسونَ على السُّذج بخوارق معتادة لدى من يُحسنها، فهي مكتسبة، يمكن معارضتها بمثلها، وبأقوى منها لدى من هم من أهلِ ذلك[1]، والله أعلم.

٣ ـ القائلون بأن من السِّحر ماله حقيقة وأثرًا، لايطلقون الحكم

---

(١) راجع في هذا: الإرشاد للإمام الجويني (ص/ ٣٢١ـ٣٢٣)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦، ٤٧)، كتاب النبوات للإمام ابن تيمية (ص/ ٥ـ٨، ١٢، ٢٢، ٢٠٦، ٢٥٨، ٢٥٩)، إيثار الحق على الخلق لابن المرتضي (ص/ ٦٧، ٦٨)، البرهان القاطع لابن المرتضي (ص/ ٢٢ـ٢٦)، التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٢٠٢).

بحصول كل تأثير مهما كان، بل في نطاق معين.

وقد ذكرت في الوجه الأول والثاني من هذا الرد: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالقُ المتصرفُ المُوجِدُ من العدم، وقد خلق كل ماسواه ورتَّبه بحكمة بالغة، ودقة متقنة، ربط بها الأسباب بمسبباتها، وهو خالق الأسباب ومسبباتها، فالعالم يسير بموجب هذه السنن والقوانين الثابتة، فلا تخرق إلاَّ بفعله سبحانه، تأييدًا لمُرسَلٍ من قِبَله؛ دلالة على صدق رسالته. ومن حكمة الله تعالى أن جعل في هذه الأرض قُوت أهلها، حيث يقول: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠﴾[1] قدَّر الأرزاق بأسبابها، وربط أرزاق البشر بعوامل عديدة، داخلة في إطار الابتلاء بحسن العمل في عبادة الله تعالى، فجعل من نزعات الإنسان ورغباته المُلِحة؛ حب المال، وهو طريق حصوله على كثير من متطلباته، الأمر الذي تشتد معه الرغبة فيه، والسعي إليه. فابتذال أسبابه، والتلاعبُ بأعيانه، مما تتخلف معه الحكمة، لهذا ـ والله أعلم ـ كان التبديل، أو التغيير في مادته، يحتاج إلى مثل قيمة المبدل أو أكثر، سبحان من قال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[2].

وما قلته الآن استطرادًا، وإلاَّ فقد ذكرت في الوجه الثاني: أن قدرة السَّاحر لا تصلُ إلى قلبِ الحقائقِ الثابتة. وما يحصل بالسحر من

---

(١) سورة فصلت.

(٢) سورة السجدة، الآية: ٧.

أثر أو تأثير إنما هو في التصرف في الأعراض، من باب التأثير على الروح أو البدن، وذلك واضح، وقد سبق. وليس قلب المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة من مستطاع السَّاحر بمجرد سحره[١]، والله أعلم.

ثانيًا ـ الأدلة النقلية:

جملة ما استدل به نفاة حقيقة السحر وأثره نقلاً نوعان:

الأول ـ نفي الضَّررِ بالسحرِ، وهذا ـ على زعمهم ـ بناء على قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢].

الثاني ـ أنه تخييل على الأعين، ومكيدة مزورة، وهذا مبني على أكثر من دليل: ماجاء في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣]، وما في سورة طه من قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾[٤]. وماجاء في الحديث الصحيح من أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين سُحر: «**كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**»[٥].

وفي الجواب عن النوع الأول أقول كما قلت في الوجه الأول من مناقشة الأدلة العقلية: إنَّ الخالق المطلق هو الله تعالى

---

(١) يراجع في هذا: فتح الباري (١٠/ ٢٢٢، ٢٢٣).
(٢) الآية: ١٠٢.
(٣) الآية: ١١٦.
(٤) سورة طه، الآية: ٦٩.
(٥) سبق تخريجه (ص/ ٥٠ـ٥١).

وحده[١]، وكلُّ ما يجري في الكون فهو مراد بإرادته الكونية، وهذا مقتضى الربوبية المطلقة، فلا يكون في كونه إلاَّ ما يُريد، وإلاَّ كان خارجًا عن حكمه وسيطرته، فيكون إلهًا مع الله، أو مألوهًا لآخر سوى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾[٢]، وعدم فسادها دليل على تفرد الله تعالى بالألوهية، ولكنَّ العليم حين خلق الخلق ليبتليهم؛ وضع في هذا الكون أشياء بهايحصلُ الابتلاء، فأوجد الأسباب وربطها بمسبباتها، وجعل لكل شيء خصائص ومميزات، وخلق أهل التكليف بفطرة وعقل، وأرسل إليهم الرسل بالهدى والنور، وبالأمر والنهي، وما فعله المكلف من مأمور به، أو منهي عنه، لم يخرج عن إرادة الله وخلقه، من غير أن يلغي إرادة المكلف وفعله، وأثر الآلة التي تكون وساطة في الفعل، وهذه مسألة القدر المعروفة، أحببتُ الإشارة إليها هنا؛ لعلاقتها بهذا الدليل الذي نحن بصدده، وإلاَّ فتفصيل ذلك يطول. وقد فسرت الآية ـ التي نحن بصددها بما يدلُّ على عكس ما استدل به نُفاة حقيقة السِّحر وأثره ـ بالقول بأن ما يحصل من الضرر بإرادة الله وقضائه، أو بتخلية الله بينه وبين ما أراد، أو بعدم حصول الضرر على أحد إلاَّ لمن شاء الله تعالى تسليطهم عليه[٣]، يقول الإمام الرَّازي في معرض استدلاله على

(١) انظر: (ص/ ٥٢ـ٥٤).
(٢) سورة الأنبياء.
(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٥٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٠٦، ٢٠٧).

وقوع بعض أنواع السحر بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(١)] «والاستثناء يدلُّ على حصول الآثار بسببه»[(٢)]، يوضح هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[(٣)]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[(٤)]، فنفى سبحانه وتعالى في الآيتين مشيئة المخاطبين إلاَّ أن يشاء الله تعالى ذلك، وليس النفي دالاً على نفي مشيئة المكلفين مطلقًا، حيث جاء إثباتها لهم كما هنا في قوله «لمن شاء»، ولكن المنفي هو الاستقلال بالفعل، ولا يستقل بالفعل إلاَّ الربُّ سبحانه وتعالى.

الجواب عن النوع الثاني من الأدلة النقلية من طريقين:

الأول ـ المنع مطلقًا من دلالة الأدلة على نفي الحقيقة، وحمل التخييل الوارد فيها على أنه في نظر المسحور، وذلك ناشيء عن السِّحر الذي أثر في العيون، فأصبحت ترى الشيء على غير ماهو عليه، فترى الحبال والعصي الجامدة متحركة، وهي في نفسها لاتتحرك، فأثر السحر على العَين دون المُعَايَن، ولولا أن له حقيقة لما حصل ذلك التأثير على النظر من جرائه[(٥)]، ولهذا ملحظ دقيق وهو على رأي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢١٣).
(٣) سورة الإنسان.
(٤) سورة التكوير.
(٥) انظر: الدر النضيد شرح كتاب التوحيد (ص/ ١٦٨).

القائلين بإثبات حقيقة السحر مطلقًا، وهذا المذهب مضاد لمذهب المعتزلة ومن وافقهم، وكلا المذهبين على إطلاقه فيه نظر، وسأبين هذا بحول الله عند التحقيق في المسألة[١].

الثاني ـ التسليم بدلالة الآيات ـ في هذا النوع من الاستدلال ـ على التخييل، وهو في سِحرِ سَحَرة فرعون ونحوه، وهذا لايمنع أن يكون غير التخييل من جملة السِّحر، ولاحُجة في هذه الأدلة على نفي حقيقة السِّحرِ مطلقًا، لكنها حجةٌ بإثبات أن التخييل من جملة السِّحر، وأن سِحر سَحَرةِ فرعون الذي كان أمام موسى ـ عليه السلام ـ من هذا القبيل، تمويه وخداع، وقلبٌ للحقائق[٢].

ولا يرد على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾[٣] في وصف سِحر سَحَرة فرعون، وذلك أن ما جاءوا به من السحر عظيمٌ في بابه، أي في نظر الناظرين لكثرة ما أتوا به من الحبال والعصي التي ألقوها أمام الحاضرين؛ فحصل بها ماحصل مما أخاف الرائين وأفزعهم، فهو عظيمٌ من هذه النَّاحية، سواء كان تحركها بوساطة الشياطين يقلبونها، أو أنهم جعلوا التغيير في الرائين، حتى رأو الحبال

(١) انظر: (ص/ ٩٤ـ١٠٢).
(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٦) (٧/ ٢٥٩) (١١/ ٢٢٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٠)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٥)، معارج القبول للحكمي (١/ ٤١٢،٤١٦)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٧).
(٣) سورة الأعراف.

والعصي تتحرك وهي ساكنة في نفسها لم يطرأ عليها تغيير أو تبدل، وهذه من أعمال السحرة. والتخييل في الحالة الثانية دون الأولى، وهو على الأعين، وذلك لا ينفي الحقيقة أيضًا، ثم إنه سحرٌ، وهذا مانتفق عليه، فالوصف بالعِظَمِ لا يُغيرُ الموصوف، ولا يصرفه عن حالته من كونه تخييلاً إلى كونه حقيقة، بل كلٌّ منهما يكون هينًا كما يكون عظيمًا[١].

وماذهب إليه منكرو حقيقة السحر، وكثير غيرهم من أن قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[٢]، بأن تلك حيلة صنعوها حيث ملؤوا الحبال والعصي بالزئبق فتحركت بتأثير الحرارة - كما زعموا - فهو بعيد[٣] لأمور:

أولها - أن الزئبق معدن رقيق جدًا، ووضعه في الحبال والعصي مدعاة لاكتشاف الحيلة التي احتالوها؛ لأن الحبال والعصي ليست أجسامًا حافظة كالزجاج ونحوه مما يحفظُ هذا المعدن الرقيق، فاحتمال تسربه، أو بعضه قوي جدًا، وهذا ماتبطل معه الحيلة، وتنكشف الخدعة، كما أن احتمال كون يوم الزينة المحدد للقاء والمغالبة غائمًا، أمرٌ وارد، وهذا مالا يمكن أن يغفل عنه السحرة، فاحتمال بطلان تدبيرهم هذه المكيدة صارف لهم عن اللجوء إليها؛ حتى لا يسقط في أيديهم ويظهر عجزهم. والقولُ بأنهم حفروا أسرابًا وجعلوا لها

---

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢٨)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٣)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٨).

(٢) سورة طه.

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢٨).

آزاجًا[١]، وملؤها نارًا، فلما طرحت الحبال، والعصي على ذلك الموضع، وحَمِي الزئبق حركها[٢]، بعيدٌ كلَّ البُعد؛ لأن هذا العمل لن يخفى على الناس، فهو في مكان عام واسع، وافتضاح هذه الحيلة ممكن في وقته، أو بعد ذلك.

ثانيها ـ أنها لو ملئت زئبقًا ـ كما زعموا ـ وتحركت لما كان سعيها تخييلاً بل هو حقيقة، ولكن التخييل باعتقادها حيَّة، وقد قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[٣]، وهذايُبعد ما قالوه، وأيضًا لو كانت تلك الحبال والعصي متحركة بالزئبق؛ لما كانت رؤية الأعين ذلك سحرًا لها، بل هوَ حقيقة ويكون السحر والحالة هذه للأفهام.

ثالثها ـ أنَّ هذا العمل لو صحَّ لايمكن عدُّه سحرًا، بَلْ هو صناعةٌ استخدمت فيها خاصية مادة الزئبق، وأعظمُ من ذلك بكثير مانشاهده الآن من الآلات المصنوعة المتوفرة في العالم، في البيوت والأسواق، وما فيها من الأمور الخفية على جمهور الناس مما يسوغ ـ على ذلك الرأي ـ جعلها سحرًا، حيث إن تحريك الزئبق لحبل أو عصى مقارنة بهذه الصناعات يعدُّ أمرًا تافهًا لا قيمة له، والله أعلم.

وأما الاستدلال بالحديث فلا يدل على نفي حقيقة السحر مطلقًا؛ لأن التخييل الذي كان يجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس هو السحر

---

(١) الآزاج: جمع أزج، وهو البناء المستطيل مقوس السطح. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٥).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

(٣) سورة طه.

وإنما أثره، والسِّحرُ هو ماكان موضوعًا في البئر، وأيضًا فالأثر الحاصل للرسول ﷺ ليس في حالة مقابلة الساحر وعمله السحر، حيث لم يعلم بذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلاَّ بالوحي.

والتخييل على الأعين لايكون في حالة عدم رؤية السَّاحر وعمله، ودلالة الحديث على أن للسحر حقيقة وأثرًا قوية جدًا، وسيأتي لهذا زيادة بيان ـ إن شاء الله تعالى[(١)] ـ.

ثانيًا ـ مثبتو حقيقة السحر:

أطلق القول بأن السِّحر له حقيقة جماعة من العلماء كابن قتيبة[(٢)]، وابن العربي، وابن قدامة، والنووي[(٣)]، وهو مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة[(٤)].

وعمدتهم في الاستدلال هو النقل، يقول الإمامُ ابن قتيبة: «وهذا

---

(١) انظر: (ص/ ٧٦ـ٧٧).

(٢) هو أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف الكثيرة، كان فاضلاً، ثقةً، سكن بغداد، وتوفي سنة ست وسبعين ومائتين وكان مولده سنة ثلاث عشرة ومائتين.
انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠، ١٧١)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٢ـ٤٤)، تفسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦ـ٣٠٢)، ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٣)، شذرات الذهب (٢/ ١٦٩، ١٧٠).

(٣) هو أبوزكريا يحيى بن شرف النووي الحافظُ الفقيهُ، شافعي صاحب التصانيف الكثيرة المنتشرة، مولده سنة (٦٣١هـ)، ووفاته سنة (٦٧٦هـ).
انظر: شذرات الذهب (٥/ ٣٥٤ـ٣٥٦)، الأعلام (٨/ ١٤٩، ١٥٠).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٤)، تفسير التحرير التنوير (١/ ٦٣٧).

شيء ـ يقصد السحر ـ لم نؤمن به من جهة القياس، ولا من جهة العقل، وإنما آمنا به من جهة الكتب، وأخبار الأنبياء ـ صلى الله عليهم وسلم ـ، وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه، خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلاَّ بما أوجبه النظر، ودلَّ عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا»(١).

وحمل أصحاب هذا الرأي كل ماورد دالاً على التخييل في السحر من النصوص، على كون التخييل فيها في نظر المسحور لا أنه السِّحر ذاته، ولولا حقيقته الثابتة لما حصل أثره على الأعين، فرأت الشيء على غير ماهو عليه ـ على رأيهم ـ، ومع هذا فقد حمل أكثرهم سِحر سَحرة فرعون على أنه من الأعمال العجيبة الخفية، التي عملت في الحبال والعصي بنوع حيلة، أو استعانة، فأحدثت سعيها. وقد مرَّ مناقشة هذا، وسيأتي له زيادة بيان(٢).

وأدلة إثبات حقيقة السِّحر ما يلي:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾(٣).

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص/ ١٨٧).
(٢) انظر: (ص/ ٧١ـ٧٢).
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

ويقول تعالى حكاية عن قوم فرعون: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[١]، ويقول تعالى فيما حكاه عن قوم فرعون: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢]، ويقول تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾[٣]، ويقول تعالى فيما حكاه عن فرعون: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ ﴾[٤]، ويقول تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٥]، وقال تعالى حكاية عن قوم فرعون: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[٦].

وجه الاستدلال بالآيات السابقة هو في خبر الله تعالى أن السحر مما يُعلم ويُتعَلَّم، وفيما أخبر الله تعالى عن قوم فرعون وعنه: وصف الساحر بأنه عليم، وأن السحر يُعلم ويُتَعلَّم وأنَّه يكفر بذلك، وهذه الصفات لا يوصف بها ما لا حقيقة له[٧]، فالأمور الوجودية هي التي تُعْلَمُ وتُعَلَّم، ويُنسبُ إلى عالمها عِلْمُها، وإلى مُتعلمها فهمها

---

(١) سورة الأعراف.
(٢) سورة الأعراف.
(٣) سورة يونس.
(٤) سورة طه، الآية: ٧١. والشعراء، الآية: ٤٩.
(٥) سورية الشعراء.
(٦) سورة الشعراء.
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٢/ ٤٦)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٤)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤).

وتحصيلها، ومالا حقيقة له لا يكون فيه شيء من ذلك، ولا يوصف المنتسب إليه بالكفر.

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[1].

والآية دليل على أن التفريق بين الزوجين مما يتعلمه السَّحرةُ، وهو أثرٌ محسوس، جاء التعبير عنه بالآية بـ«ما» الموصولة، مما يدلُّ على أنَّه شيء موجود له حقيقة، يتوصل إليه السَّاحرُ بسحره، فيتَصرفُ به، فيما يتصرف فيه، من الأفعال المذمومة التي تتسبب في التخييل إلى أحد الزوجين بسوء منظره، أو خلقه، أو عَقْد، أو بَغْضةٍ، أو نحو ذلك من الأسباب المقتضية للفُرقة، وهذا كله يحدثُ بوساطة الشيطان المتعامل مع السَّاحر[2]، يؤيد هذا ما رواه مسلم بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ إبليسَ يضعُ عرشهُ على الماءِ، ثمَّ يَبعثُ سراياهُ فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول ما صَنعتَ شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت»**[3].

والحديث دليل على كون التفريق بين الزَّوجين من الأعمال المستطاعة للشياطين، وقد وهبهم الله تعالى القدرة على ذلك، وعلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٦)، أضواء البيان (٤/ ٤٣٧).

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان (٤/ ٢١٦٧)، وانظر: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣١٤، ٣١٥).

أشياء غيره ابتلاءً وامتحانًا، كما أخبر تعالى عن إبليس قوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾[١]، وقال الرسول ﷺ فيما رواه البخاري وغيره: «**إنَّ الشَّيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»[٢].

وعلى هذا فما يحصلُ من السَّاحرِ للمسحور، إما بفعل الشيطان، أو بتعليمه بأن يتولى الإضرار بمن يريد السَّاحرُ ضرره، أو يدل السَّاحر على ما يحصلُ به الضَّرر من أدوية أو رُقى، أو غير ذلك مما يكون سببًا في التأثيرِ على الأبدان أو الأنفس، ويؤيدُ ما ذُكر، أن الله تعالى نفى ضَرر السَّحرةِ بسحرهم إلاَّ بإذنه، فالاستثناء دليل حصول الآثارِ بسببه[٣]؛ لأن وجود أي مُسَببٍ عن سببهِ هو بإذن الله تعالى، فهو مُقَدِّر الأسباب خيرًا أو شرًا، لا يخرجُ عن مُراده وتقديره ـ سبحانه وتعالى ـ شيء في هذا الكون. ومالا يترتب عليه سببُ أمرٍ من الأمور، لاينفى عنه حصول ذلك الأمر. فلا يُقالُ مثلاً: القطن لا يكسر الحجر إلاَّ بإذن

---

(١) سورة ص.

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الاعتكاف باب زيارة المرأة زوجها، وباب هل يدرأ المعتكف عن نفسه (٣/ ٦٥)، وكتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده (٤/ ١٥٠)، وكتاب الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم (٩/ ٨٧)، وصحيح الإمام مسلم كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليًا بامرأة وكانت زوجته أو محرمًا له أن يقول هذه فلانة (٤/ ١٧١٢)، وانظر: سنن الدارمي كتاب الرقاق، باب: الشيطان يجري من ابن آدم (٢/ ٣٢٠)، ومسند الإمام أحمد (٣/ ١٥٦، ٢٨٥، ٣٠٩) (٦/ ٣٣٧).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٣)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٣٣٣).

الله، إذ لا يُنظرُ إلى الأمرِ بالنسبة إلى القدرة الإلهية؛ لأن الله تعالى لا يعجزه شيء فهو الموجد من عدم، ولكن بالنسبة لما وضع من الأسباب والمسببات في الخلق، فيقال: لاتحرق النار الحطب إلاَّ بإذن الله تعالى، مع أنَّ مافي النار من قوة الإحراق ثابت بالنسبة للجسم القابل كالحطب ونحوه، ولا يتخلف ذلك إلاَّ آية لنبيّ، أو كرامةً لصالحٍ من الصَّالحين، والله أعلم.

٣ ـ أخبر الله تعالى عن قول الملأ من قوم فرعون بقوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

وحكى تبارك وتعالى عن فرعون قوله لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]، وأخبر تعالى عن السحرة قولهم عن موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾[3]، وقال تعالى مخبرًا عن فرعون قوله: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف.
(٢) سورة طه.
(٣) سورة طه.
(٤) سورة الشعراء.

في الآيات السابقة اتهام نبي الله تعالى موسى ـ عليه السلام ـ بالسحر، وكذلك اتهام أخيه هارون ـ عليهما السلام ـ بذلك أيضًا، وأنهما سيخرجان فرعون وقومه ـ على حد زعمهم ـ من الأرض بسحرهما، وهذا اعتراف من فرعون وقومه بأن السحر يخرج من الدِّيار، ولولا علمهم بأثره وتأثيره لما خافوا ذلك، وإن في تصريح السحرة المشهورين بعلمهم بالسحر ـ حيث إنهم ممن اختارهم فرعون وجمعهم لهذا الأمر، قال تعالى مخبرًا بذلك: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾[1] ـ بأنَّ موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ قادران على إخراجهم من أرضهم بسحرهما وتغيير ما هم عليه من الهدى والاستقامة، أو تغيير أحوالهم التي بلغوها بعملهم هذا؛ أكبر دليل على اعتقاد أولئك بأنَّ السحرَ يكون له من الآثار ما يغيرُ الأحوال، ويخرج من الديار، وقد قصَّ الله تعالى أمرهم ولم ينف زعمهم فدلَّ ذلك على أن السحرَ قد يكون سببًا فيما ذكر، والله أعلم.

٤ ـ قول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾[2].

وجه الاستدلال هنا، هو أنَّ الله تعالى أمرَ بالاستعاذة من ﴿شَرِّ

---

(١) سورة يونس.
(٢) سورة الفلق.

﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهنَّ السواحر[١]، سواء كنَّ النساء، أو النفوس، أو الجماعات اللائي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها ـ وهذا أمر اتفق عليه المفسرون حتى نفاة حقيقة السحر وأثره[٢] ـ، وهذا دليلٌ صريح الدلالة على أن للسحر حقيقة وأثرًا، وإلاَّ فما معنى الاستعاذة بالله تعالى من شر النفاثات لو لم يكن لسحرهن أثر ضار. ثم إن النفث الذي هو فعل السَّاحِرِ نفخ مع ريقٍ قد مازج خبث نفسه المتكيفة بالشرِّ والأذى، فيعقد ذلك على اسم المسحور، ويكرر ذلك الفعل والعقد، وللأرواح الشيطانية عون في ذلك يقول الجصاص: «النفَّاثات في العقد: السواحر ينفثن على العليل، ويرقونه بكلام فيه كفر وشرك وتعظيم للكواكب»[٣].

---

(١) وهذا تفسير الحسن البصري، وقد أخرجه الإمام ابن جرير بسند صحيح، انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (٣٠/ ٢٢٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٥٥)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

(٢) انظر: صحيح الإمام البخاري كتاب الطب باب السحر (٧/ ١٧٦) فقد أورد هذا المعنى تعليقًا، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص/ ١٧٩)، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٧٨)، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (٢/ ٧٠٨)، دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٤)، الإرشاد للجويني (ص/ ٣٢٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٤)، أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٤٣٣)، التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٩٥، ١٩٦)، الكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٥٧)، التفسير القيم لابن القيم (ص/ ٥٦٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٦٣)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٥، ٢٣٠)، أضواء البيان تتمة محمد عطية (٩/ ٦٣٨).

(٣) أحكام القرآن (٥/ ٣٧٨)، وانظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٤٣٣).

وهذه الأشياء مادية محسوسة ـ هواء وريق، وخيط، وفعل السَّاحر من ترديد ما يرقي به ونفثه وعقده ـ وأثرها ظاهر معلوم، فلا معنى لنفي الحقيقة والحالة هذه، وأيضًا قد اتفق جمهور المفسرين على أن سبب نزول المعوذتين: ما كان من سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ[(١)]، وهو الوارد في الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (سَحرَ رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**ياعائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ماوجع الرجل؟ فقال: مطبوب**[(٢)]**، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في**

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٤)، أسباب النزول للواحدي (ص/ ٣١٠، ٣١١)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٩٩٦)، التفسير الكبير للرازي (٣٢/ ١٨٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٥٣، ٢٥٤)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٣٠، ٥٣١)، التفسير القيم لابن القيم (ص/ ٥٦٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٥٥ـ٥٥٨)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٥)، حاشية الشهاب علي الخفاجي (٨/ ٤١٦)، أضواء البيان تتمة محمد عطية (٩/ ٦٣٨).

(٢) أي مسحور، والطَب بالفتح: السحر. وبالكسر: العلاج، ويطلقُ على الطبيب. انظر: ذيل كتاب الأضداد للصغَّاني (ص/ ٢٣٧)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٧)، تفسير غريب الحديث لابن حجر (ص/ ١٥٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٨).

أي شيء؟ قال: في مشط[١] **ومشاطة**[٢] **وجف**[٣] **طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان»**. فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «**ياعائشة كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رؤوس نخلها الشياطين**»، قلت: يارسول الله أفلا استَخْرَجتَهُ، قال: «**قد الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا» فأمر بها فدفنت)**[٤].

واتفاق المفسرين على أن سبب نزول المعوذتين هو هذه الحالة ـ المذكورة في الحديث ـ أكبر دليل وأصرحه على أن للسحر حقيقة وأثرًا، وبيان هذا في الدليل التالي:

---

(١) المشط: ـ مثلثة ـ آلة يمتشط بها وهو واحد الأمشاط والمشاط، ويُقالُ في أسمائه المشط، والمُشُطُ، والمِمْشَط، والمِكَدُّ، والمِرْجَل، والمِسْرح والمِشْقا، والمدّ والنَّحِيْتُ، والمُفَرَّج، وهو أيضًا منسج ينسج به، وسمة من سمات البعير، وسلاميات ظهر القدم، وعظم الكتف العريض، ونبت صغير يقالُ له مشط الذئب، وسبجة عريضة فيها أفنان، وفي وسطها هراوة يقبض عليها يغطى بها الحب، والمراد في الحديث المعنى الأول. انظر: مختار الصحاح (ص/ ٦٢٥)، اللسان (٩/ ٢٧٩، ٢٨٠)، القاموس (٢/ ٣٨٥، ٣٨٦).

(٢) يقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاقة: من مشاقة الكتان. وقيل: المشاطة والمشاقة شيء واحد، والقاف تبدل من الطاء لقرب المخرج: وهي ماسقط من الشعر والكتان عند المشط. انظر: القاموس (٣/ ٢٨٣)، فتح الباري (١٠/ ٢٣١، ٢٣٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٨٧٨).

(٣) وهو الكافور، أي الغشاء الذي تخرج فيه الثمرة. انظر: كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني (ص/ ٦٧)، شرح النووي (١٤/ ١٧٧)، تفسير غريب الحديث لابن حجر (ص/ ٥٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٩).

(٤) انظر: تخريج الحديث (ص/ ٥٠).

٥ ـ جاء في الحديث السابق من رواية أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ من أنه ﷺ حين سَحرَهُ لبيد، كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وهذا بلا شكٍ مرض أصابه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يدْرِ سببه ولا ماهو؛ حتى جاءته الفتوى من الله تعالى بأنه مسحور، سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، موضوعٌ في بئر ذروان، فما كان يحصل للرسول ﷺ وما كان يجده ليس هو السحر، حيث لم يعلم به ولم يره، وإنما أثرٌ حصل بسببه، وهو مادة موضوعة في البئر: مشط ومشاطة وجف طلع النخلة الذكر، وهذه حقائق محسوسة، وجاء في بعض الروايات أنه نزل رجل فاستخرجه[1]، وأن فيه وترًا، فيه إحدى عشرة عقدة. جاء في فتح الباري بعد ذكر قول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ «فذهب النبي ﷺ إلى البئر فنظر إليها ثم رجع إلى عائشة. . . » القول.

وفي رواية عمرة عن عائشة: «**فنزل رجل فاستخرجه**»، وفيه من الزيادة أنه: «**وجد في الطلعة تمثالاً من شمع، تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وترٌ فيه إحدى عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلَّت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألمًا، ثم يجد بعدها راحة**[2]»، وللحديث روايتان عند مسلم الأولى: «**فقلت**

---

(١) انظر: صحيح البخاري كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٧/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٠). وهذه الزيادات لا تخل من ضعف أو انقطاع. انظر من فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

يارسول الله أفلا أحرقته»[١]، والأخرى: «**قلت يارسول الله فأخرجه**»[١]، ويقولُ الإمام النووي عن الروايتين: «كلاهما صحيح فطلبت أنه يخرجه ثم يحرقه، والمراد إخراج السحر»[٢].

وفي الروايات زيادة وصف لما سحر به الرسول ﷺ في مادته، وهيئته، وقبوله للإخراج والإحراق، وهذه الصفات لا تكون إلاَّ لحقيقة ثابته محسوسة، وفيها سبب التأثير حيث حصل بحل تلك العقد ذهاب مسبباتها، مما كان يحصل للرسول ﷺ من تخيله فعل شيء لم يكن يفعله، وزوال هذا السبب الظاهر، وإتلافه زوال لمسببه، ومعنى كونه سببًا ظاهرًا: أن تلك الأشياء التي استخدم بها السحر، ووضعت في البئر وعاء استخدمه السَّاحرُ بوساطة مُعِيْنِه من الشياطين، لا يحصلُ بها ضررٌ بمجموعها وصفتها لو عملها غير ساحر، كما قد يرتفع المُسَبب مع بقاء سببه لحصول مؤثر أقوى من مسببه، كأثر التعوذ بتلك الآيات «المعوذتان» في حلِّ السِّحر.

وقول الرسول ﷺ في آخر الحديث: «**قد عافاني الله وشفاني**» مما يؤكد حصول الأثر عليه ﷺ من هذا السِّحر، ثم شفاؤه منه ومعافاته، ولا يكون إلاَّ من مرض. وسيأتي لأثر السحر على الرسول ﷺ زيادة بيان[٣] ـ إن شاء الله ـ.

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧٢١).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٧).

(٣) انظر: (ص/ ١٢٨ـ١٣٨).

٦ ـ قول الرسول ﷺ: «**من تصبَّحَ كل يومٍ بسبعِ تمرات عجوة**[١]**، لم يضره في ذلك اليوم سمٌ ولا سحر**».

وفي رواية: «**من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سمٌ ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل**»، وفي رواية: «**سبع تمرات**»، وفي رواية: «**من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية**»، وفي لفظ: «**من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح**»[٢].

ودلالة هذا الحديث برواياته المطلقة والمقيدة على موضوعنا ظاهرة، حيثُ جعلَ ﷺ تمر العجوة. أو المحدد منه، أو المعين مانعًا من أثر السم والسحر في ذلك اليوم، فحصول الضررِ لمن لم يفعل ذلك جائز، وهذا صريح في حصول الضررِ من السحرِ، وفيما أرشد إليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وقاية من ذلك، ولا شكَّ بأن طلب الوقاية من الضررِ دليلٌ على أن له حقيقة وأثرًا، إذ لا يُتوقَى مما لاحقيقة له ولا أثرًا، كما أن مقارنته بالسمِّ المتفق على كونه حقيقة محسوسة ضارة، مما يدلُّ على أن السِّحرَ كذلك، ويمكن التحصن منه ومن السحر؛ بما

(١) العجوة تمر من أجود تمر المدينة وألينه وألذِّه. انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي (١/ ٦١٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٣٨، ٢٤٠).

(٢) انظر: روايات هذا الحديث عند البخاري في كتاب الأطعمة باب العجوة (٧/ ١٠٤)، وفي كتاب الطب باب الدواء بالعجوة للسحر (٧/ ١٧٩)، وفي باب شرب السم والدواء من كتاب الطب أيضًا (٧/ ١٨١)، والإمام مسلم في كتاب الأشربة باب فضل تمر المدينة (٣/ ١٦١٨، ١٦١٩)، والإمام أبوداود في سننه كتاب الطب باب في تمر العجوة (ح/ ٣٨٧٦) (٤/ ٨)، والإمام أحمد في مسنده (١/ ١٦٨، ١٧٧، ١٨١) (٦/ ١٠٥).

أرشد إليه الرسول ﷺ من هذا التمر الموصوف على الريق، واستمرار المناعة بتلك الوصفة، ذلك اليوم كله إلى الليل فقط، دليل اشتمال هذا التمر المخصوص على عناصر غذائية، وخصائص في تركيبه، ينالُ بها الجسم إذا تناولها الإنسان على الريق قوة دفاعية ضدَّ السمِّ والسِّحر.

وإن أهمية التَّمرِ وقيمته الغذائية ليست محل نزاع، وقد جعله العليم الخبير غذاء لأم عيسى مريم ـ عليها السلام ـ حين جاءها المخاض، مع أنها كانت في بلاد تقلُّ فيها التمور، ويقلُّ استعمالُ أهلها لها، وليس ذلك ـ والله أعلم ـ إلاَّ لاحتواء التَّمر على عناصر مفيدة في تخثر الدم، إضافة إلى قيمتها الغذائية، وهذا مالا يتوفر في أنواع الفواكه الموجودة المنتشرة في بلاد مريم ـ عليها السلام ـ. جاء في مجلة المجتمع الأمني ضمن مقال لحلمي الخولي قوله: «ويقول الأستاذ عبدالرزاق نوفل: وقد قرر العلم أخيرًا أن بالرطب هيرمونًا أسموه «البيتوسين» يقوي العضلات الرحمية، ونظم الانضباطات العضلية، ومن عجب أنَّ هذا الهرمون ـ البيتوسين ـ يقوم بعمل وعكسه في آن واحد طبقًا لحاجة الجسم، فهو يزيد من الطلق في الحوامل عند الولادة إذا كان الطلق باردًا، ويقلل منه إذا كان حاميًا أكثر مما يجب، فهو ينظم الطلق ويجعله متوازنًا مع درجات اكتمال الحمل وساعات الولادة، فهو أكبر مساعد دوائي للوضع، ويتداول هذا الهرمون طبيًّا الآن بعد استخلاصه من الرطب فعلاً، كما وُجد أن لهذا الهرمون خاصية منع النزيف عقب الولادة، والوقاية من أمراض الولادة وعلى رأسها حمى

النفاس... ويقول الدكتور محمد هاشم: وتبين من البحوث التي أجريت أن البلح منبه لحركة الرحم وزيادة قوة انقباضاته؛ أي أنه يقوي العضلات الرحمية، والانقباضات العضلية في الحمل المتقدم فقط، مما قد يجعله مساعدًا للوضع أثناء الولادة»[١].

سبحانك ربنا لاعلم لنا إلاَّ ماعلمتنا إنك أنت العليم الخبير.

ثمَّ إن في خبر الرسول ﷺ المذكور عن فائدة التمر الموصوف بالنسبة لدفع ضررِ السمِّ والسِّحرِ كما وصف، ما يلقي سؤالاً على النفس للبحث عن معرفة تلك الخاصية التي تفيد في تخثر الدم، وهل هي النافعة في دفع ضررِ السمِّ والسحرِ، أو غيرها مما يحتويه التَّمر من الخصائص الأخرى. وقد أجريت على التمرِ أبحاثٌ مخبرية لمعرفة محتوياته من العناصر الغذائية.

أورد صاحب كتاب دفاع عن السنة[٢] نقلاً عن بحث للدكتور الكيميائي محمود سلامة في مجلة «الدكتور» أن تمرَ العجوةَ عاملٌ قويٌّ في دفع السمومِ من الجسمِ والتخلصِ منها[٣].

كما قام قسم الكيمياء في كلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، بإجراء أبحاث على التمور وأعدَّ في هذا تقريرًا أنقلُ منه بعض الفقرات:

---

(١) مجلة المجتمع الأمني العدد التاسع (ص/ ٣٥) رمضان سنة (١٤٠٧هـ).

(٢) هو الدكتور محمد محمد أبوشهبة، من علماء الأزهر المتخصصين في السنة وعلومها، له مؤلفات في هذا الفن، توفي سنة (١٤٠٣هـ) تقريبًا.

(٣) انظر: دفاع عن السنة لأبي شهبة (ص/ ٢١٨).

١ـ وجود نسبة عالية من السكريات المختزلة في التمور.

٢ـ إن قيمة الطَّاقةَ الناتجةَ من التمرِ تعادل (٩٧٫٥) سعر حراري لكل (١٠٠) جرام من التمر وهذا نسبة عالية جدًا.

٣ـ احتواء التمور على أحماض أمينية حرة، وبروتينات مكونة من (١٤ ـ ١٦٪) حامضًا أمينيًا بالنسبة لوزن التمر الجاف، وإنَّ حامض الجلوتاميك والأسبارتيك يوجدان بمستوى عال جدًا، يليهما أحماض الجليسين واللوسين والألانين والسيرين.

٤ـ وجود نسبة معقولة من فيتامينات (أ) و(ج)، ونسبة منخفضة من فيتامين (ب)، وكميات منخفضة من الدهون والبروتينات، ونسبة عالية من الألياف وكميات معقولة من الرَّماد.

٥ـ وجود نسبة عالية في التمور من البوتاسيوم والكالسيوم والكبريت، وكمية جيدة من الحديد، ونسبة لابأس بها من الفوسفور، إضافة إلى وجود النحاس والزنك والمغنسيوم والصوديوم والكلورين[١].

وهناك أمور أخرى كثيرة، ولستُ من أهلِ الحكمِ في تحديد أي هذه العناصرِ السبب في مقاومة السمِّ والسِّحرِ، فهو واجب أهل هذا الشأن من الكيميائيين والصيدليين، لكنَّه لايخامرني الشك في صدق خبر الرسول ﷺ فهو لا ينطقُ عن الهوى، كما أني لا أرى أنَّ ذلكَ بسبب دعوة الرسول ﷺ لتمرِ المدينة كما قال الخطابي[٢]، مع تحقق بركة

(١) انظر: تقرير أبحاث التمور بقسم الكيمياء بكلية العلوم التطبيقية.

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/٢٣٩)، والخطابي هو أبوسليمان حمد بن محمد بن =

دعائه ﷺ في التكثير والتغذية، إذ لو كان كذلك لحصل بتناول أي نوع من تمرِ المدينة وأي قدر، وفي أي وقت، ولكان شفاء من كل داء؛ لأن دعاءه ﷺ لم يكن خاصًا لهذا النوع وحده، بل ورد الدعاء بالبركة لأهل المدينة في مُدِّهم وصاعهم، كما جاءت بذلك الأخبار عنه ـ عليه الصلاة والسلام، ولكان في كل ذلك شفاء الأمراض.

منها ماروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهمَّ باركْ لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم**» يعني أهل المدينة[1].

= إبراهيم الخطابي البستي الشافعيَ، كان حافظًا محدثًا أديبًا، توفي سنة (٣٨٨هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤ـ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣ـ٢٨)، البداية والنهاية (١١/ ٢٣٦)، شذرات الذهب (٣/ ١٢٧، ١٢٨).

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب البيوع باب بركة صاع النبي ﷺ ومدهم (٣/ ٨٩). وانظر: من الصحيح أيضًا كتاب الأطعمة باب الحيس (٧/ ٩٩)، وكتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال (٨/ ٩٧)، وكتاب كفارات الأيمان باب صاع المدينة ومد النبي ﷺ وبركته (٨/ ١٨١)، وكتاب الاعتصام بالسنة باب ماذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم وما أجمع عليه الحرمان مكة والمدينة (٩/ ١٢٩)، وصحيح الإمام مسلم كتاب الحج باب من أراد المدينة بسوء (٢/ ١٠٠٨)، وسنن الترمذي كتاب المناقب، باب في فضل المدينة (٥/ ٧١٨)، وسنن الدارمي كتاب البيوع باب في صاع المدينة ومدها (٢/ ٢٥٧)، وموطأ الإمام مالك كتاب الجامع، باب الدعاء للمدينة وأهلها (٢/ ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٩٠، ٨٩١)، ومسند الإمام أحمد (١/ ١١٦، ١٦٩، ١٨٣) (٢/ ٣٣٠) (٣/ ٣٥، ٤٧، ٩١، ١٥٩، ٢٤٣، ٣٤٠) (٥/ ٣٠٩).

ولم يفهم من دعائه عليه الصلاة والسلام لأهلِ المدينةِ بالبركة فيما يكال أن يكون دواء، وتمرُ العجوة مما يُكال، لكن جاء تخصيصه لاشتماله على دفع ضررِ السمِّ والسحرِّ دون غيره من التمر والطعام، على ما وَصَفَ وبَيَّن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

كما لا يُقالُ: إنَّ السبب أنَّ الرسولَ ﷺ غرسه بيده الشَّريفة[1]، ولا كونها من الجنة كما جاء في الحديث عنه ﷺ[2].

والتعليل بكونه مما غرسه النبي ﷺ أنه ﷺ قد غرس خمسمائة فسيلة لسلمان ـ رضي الله عنه ـ حين كاتب أهله عليها[3]، وبعيد أن تكون كلها عجوة إذ لم يرد اشتراطها ولم يأت نص بتعيينها، ولم يُنقل أن أثمارها أصبحت شفاء، ولو كان لوجب أن يكون لكل داء، إذ لا

---

(١) انظر: الطب من الكتاب والسنة لعبداللطيف البغدادي (ص/٧٨)، فتح الباري (١٠/٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) صحَّ عنه ﷺ أن العجوة من الجنة، كما رواه أهلُ السُننِ والمسانيد، من طرق مختلفة عن أبي سعيد، وجابر، وأبي هريرة، ورافع بن عمر المزني، وبعض هذه الطرق صحيح وبعضها حسن.
انظر: سنن الترمذي كتاب الطب باب ماجاء في الكمأة والعجوة (٤/ ٤٠٠، ٤٠١)، وسنن ابن ماجة كتاب الطب باب الكمأة والعجوة (٢/ ١١٤٢، ١١٤٣)، سنن الدارمي كتاب الرقائق باب العجوة (٢/ ٣٣٨)، ومسند الإمام أحمد (٢/ ٣٠١، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٢١، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥١١) (٣/ ٤٨، ٤٢٦) (٥/ ٣١، ٦٥، ٣٤٦، ٣٥١)، وكتاب الطب من الكتاب والسنة لعبداللطيف البغدادي (ص/ ٧٨)، الطب النبوي لابن القيم (ص/ ٢٦٣)، فتح الباري (١٠/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٥٤، ٤٤٠).

معنى للتخصيص بالسمِّ والسِّحرِ والحال ما ذكر.

وأما التعليل بكونها من الجنة ـ مع صحة الخبر بذلك ـ فليس المراد أن الموجود من العجوة من الجنة، وإنما عنصرها إذ ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلاَّ الأسماء[(١)]، وقد أخبر الرسول ﷺ في حديث الإسراء الطويل فيما رواه البخاري بسنده عن أنس ـ رضي الله عنه ـ وفيه: «. . **فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال ماهذان النهران ياجبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما**»[(٢)]، وأيضًا روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيحان وجيحان، والفرات والنيل، كل من أنهار الجنة**»[(٣)].

ومع صحة هذه الأحاديث لم يكن ماؤها من ماء الجنة الذي لايأسن، ولم يكن علاجًا، والله أعلم.

فإن قيل: إن السمَّ جسمٌ غريب ضار يدخل إلى الجسم، ثم ينقله الدم إلى القلب، فيدفعه إلى بقية أعضاء الجسم الحسَّاسة كالمخ والكبد والكلى وغيرها، مما يؤدي إلى ضررها بحسب السم ـ قلة وكثرة، وقوة وضعفًا ـ بما يتلفه من أجزائها، وإن في القدر المذكور في الحديث من

---

(١) انظر: كتاب الدرة في الاعتقاد لابن حزم (ص/١٠٩أ)، الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص/ ٣٢).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب التوحيد باب قوله: وكلَّمَ الله موسى تكليما (٩/ ١٨٣).

(٣) صحيح الإمام مسلم كتاب الجنة باب مافي الدنيا من أنهار الجنة (٤/ ٢١٨٣)، وانظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٦١، ٢٨٩، ٤٤٠).

التمرِ الموصوف ما يكسب الجسم مناعة من ذلك الضررِ، فهل تقولون: إن السحر كذلك؟

قلنا: السِّحرُ نوعان:

أحدهما ـ ما يدخُل إلى الجسمِ إذا تناوله المسحور فيما يؤكل، أو فِيما يُشرب، وهذا يشارك السمَّ في هيئته، وما قيلَ في السمِّ يقالُ فيه من حيث مقاومة ما في التمرِ الموصوف من الخصائص لضررِ هذا النوع من السِّحر.

وثانيهما ـ ما يكون السِّحر به غير مباشر لجسم المسحور، وإنما عُمِلَ له في شيء عُقِدَ به، ووضع في مكانٍ يحفظه من أن يصل إليه أحد، أو يكون عرضة للتلف، ويحصلُ لِمنْ عُمِلَ له ذلك ضررٌ من جرائه، لا يَزُولُ إلاَّ في حالة إتلافه، أو بمؤثرٍ آخر يكون تأثيره في النفع أبلغ من تأثير السِّحرِ في الضررِ، وهذا يخالفُ السمَّ كما يُخالفُ النوعَ الأولَ من السِّحرِ في كيفيته وفي حصول ضرره.

فإن قيل: وهل تقولون إن التصبح بتمرات العجوة كما في الحديث نافع لهذا النوع الثاني من السِّحرِ، مع كونه ضارًا للجسم من غير مباشرة حسيّة له، ونفع التمر المذكور ومقاومته لذلك حسيَّة، كما يدلُّ على ذلك وصفه في الحديث، وتحديد نوعه وعدده، وطريقة تناوله ومدة تأثيره.

قلنا: نعم جاء العموم في الحديث ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ، ومن عَلِمَ أن ذلك القدر من التمر كافٍ في دفع ضررِ السم والسحر لمن

تناوله على الريق إلى الليل، يعلم أن السحرَ ليس نوعاً واحدًا كما أن السمَّ أنواع مختلفة، فالعموم في لفظ الحديث دليل على شموله، ويمكننا التماس العلة، ويبقى إدراكنا هو المتهم إن لم نوفق إلى الصواب. فنقول:

إن ضَرر السِّحرِ الذي يعمل بطريق العزائم والرُقى والعقد، ويوضعُ في أشياء بعيدة عن الجسم، ويناله ضررها يحصلُ بالاستعانة بالشياطين لإلحاق الضَّررِ بالمسحور، وطريق سلوكِ الشيطان في جسم الإنسان مجاري الدَّمِ، فهو يتغلغل في كلِّ أعضاء الجسم عن طريق العروق، ويتسبب بإلحاق الضرر ببعض أعضاء الإنسان بحسب القصد، عن طريق مخالطة الدَّمِ وحجبه عن بعض الأعضاء، أو إضعافه، أو تلويثه، فينشأ عن ذلك إصابة ذلك العضو بالمرض، وإنَّ كثيرًا ممن يرقون المصابين بمسِّ الشياطين، يرون تلك الأخلاط الرديئة التي تكون في الدَّم بعد رُقية المصاب، تتكثف وتجتمع في بعض أجزاء الجسم، وهي لا تصلُ إلى هذه الحالة إلاَّ إذا استثقلت في الجسم وخالطت أجزاء من مركبات الدم، بحيثُ يصعبُ على تلك الأرواح الشيطانية التخلُّصُ من الدمِ ومفارقته، وقد يشفى المريض بفصدها إذا اجتمعت، أو إضعافها بالحجامة إذا لم يتم اجتماعها، والله أعلم.

فإن قيل: إن تخصيص دفع ضرر السمِّ والسِّحرِ بتناول ما ذُكرَ من تمرِ العجوةِ، خاص بعجوة المدينة، وبزمن الرسول ﷺ. قلنا: أمَّا تخصيص تمر المدينة فهو ظاهر أكثر الروايات، ولا يجزم بذلك لورود

روايات مطلقة، ولا أظنُّ أن معرفة كونه خاصًا أو عامًا تصعب في هذا الزمن بوساطة المخابر. وأما تخصيص دفع الضَّررِ بزمن الرسولِ ﷺ فيبعده ورود النصِّ مطلقًا من غير تحديدٍ بزمنٍ مع ماورد في الحديث من القيود بالعدد والصفة، ومدة بقاء دفع الضَّررِ، كما يؤيد بقاء الحكم: أن أمَّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تصفه بعد رسول الله ﷺ[1]، مما يدلُّ على فهمها عدم التخصيص بزمن الرسول ﷺ.

فإن قيل: وهل تقييد دفع ضررِ السم والسحر مخصوص بالعدد ـ السبع ـ المذكور في بعض الروايات؟

قلنا: قد قال بعضُ العلماء لابدَّ من السبع لدفع الضرر، وحملوا ما ورد مطلقًا من الروايات على ماورد مقيدًا، وقالوا: إنه من الخواص التي لاتدرك بقياس ظني، بل لسرٍ في السبع غير كونها وترًا؛ لأنه يكون بأقل من ذلك كالواحدة والثلاث والخمس[2]. قال النووي: «إن تخصيص عجوة المدينة دون غيرها، وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع، ولا نعلم نحن حكمتها، فيجبُ الإيمانُ بها، واعتقادُ فضلها، والحكمة فيها، وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها»[3].

وقد اعتبر الإمام ابن القيم أن للعدد سبعة خاصية تدرك بالوحي، فقال: «وأما خاصية السبع فإنها قد وقعت قدرًا وشرعًا، فخلق الله ـ عزَّ

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٣٣٩، ٣٤٠).
(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٤٠).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ٣).

وجلَّ ـ السموات سبعًا، والأرضين سبعًا، والأيامَ سبعًا، والإنسانُ كمل خَلقُه في سبعة أطوار، وشرع الله لعباده الطواف سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعًا سبعًا... فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره، والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، فإن العدد شفع ووتر، والشفع أول وثاني، والوتر كذلك، فهذه أربع مراتب: شفع أول وثان، ووتر أول وثان، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة، وهي عددٌ كاملٌ جامعٌ لمراتب العدد الأربعة.. وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة، ولا سيِّما في البحارين، وقال أبقراط[1]: «كل شيء في هذا العالم فهو مقدر على سبعة أجزاء» والنجوم سبعة، والأيام سبعة، وأسنان الناس سبعة: أولها طفل إلى سبع، ثم صبي إلى أربع عشرة، ثم مراهق، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم هرم إلى منتهى العمر، والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه وقدره في تخصيص هذا العدد، هل هو لهذا المعنى؟ أو لغيره؟»[2].

وأقول: أما ناحية الوترية في العدد فجانب التعبد فيها معتبر في كثير من أمور العبادات كالوضوء، والدعاء، والصلاة، والأذان،

---

(١) يقال أيضًا: «بقراط» وهو طبيب يوناني، يقال: إنه ولد بجزيرة قوص، ودرس بأثينا وفي غيرها خلال أسفاره، فصل الطب عن الخرافة وأقامه على أساس علمي، له مؤلفات كثيرة في ذلك وعاش ما بين (٤٦٠ـ٣٥٧ق.م). انظر: طبقات الأطباء لابن جلجل (ص/ ١٦/ ١٧)، الملل والنحل (٢/ ١٦٧ـ١٧٠)، الموسوعة العربية الميسرة (ص/ ٧).

(٢) الطب النبوي (ص/ ٧٧ـ٧٨).

والإقامة وغير ذلك كثير، وقد جاء تعليل الوترية في الحديث المتفق على صحته، وهو من رواية البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: «**لله تسعة وتسعون اسمًا مائة إلاَّ واحدًا، لايحفظها أحد إلاَّ دخل الجنة، وهو وترٌ يحب الوتر**»[١].

ومع اعتبارها إلاَّ أنها حاصلة في أقل من السبع، ولكنها ـ والله أعلم ـ في الواحدة، وفي الثلاث، وفي الخمس؛ لايحصل بها القدرُ الكافي لدفع ضرر السم والسحر، فالسبع أقل جرعة تتيقن كفايتها نظرًا لاختلاف التمر صغرًا وكبرًا، وجودةً ورداءة.

كما أن الزيادة ـ والله أعلم مع مراعاة الوترية ـ للفضيلة لاتمنع

---

(١) صحيح البخاري كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد (٨/ ١٠٨، ١٠٩)، وانظر: صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله وفضل من أحصاها (٤/ ٢٠٦٢، ٢٠٦٣)، سنن أبي داود كتاب الصلاة باب استحباب الوتر (٢/ ٦١)، حديث رقم (١٤١٦) وهو حديث آخر رواه أبوداود بسنده عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ياأهل القرآن أوتروا، فإن الله وترٌ يحب الوتر**»، وسنن الترمذي كتاب الوتر، باب ماجاء أن الوتر ليس بحتم (٢/ ٣١٦)، وسنن النسائي كتاب قيام الليل وتطوع النهار باب الأمر بالوتر (٣/ ٢٢٨، ٢٢٩)، وهو حديث الوتر الذي ذكرته عن أبي داود من طريق علي. وهو أيضًا عند ابن ماجة من هذا الطريق، ومن طريق ابن مسعود كتاب الإقامة، باب ما جاء في الوتر (١/ ٣٧٠)، وعند الدارمي من طريق أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله وترٌ يحب الوتر**»، كتاب الصلاة باب الحثُّ على الوتر (١/ ٣٧١)، مسند الإمام أحمد في حديث الأسماء (٢/ ٢٥٨، ٢٦٧، ٣١٤)، وفي حديث الوتر (١/ ١٠٠، ١١٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨) (٢/ ١٠٩، ١٥٥، ٢٧٧، ٢٩٠، ٤٩١).

النفع، هذا بخلاف النقص، فاحتماله وارد بعدم كفاية العناصر الوقائية في الكمية المتناولة، وهذه الحالة التي أرشد إليها الهادي البشير ﷺ ليست أمرًا تكليفيًا يقصدُ به التعبدُ؛ لأن الغرض منه الإرشاد إلى ماينفع الأمة، ويعين على حفظ الصحة، وقول الإمام النووي: إن تعين تمر العجوة، وعدد ما يدفع الضرر منها، أمرٌ كأعداد الصلوات والزكاة وغيرها، فيه نظر؛ لأنَّ هذا مما يخالف تلك الأمور التعبدية التي مبناها على الاتباع والتسليم، وهذا ليس فيه تعبد إنما هو مما أرشد إليه الرسول ﷺ؛ دلالة على ماينفع البشر في أبدانهم، وليس فيه جانب تعبد، اللَّهمَّ إلاَّ في الاتباع في الوترية، إذ لا ثواب في الأكل من حيث هو، كما لا إثم في تركه، إلاَّ إذا أدى إلى تيقن حصول الضَّررِ كأن يكون الإنسان في مكان تكثرُ فيه السوام، أو يكثرُ فيه السَّحرة، فتركه مع القدرة عليه داخل بالإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وقد نهى الله تعالى عن ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(١). واعتبار الإمام ابن القيم أن للعدد سبعة خاصية، وذكره نماذج من ذلك في الشرع والقدر. وما ذكره من الأمثلة صحيح لكن ذلك لايوجب الحكم بالخاصية للعدد؛ لأن ذلك يمكن أن يقال في أعداد أخرى، ويُؤتى بأمثلة صحيحة على ذلك من الشرع والقدر، كالاثنين مثلاً، ويقال: إنَّ صلاة الفجر والجمعة والعيدين والاستسقاء، وصلاة النافلة كل ذلك مثنى مثنى، وكذلك الأذان للصلاة مثنى مثنى، عدا التكبير في الأول وتوحيد الله في

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

الآخر. وخلق الله تعالى للإنسان عينين، وأذنين، ويدين، ورجلين، وشفتين وغير ذلك، وخلق الله تعالى من كل زوجين اثنين كما قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[١]، وأخبر تعالى عن الثمار في الأرض بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[٢]، وقال مخبرًا عن الجنتين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾[٣]، ومثلُ هذه الآيات آيات أخرى، كما ويمكن بالتتبع أن يقال نحو هذا: عن الواحد من العدد، وعن الثلاثة، وعن الأربعة، ولا يمكن اعتبار ذلك خاصية يترتب عليها آثار لها خواص ذاتية، والله أعلم.

فإن قيل: ألاَ يمكن أن يخصَّ أهلُ المدينة ومن جاورهم بالانتفاع بما ذكر في الحديث من دفع تمر العجوة لضرر السم والسحر على ماوصف في الحديث؛ لأن للأمكنة اختصاصًا بنفع الدواء، حيثُ يلائمُ أهل قُطرٍ من الأدوية مالا يلائمُ غيرهم، وينفعُ الدواء النابتُ في مكان «ما» لداءٍ معين مالا ينفع ذاته إذا نبت في مكان آخرَ؛ لتأثيرِ التُربة أو الهواء، أو هما جميعًا في تركيبه وخواصه. يقول الإمام ابن القيم: «.. فإن للأرض خواص وطبائع يقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان. وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاءً مأكولاً وفي بعضها سُمًا قاتلاً. ورُبَّ أدوية لقوم أغذية لآخرين. وأدوية لقوم من

(١) سورة الذاريات.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣.
(٣) سورة الرحمن.

أمراض هي أدوية لآخرين في أمراض سواها، وأدوية لأهل بلاد لاتناسب غيرهم ولا تنفعهم»[١] . ولهذا فيكون ما ورد من الأحاديث في العجوة من العام المخصوص، فيحصل نفعه لخاصية تلك البلاد وتلك التربة في بعض السموم، ويجوز أن يحصل نفعه لخاصية تلك البلاد وتلك التربة الخاصة من كلِّ سم[٢] .

قلنا: وبكل اختصار مع التسليم بتأثير البيئة على خواص الأدوية، واختلاف الطبائع والأمزجة في تقبلها الأدوية وانتفاعها بها. إنَّ حملَ الحديث على الخصوص بما يُناسبُ أهل المدينة ومن جاورهم، لا يعدُّ معتبرًا إلاَّ لو أنَّ الواصف لِما ذُكر كان طبيبًا مجربًا، أجرى تجاربه في ذلك الدواء على أفراد تلك البقعة، أمَّا والخبر بذلك ممن لا ينطقُ عن الهوى، المُرسلُ إلى الثقلين الإنس والجن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، ومن أُوتي جوامع الكلم، وقد قال: «**من تصبَّح بسبع تمرات عجوة**» أو نحو ذلك مما جاء في الروايات، وليس في رواية واحدة منها ما يقتضي الخصوص بأهلِ المدينة ومن جاورهم؛ فمَن الشَّرطية على حقيقتها دالَّة على العموم، وخطاب الرسول ﷺ العام خطاب لجميع أمته، فأظنُّ أن الحمل على ما ذهب إليه الإمامُ بن القيم من الخصوص بعيد، والله أعلم بالصواب.

تنبيه: أرشد الرسول ﷺ وهو لا ينطقُ عن الهوى إلى غذاء فيه

---

(١) الطب النبوي (ص/ ٧٧)، وانظر: دفاع عن السنة للدكتور أبي شهبة (ص/ ٢١٧).
(٢) انظر: الطب النبوي (ص/ ٧٧، ٧٩).

تحصين عن السم والسحر مدة يوم يتكرر بتكرر الفعل، وحيث قد جاءت الروايات عنه ﷺ مطلقة ومقيدة في العدد وفي نوع التمر. اختلف العلماء تبعًا لذلك وقد مرَّت الإشارة إلى ذلك قريبًا، وكم أتمنى أن تهتم كليات الصيدلَة في البلاد الإسلامية بمعرفة تفسير ماروي من الطب النبوي بعامة، ومن ذلك التماس معرفة خصائص التمر، أو تمر العجوة، أو سبع التمرات من العجوة، أو من غيرها، محاولة للوصول إلى فهم مراد الرسول ﷺ وتعيينه والاستفادة منه، وذلك ـ بحمد الله ـ ميسور مع تقدم المخابر بأجهزتها الدقيقة، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مناقشة الأدلة:

عمدة القائلين بأن السِّحرَ له حقيقة مطلقًا النقل، وقد عرضت كلَّ ما علمتُ من أدلتهم، وما رأيته صالحًا لأن يكون دليلاً على إثبات حقيقة السِّحر وأثره حسب المستطاع، وحيث قد ذكرت أصحاب الرأي الأول ـ نفاة حقيقة السحر ـ وأدلتهم وناقشتها، وقد تمَّ عرضُ أدلة أصحاب الرأي الثاني ـ مُثبتي حقيقة السحر ـ بقي أن أقول:

إنَّ الأدلة التي استدلَّ بها حقيقة السحر صحيحة في نظري وصريحة لا تقبلُ الشك، وجليّةٌ لا تقبلُ التأويل، ولأصحابها ملحظ دقيق في التفريق بين السِّحر من حيثُ هو، وبين أثره، فأثره يكون تخييلاً كما يكون حقيقة. وأمَّا السِّحرُ ـ عندهم ـ فلا يكون إلاَّ حقيقة. وهو المسمى والمحذور الذي يستحقُ فاعله الإثم والعقاب على فعله، ولكن

مع التسليم بصدق دلالة هذه الأدلة على إثبات حقيقة السحر وأثره فيما تناولته من أقسام، إلاَّ أنها لاتدلُّ على نفي ماعداها، وقد ثبت أن هناك أنواعًا من السحرِ لاحقيقةَ لها، وكلُّ مايُرى فيها تخييل وحيل غير مادية لا حقيقة لها، وقد يعبر عن تلك بالشعوذة وخفة اليد، أو نحو ذلك، وفي تحقيق القول في السحر زيادة بيان ـ إن شاء الله تعالى ـ.

تحقيق القول في السحر:

لقدعرفنا من عرض مذهبي كل من نفاة حقيقة السِّحر ومثبتيه، كثرة أدلة كل منهما على مذهبه، وصدق تلك الأدلة في جملتها على المراد، وعدم معارضة أدلة كل من الطرفين لوجه دلالة ما استدلَّ به الآخر على مراده. لهذا فتحقيق القول لن يكون برجوح أحد الرأيين على الآخر، فلكل دليله وقد حكمتُ باحتمال الأدلة وبصدقها على كون السحر خيالاً، وكونه حقيقة من حيث هو، وقد ذكرت من قبل في تعريفات السحر ما يدل على تحقق الوصفين فيه؛ الحقيقة، والخيال. كما قد مرَّ أيضًا في ذكر الأقسام أن فيها مالا يمكن القولُ بأن له حقيقة، وجلها مالا يصح نفي حقيقته وأثره بحال، فلا يبقى بعد هذا إلاَّ الحكم بأن السحر المذموم صاحبه منه مايكون حقيقة، ومنه مايكون تخييلاً، وهو مقتضى دلالة النصوص وعلى هذا جماهيرُ العلماء[1].

---

(١) انظر: تسير العزيز الحميد (ص/٣٨٣)، معارج القبول (١/٤١٦)، أضواء البيان (٤/٤٣٧، ٤٥٥)، الإسلام وتقاليد الجاهلية للآلوري (ص/٩٧ـ١٠١).

وبعـــد:

فلقد أجلت بعض نقاط التعليق على وجهة استدلال نفاة حقيقة السحر، كما أجلتُ وجهة نظرهم تجاه أدلة القائلين بأن السحر له حقيقة وأثرًا، نظرًا لكون أقوال مثبتي الحقيقة، وأدلتهم لم تذكر بعد، والآن أقولُ بعد بيان وجهة نظر القائلين بحقيقة السحر وأثره: إن هؤلاء منعوا كون سِحر سَحَرة فرعون تخييلاً بمعناه العام، الذي استدلَّ به عليه من قبلُ نفاة الحقيقة، وإنّما هو من التخييل الحاصل من أثرِ السِّحر الذي عمل عمله في العيون، فرأت الشيء الجامد مُتحركًا، وليس هو كذلك؛ لأنَّ ما حصلَ للعيون من رؤية الشيء على غير ما هو عليه أثرٌ من آثارِ السحر، وليس هو السحر فقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، دليلٌ على أن العيون هي المسحورة، وفي قوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾[2] مايدلُّ على أنَّ الحبال والعصي لم تكن تسعى، ولكن تأثير السِّحر أوجدَ هذا الشعور المخالف للواقع[3]. وأضيفُ على هذا، وعلى ما سبق: أن الله سبحانه وتعالى أبطل إفك السَّحرة بوساطة عصا موسى ـ عليه السلام ـ، ولو كانت حبالهم وعصيّهم تسعى وتتحرك حقيقة بأن وضع فيها السحر بحيث يحركها فتسعى؛ لكان إبطال ذلك بإيقافها عن الحركة، لكنها مادة وضعت أمام أعين الناس وفيها السِّحرُ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.
(٢) سورة طه.
(٣) انظر: كتاب النبوات لابن تيمية (ص/ ٢٧٣)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢٨).

المؤثرُ على أعينهم، فأبطل الله ـ تعالى ـ ذلك بابتلاع العصا لها وهكذا السحر ينتهي أثره بإتلاف ما وضع فيه، مما جعل السَّحرة يخرون لله تعالى سُجدًا كما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾[1] فسجود هؤلاء السحرة إيمانًا منهم لا يخامره الشك في أن هذه آية من ربِّ العالمين، ليست من مستطاع البشر، ولو أن إبطال السحر كان أيضًا من طريق إزالة تأثيره عن الأعين لكان مدعاة لقول السحرة أو غيرهم: هذا هو المراد جعل الحبال والعصي تتحرك ثم تقف، كما أن إزالة أثر السحر ومعارضته أمرٌ مستطاع لمن يحسن من السحر أكثر من صانعه، أو مماثل له في ذلك.

ولقد كان لنفاة حقيقة السحر وأثره موقف من أدلة مُثبتي حقيقته وأثره، لا يختلف عن منهجهم دائمًا تجاه أدلة مخالفيهم من تأويل النصوص عما تدلُّ عليه أو ردها فقالوا:

أولاً ـ عن أدلة تعلم السحر وتعليمه، ووصف صاحبه بالعلم ـ وما جاء في ذلك من الآيات[2] ـ: إن التعلم والتعليم، وعلم المتعلم يحمل على تعلم إظهار كذب السحرة الذين نسبوا أنفسهم للألوهية أو النبوة، أو تعلم مفسدات العقل، أو تعلم مالا حقيقة له من الحيل والتمويهات والخدع التي تصلُ بالساحرِ إلى تخييل الشيء على غير ما هو عليه[3].

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) انظر: (ص/٦٧ـ٦٩).

(٣) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/٢٨، ٢٩)، متشابه القرآن (١/ ٩٩، ١٠٣)، الكشاف (٢/ ٨١)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٩، ٧٠)، تفسير =

ويجاب عن هذا: بأن حمل جميعِ الآيات على هذا المعنى غير مستقيم، حيث جاء وصف بعض ما يتعلم بأنه مؤثرٌ يفرقُ بين المرء وزوجه، وحمل ذلكَ على التفريق بالحيلةِ أو النميمة ـ مع حصوله فيهما أحيانًا ـ مخالف لما حكمت به الآية من الكفر بالتعلم؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإن ما أثبته المعتزلة من التخييل الذي هو السحر عندهم ولا حقيقة له ـ كما يزعمون ـ أمرٌ تَعقُّلُهُ يدلُّ على أن له حقيقة، فهم يقولون: إنَّ ما يتعلمه السحرة هو: «مما لطف مأخذه مما يقصدُ به الإضرار والاحتيال، مما يوهمون به على الناس من فعل مالا حقيقة له كالطيران، وركب المكانس وغير ذلك»[1]. وهذه أشياء لاتحصلُ إلاَّ بأحد أمرين؛ إمَّا تأثير على الأعين فترى الساحر يطيرُ في الهواء، أو يمشي على الماء، أو نحو ذلك، وهو في الحقيقة والواقع لم يصنع شيئًا من ذلك.

وإما أن يكون السَّاحرُ يفعلُ تلك الأمور حقًّا، وهي تحصلُ بفعل الشياطين المتعاونين مع السَّاحر، والفعلُ في كلا الأمرين سحر، ولولا وجوده وحقيقته وأثره لما حصل ذلك، وهذا بيّن لمن تدبره.

ثانيًا ـ قالوا عن أدلة حصول الضرر بالسحر، سواء في التفريق بين المرء وزوجه، أو بإخراج الناس من أرضهم. إن ذلك يكون بسبب تعلم ما يجري مجرى التمويه والحيلة مما يقصدُ به الإفساد، وإشاعة الفرقة،

= التحرير والتنوير (١/ ٦٤٣، ٦٤٤).

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٩).

والخلاف بين الزوجين، أو بين الناس، وتخويفهم، وإزعاجهم، ونحو ذلك مما ينجُم عنه الفرقة وخراب الدِّيار، وهو إضرار على وجه يلطف فسمي لذلك سحرًا[١].

ويقال لهؤلاء: إنَّ اسم السحر في الشرع لا يتعين بما وصفتم؛ لأن ذلك يسمى نميمة، أو تهويلاً، أو خداعًا، أو إشاعة فاحشة، أو سعيًا في الأرض بالفساد، أو نحو ذلك، وهذه الأمور تحصلُ من غير السحرة، كما أن السَّاحر قد يفعلها بسحره وبدونه، فليس فعلها متوقفًا على السحر، كما أن حكم السَّاحر يختلف عن حكم فاعل تلكَ الأمور.

ثالثًا ـ ذهب المعتزلة وغيرهم[٢] إلى أن الاستعاذة في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾[٣] من شر السواحر، وهم نفاة حقيقة السحرِ وأثره، فتأولوا الضَّرر المستعاذ منه؛ بأنه ما يمكن حصوله من أي أحد من الناس، بالاحتيال لإضرار غيره، كما أمرَ بالاستعاذة من شرِّ الحاسد[٤].

يقول الزمخشري[٥] عن فعل السواحر: «ولا تأثير لذلك إلاَّ أن

(١) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/٢٩)، ومتشابه القرآن (١/ ١٠٣).
(٢) انظر: الإحالة رقم (٢) (ص/ ٧٣).
(٣) سورة الفلق.
(٤) انظر: متشابه القرآن (٢/ ٧٠٨).
(٥) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، أبوالقاسم المعتزلي، عالمٌ مفسرٌ، ولغوي أديب، له مؤلفات كثيرة (ت٥٣٨هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨ـ١٧٤)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١ـ ١٥٦)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٧٨).

يفعله الله امتحانًا، فإن قلت: فما معنى الاستعاذة من شرهنَّ. قلت: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها ـ أن يُستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهن في ذلك.

الثاني ـ أن يُستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن، وما يخدعنهم به من باطلهن.

الثالث ـ أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشَّرِ عند نفثهن، ويجوز أن يراد به النساء الكيّادات من قوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[(١)]، تشبيهًا لكيدهن بالسحر والنفث في العقد»[(٢)].

ويبطلُ تأويل نفاة حقيقة السحر وأثره، ما ورد من أن سبب نزول المعوذتين ما كان من سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ، وهو مما اتفق عليه الجمهور[(٣)].

رابعًا ـ مما استدلَّ به على إثبات حقيقة السحر وأثره، أن رسول الله ﷺ سُحر، وقد وقف المعتزلة ـ ومن تبعهم ـ موقفهم المشهور من معظم السنَّة ـ المتواتر يؤولونه والآحاد يردونه ـ، فقالوا ببطلان هذه الرواية لمعارضتها ـ على زعمهم ـ قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[(٤)]

---

(١) سورة يوسف.

(٢) الكشاف (٤/ ٢٤٤).

(٣) انظر: (ص/ ٧٣ـ٧٥).

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

وقوله: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[١].

وتجويز ذلك يفضي إلى القدح في النبوة؛ ولأنه لو صحَّ ذلك لكان من الواجب أن يصل ضررهم إلى كل من شاءوا، ولحصلوا على كل مايريدون لأنفسهم من المال والجاه، والملك العظيم، وهذا باطل، كما أن الكُفار كانوا يعيرونه ﷺ بأنه مسحور بقولهم فيما حكى الله عنهم: ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾[٢]، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولحصل فيه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز[٣].

ولا شكَّ أن زعم المعتزلة تبطله صحة القصة عند جمهور أهل النقل من المحدثين، وهو وإن كان آحادًا فهو مجزوم بصحته؛ لأنه مما تلقته الأمة بالقبول. يقول الإمام ابن تيمية: «فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان، إذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق؛ أفاد العلم عند جماهير العلماء، ومن الناس من يسمي هذا المستفيض، والعلم هنا حصل بإجماع العلماء على صحته، فإن الإجماع لايكون على خطأ، ولهذا كان أكثرُ متون الصحيحين مما يعلم صحته عند علماء الطوائف: من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، وإنما خالف في ذلك فريقٌ من أهلِ الكلام»[٤]، وما ذكرته عن الإمام ابن تيمية

---

(١) سورة طه.
(٢) سورة الإسراء. والفرقان، الآية: ٨.
(٣) انظر التفسير الكبير (٣٢/ ١٨٧، ١٨٨).
(٤) مجموع الفتاوى (١٨/ ٧٠).

هو مذهب جماهير العلماء من السلف وغيرهم[١].

أمَّا زعمُ المُعتزلة ـ صدق الكفار في وصفهم الرسول ﷺ ـ لو ثبت أنه سحر، فمردود من وجهين:

الأول ـ أنَّ الكفار كانوا يريدون بكونه مسحورًا؛ أنه مجنون أُزِيلَ عقلهُ بوساطة السحر، فتركَ ماهم عليه من دين. فأما أن يكون مسحورًا بألم يجده في بدنه، فذلك مالم يقصدوه بقولهم. وبالجملة؛ فإن الله تعالى حافظه من تسلطِ الشياطين عليه بما يؤذيه في دينه، وشرعه، ونبوته. وأمَّا لحوق الضرر ببدنه فغير بعيد[٢].

الثاني ـ أن قول المشركين: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾[٣]، فيما حكاه الله تعالى عنهم، وعابهم عليه، لم يكن في الخبر عن هذه القصة سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ؛ لأنها وقعت في المدينة[٤]، وهي من رواية أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وتشتمل على خبرها بوصف حالة الرسول ﷺ، ومخاطبته لها فيما وقع بعد نزول الوحي عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وقول المشركين كان تحذيرًا من اتباع الرسول ﷺ ومن اعتناق دينه، وكان ذلك في مكة

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم اختصار الموصلي (٢/ ٣٦٣)، شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٣٩٩). تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٣٤)، إرشاد الفحول للشوكاني (ص/ ٤٩).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٨٨).

(٣) سورة الإسراء. والفرقان، الآية: ٨.

(٤) انظر: البحر المحيط (٨/ ٥٣٠).

في أول البعثة، فلا علاقة له بقول المشركين، فلا يلزم عليه صدق قولهم، كما أنَّ ما حصل للرسول ﷺ من أثر السحر كان مدة قصيرة، ثم شفاه الله تعالى.

خامسًا ـ إنَّ كثيرًا ممن وافقوا المعتزلة في نفي حقيقة السحر وزعموه تخييلاً ـ ممن ليسوا من المعتزلة ـ، لاينفون حقيقة السحر بالمعنى نفسه المنفي عند المعتزلة؛ لأنهم يثبتون أنواعًا منه ويسمونها بأسماء أخرى ويرونها من خواص الأشياء، وهي من أنواع السحر التي يثبتها مثبتو حقيقته، كالاستخدامات للكواكب، والجن، وطاعتهم للسحرة حين يصنعون تلك المظاهر؛ من الرقى والعزائم، التي يتوصلون بها إلى ما يريدون، وكأنواع الطلسمات، وكحيل أصحاب العجائب[1].

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢ـ٥٤)، الفصل (٥/ ١٠١، ١٠٢، ١٠٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٤).

المبحث الرابع
حقيقة السحر

قلَّ من المفسرين من حمل تعليم السحر الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾[(١)] على قراءة كسر اللام المنسوبة إلى ابن عباس، والحسن، وأبي الأسود الدؤلي، والضحاك، وابن أبزى بمعنى أن المعلمين كانا مَلِكين من البشر؛ لأن قراءة الجمهور بفتح اللام، فالمشهور أن تعليم السحر المذكور كان من قِبل مَلَكين من الملائكة، أرسلهما الله تعالى لتعليم الناس هذا الأمر تحذيرًا منه، ولذلك كانا يقولان لمن أراد التعليم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وهذا ما عليه جمهور المفسرين[(٢)]، ويؤيده بحسب ماأرى: أن الله تعالى بوحيه إلى أنبيائه عَلَّمَ الناس ما يصلحهم، ونهاهم عمَّا يضُرُّهم في دينهم ودنياهم فيتوارثون ذلك كله أو بعضه، يقول الإمام ابن حزم: «فبيقين ندري أن العلوم والصناعات لايمكن البتة أن يهتدي أحد إليها بطبعه فيما بيننا دون تعليم، كالطب ومعرفة الطبائع والأمراض، وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالعقاقير التي لاسبيل إلى تجريبها كلها أبدًا..

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) انظر: متشابه القرآن (١/ ١٠٠، ١٠١، ١٠٣)، تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٧، ٢٨)، الكشاف (١/ ٨٥)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٨، ٢٩)، التفسير الكبير (٣/ ٢١٨، ٢١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٥٢)، البحر المحيط (١/ ٣٢٩)، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/ ٦٣٩-٦٤١).

(ويستمر في تعداد ما يحتاج إليه الناس إلى أن يقول) وكلٌّ هذا لاسبيل إلى الاهتداء إليه دون تعليم فوجب بالضرورة ولابدَّ؛ أنه لابد من إنسان واحد فأكثر علَّمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم، لكن بوحي حققه عنده وهذه صفة النبوة»[1].

واختار سبحانه وتعالى لتعليم السحر وبيانه، وتحذير الناس منه ملائكة، على خلاف عادته ـ تبارك وتعالى ـ في إرسال الأنبياء إلى الناس بالتعليم والشرائع، إذ لو علَّمه أحد من البشر لبني جنسهم، وأخبروهم بتحريمه وكُفر صاحبه، وأتوا بالآيات والبراهين الدالَّة على صدقهم ممَّا هو خارقٌ لعاداتهم، لصعب على العقول البشرية التفريق بين جنس هذه الخوارق الدالَّة على صدق نبوتهم، وجنس السحر المحرم المذموم، إذا جاء ذلك من قبل شخص واحد، كما يصعب اعتقاد الحرمة والحالة هذه على كثير من العقول.

فإن قيل: أليس من الأسلم عدم العلم بالسحر، وبالتالي لا يعرف فلا يقع؟

قلنا: إن الله سبحانه وتعالى جعل للشيطان القدرة على سلوك شتى الطرق لإضلال بني آدم، وقد أخذ على نفسه العهد بذلك بعد أن طرده ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وأبعده من رحمته، قال فيما أخبر الله عنه:

---

(١) الفصل (١/ ١٤٠، ١٤١)، وانظر: الدرة في الاعتقاد لابن حزم أيضًا (ص/ ١٠١/ ب) (١٠٢/ أ)، ضمن مجموعة رسائل ابن حزم في مكتبة شهيد علي رقم (٢٧٠٤).

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[١]، وقال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[٢]، وقال الرسول ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»[٣] كما أمر تعالى بالاستعاذة منه بقوله لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾[٤]، والسحرُ مسلكٌ خطر لن تقصر حيلُ الشيطان عن سلوكه ليضلَ به بني آدم، وقد يكون له آثارٌ مادية تستدعي المشاهد لتصديقها والأخذ بها؛ جلبًا للنفع أو إيقاعًا للضرر بالآخرين، فاقتضى الأمرُ العلم والبيان، حتى لايقع الإنسان فريسة الشيطان نتيجة جهله بذلك، ولما يترتب على البيان من الابتلاء، لترتب الثواب والعقاب على الترك والفعل، وللسحر أكثر من حقيقة كلها مذمومة، ويختلف حكم صاحبها تبعًا لاختلافها، ويمكن حصر تلك الحقائق ـ مع تداخل بعض أطرافها ـ بما يلي:

١ ـ طاعة الجن والشياطين لأمر السَّاحر ونهيه، وتختلف الدعاوى في أسباب ذلك بحسب أصحابها. يقول ابن النديم[٥]: «زعم

---

(١) سورة ص.
(٢) سورة الأعراف.
(٣) سبق تخريجه (ص/ ٧٠).
(٤) سورة الناس.
(٥) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق أبوالفرج بن أبي يعقوب البغدادي،=

المعزمون والسحرة: أن الشياطين والجن والأرواح[١] تطيعهم وتخدمهم، وتتصرف بين أمرهم ونهيهم، فأما المعزمون ممن ينتحل الشرائع فزعموا: أن ذلك يكون بطاعة الله ـ جلَّ اسمه ـ والابتهال إليه، والإقسام على الأرواح والشياطين به، وترك الشهوات، ولزوم العبادات، وأن الجنَّ والشياطين يطيعونهم؛ إمَّا طاعة لله ـ جلَّ اسمه ـ لأجل الإقسام به، وإما مخافة منه تبارك وتعالى؛ ولأن في خاصية أسمائه تقدست، وذكره علاَ وجلَّ قَمْعهم وإذلالهم، فأمَّا السَّحرةُ فزعمت أنها تستعبد الشياطين بالقرابين والمعاصي، وارتكاب المحظورات ممَّا لله ـ جلَّ اسمه ـ في تركها رضا، وللشياطين في استعمالها رضا، مثلُ ترك الصلاة والصوم، وإباحة الدماء، ونكاح ذوات المحرم، وغير ذلك من

= كان ورَّاقًا شيعيًا معتزليًا (ت٤٣٨هـ). انظر ترجمته في: لسان الميزان (٥/ ٧٢)، الأعلام (٦/ ٢٩).

(١) يقصد بالأرواح ما كان منها متجردًا عن الأجسام ـ على زعم هؤلاء ـ، وهي أرواح الأموات، يرون أنها تبقى هكذا متجردة عن المادة، تسرح حيث شاءت بين السماء والأرض، ولا شكَّ بأن هذا رأي باطل مخالف للنصوص الدَّالة على أن لها تعلقًا خاصًا بالأجسام، ينالها من عذاب القبر ونعيمه بحسب عمل صاحبها، ولا يمكن استنطاقها ولا إحضارها، كما يزعم المشعوذون الذين يستعينون بالشياطين لمخادعة السذج من الناس؛ لأن كل روح خُلقت لجسمها المعين، فهي مرتبطة به، كما أنه مرتبط بها، لا هو، ولا هي، يستقل بخطاب، أو عمل دون الآخر، ولا يكمل لها، ولا له، نعيم، ولا عذاب، إلاَّ في حالة انتشارها فيه، وتعلقها به تعلقًا تامًا، والله أعلم.

الأفعال الشريرة»[١].

وهذه الحقيقة التي صورها ابن النديم هي بارزة في الأقسام الأربعة الأولى التي مرَّ ذكرها، وقد أوضحت هناك أسباب حصول تلك الأمور وتهيئها للساحر بما أراه كافيًا[٢].

٢ ـ الكلامُ المؤلفُ الذي يُقصدُ به تعظيم غير الله تعالى، وتُنسبُ إليه[٣] فيه المقادير والكائنات، فيبلغ به قائله غرضه، وضرره على فاعله أكثرُ من ضررِه على غيره لما فيه من عظيم سوء العاقبة[٤].

وهذه الحقيقة يدخلُ فيها معظم أقسام السحر مع اختلاف صورها، وتباين أشكالها، سواء كانت بنسبة الحوادث إلى بعض الأفلاك، أو كانت بمباشرة السَّاحر لأعماله في أشياء معينة يستخدمها بمعاونة الشياطين.

٣ ـ أعمالُ فاسدي الدين، وخبيثي النفوس بطريقة خفية يُقصدُ بها الإرعاب والتهويل مما يجري مجرى الحيل[٥]، وهذه تسمى النيرنجيات[٦].

---

(١) الفهرست (ص/ ٤٢٩). وانظر: تفسير البيضاوي مع الحاشية (٢/ ٢١٥)، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٦).

(٢) انظر (ص/ ٢١ـ٢٨).

(٣) أي لغير الله تعالى.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، الخرشي على مختصر سيدي خليل (٨/ ٦٣)، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٦).

(٥) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٨، ٢٩)، تفسير التحرير (١/ ٦٣٦).

(٦) النيرج: أُخَذٌ تشبه السحر وليست بحقيقته، ولا كالسحر، إنما هو تشبيه =

وفي هذه الحقيقة يدخلُ من أقسام السحر، ماكان تخييلاً وخداعًا لا أصلَ له مما يوحي به السَّاحرُ لضعافِ العقول، فيخرج بصورة الواقع والحقيقة، وهو ليس كذلك.

وتلك الحقائق الثلاث تُبرِز أن كل ماهو سحر في المعنى الاصطلاحي فهو ضررٌ لانفع فيه؛ إمَّا أن يُخرجَ من الدين، وإما أن يكون صاحبه من أهل الكذب والبهتان المبين، وهذا متحقق في السحر، والله أعلم.

الفعل المستطاع للساحر:

جاء في بعض أدلة مثبتي حقيقة السِّحر ما يدلُ على وقوع آثاره، كما في الدليل الخامس ـ حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ «**أنه ﷺ حين سحره لبيد كان يُخيلُ إليه أنه يفعلُ الشيء ومايفعله**»[١]، وفي بعضها مايدلُّ على ذكر نوع مما يقدر على فعله السَّاحر، وما يبلغه بعلمه كما في الدليل الثاني ـ التفريق بين المرء وزوجه[٢] ـ، كما أن غالبها دال على الأثر، كالخوف من الإخراج من الدِّيار بالسحر، والاستعاذة من شرِّ فاعله، والشرُّ المستعاذ منه لا بدَّ أن يكون مؤثرًا، وإلاَّ فلا معنى للاستعاذة منه، كما أن الرسول ﷺ صرَّح بنفي ضرر السحرِ لمن تصَّبح بتمر العجوة في ذلك اليوم[٣]، فحصول الضرر لمن لم يفعل ذلك

= وتلبيس. اللسان مادة (نرج) (٣/ ١٩٩). وانظر: المعجم الوسيط (٢/ ٩٧٦).

(١) انظر الدليل (ص/ ٧٦ـ٧٧)، وتخريج الحديث (ص/ ٥٠ـ٥١).

(٢) انظر الدليل (ص/ ٦٩ـ٧١).

(٣) انظر روايات الحديث ووجه الاستدلال (ص/ ٧٨ـ٩٣).

ممكن، ومالا ضرر له، لا ينفي حصوله بسبب، كما لا يحصل بدونه، وقد علمنا موقف نفاة حقيقة السِّحر وأثره من هذه الأدلة، وسبقت مناقشة ذلك عند التحقيق في المسألة(١).

أما مثبتو حقيقة السِّحر فقد اختلفوا في مقدار ما يبلغه السَّاحر بسحره تأثيرًا على غيره، أو فعلاً يفعله هو، أو يفعله في غيره، وقد صور الإمام ابن حجر الخلاف في تأثير السِّحر عند مثبتي حقيقته بأمرين:

الأول ـ أن يبلغ السِّحر من الأثر ما تبلغه الأمراض، من تغير المزاج وفساده، فيكون نوعًا من أنواعها، لا يتجاوز ذلك.

الثاني ـ أن يصل إلى إحالة الطبائع، بحيث يُصيِّر الجماد حيوانًا، والحيوان جمادًا.

ويرى أن الأول: هو ماعليه الجمهور، وأما الثاني: فلم يذهب إليه إلاَّ طائفة قليلة، وأن من يدعي ذلك لا يستطيع إقامة الدليل عليه، إلاَّ إن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فهو مسلم، إذ لا خلاف في أن الله تعالى على كل شيء قدير(٢).

وأقول هنا في الكلام على أثر السحر: ينبغي أن ينظر إليه كغيره من حيث هو تأثير سبب عن مسبب يحصل بحصوله، وينتفي بانتفائه، مما جعله الله تعالى مرتبًا عليه لمقتضى الحكمة الإلهية في الخلق، لا من حيث تعلق القدرة الإلهية، فالله خالق الأسباب ومسبباتها، ويجري

---

(١) انظر (ص/ ٩٤ـ١٠٢).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٢).

مايشاء على خلافها إذا أراد ذلك، تأييدًا لمن يشاء من خلقه دلالة على صدقه، فالنظر إلى السحر هنا يجب أن يكون منصبًا على ما يحصل به من أثر ناشيء عنه نشوء السبب عن مسببه، لا بالنظر إلى القدرة الإلهية.

وقد اختلفت في ذلك الأقوال:

١ ـ إن ضرر السحر لا يتجاوز ماورد في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[1]، وهذا أقصى ما يمكن السَّاحر بلوغه من التأثير؛ لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيمًا لما يكون منه، وتهويلاً به في حقنا، فلو أمكن أن يقع به أعظم من ذلك لذكره؛ لأن المَثَل لا يُضربُ عند المبالغة إلاَّ بأعلى أحواله خاصة، إذا كان المقام مقام تحذير من شناعة أمر وخطورته، كالحال بالنسبة للسحر هـٰهنا[2].

٢ ـ إمكان بلوغ السحر كل ماهو من مستطاع الخلق، وما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[3]، ليس هو بيان أقصى ما يمكن للساحر بلوغه، إنما هو ـ والله أعلم ـ بيان جنس المقدور للساحر مما هو من التصرف في أعراض الحي كالموت، والمرض، والحركة ونحو ذلك مما ليس فيه قلب جنس، ولا مايختص الرب بالقدرة عليه، ولا ما يختص به

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٥)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/ ٢٢٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

الملائكة، لكنه فعل غير خارج عن ·مقدور الخلق، من الجن والإنس، ولكون السَّاحر يتعلم أمورًا تخفى على كثير من الناس، ويتعامل مع الشياطين بطرق خفية لا يعلمها الجمهور، فيضيف مقدورات الشياطين إلى فعله ومقدوره، فيظهر بما يريده مما لايخرج عن مقدور الجن والإنس، مما هو معتاد في العالم، يعرفه الناس، وليس هو من خرق العادة بالمعنى الدقيق، بل هو من العجائب الغريبة، التي يختص بها بعض الناس، كما يختص قوم بخفة اليد، وآخرون بالسباحة الغريبة، وآخرون بالقيافة[١] ونحو ذلك[٢]. وهذا ما صرَّح به بعض علماء الأشاعرة[٣]، خلافًا

(١) القيافة تتبع الآثار ومعرفتها، والقائف هوالذي يتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، والجمع القافة، يقال: فلان يقوف الأثر، ويقتافه، قيافة، مثل قفا الأثر واقتفاه. انظر: اللسان مادة قوف (١١/ ٢٠١، ٢٠٢).

(٢) انظر: كتاب النبوات (ص/ ٥، ٦، ٢٠٦، ٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، وقد كان معتزليًا ثم ترك الاعتزال، ورجع إلى مذهب أهل السنة، وقد كان له منهج وسط بين المتكلمين والسلف بعد ترك الاعتزال، وقبل استقرار رأيه على مذهب السلف، وهي حالة انتقالية يمثلها المنتسبون إليه، ويذكرها المترجمون للمذهب في كتب الفرق، وقد يكون السبب، والله أعلم، طول تلك الفترة الانتقالية بالنسبة للحال المتأخرة. يُدرك ذلك في التحقيق في المذهب. انظر: فيما يخص الإمام الأشعري تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص/ ٣٤ـ٤٥، ١٥٣ـ١٦٣)، ورسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري لأبي القاسم بن درباس (ص/ ١٠٧ـ١٣٢)، مع كتاب الأربعين للهروي.

وممن ذكر مذهب الأشاعرة ملخصًا البغدادي في الفرق بين الفرق =

لأصلهم، يقول إمام الحرمين[١]: «. . . لايمتنع أن يترقى السَّاحر في الهواء، ويتحلق في جو السماء، ويسترق ويتولج في الكواء[٢]، والخوخات[٣]، إلى غير ذلك مما هو من قبيل مقدورات البشر، إذ الحركات في الجهات من قبيل مقدورات الخلق، ولا يمتنع عقلاً أن يفعل الرب تعالى عند ارتياد السَّاحر ما يستأثر بالاقتدار عليه، فإن كل ماهو مقدور للعبد فهو واقع بقدرة الله تعالى عندنا»[٤]. وفي الأمثلة التي ذكرها الإمام الجويني على مايمكن الساحرُ فعله، مع تصريحه بأن مستطاعه محدود بما هو من مقدورات البشر ـ مع صحة هذا المذهب ـ مخالفة لتعليله حصول

= (ص/ ٣٢٣ـ٣٦٢)، التبصير في الدين للإسفرائيني (ص/ ١٥٣ـ١٥٨)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٤ـ١٠٣)، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية للدكتور عرفان عبدالحميد (ص/ ١٤٨ـ١٥٠).

(١) هو أبوالمعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة في أصول الدين وفروعه (ت٤٧٨هـ).
انظر ترجمته في: تبيين كذب المفتري (ص/ ٢٧٨ـ٢٨٥)، وفيات الأعيان (٣/ ١٦٧ـ١٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨ـ٤٧٧)، الأعلام (٤/ ١٦٠).

(٢) الكوة ـ تفتح وتضم ـ: الثقبة في الحائط، وهي بلغة الحبشة المشكاة، وقيل: كل كوة غير نافذة مشكاة. انظر: المصباح المنير (٢/ ٢٠٧)، القاموس (٤/ ٣٨٤).

(٣) الخوخة: كوة تؤدي الضوء إلى البيت، ومخترق ما بين كل دارين مما ليس عليه باب. انظر: مختار الصحاح (ص/ ١٩٢)، القاموس (١/ ٢٥٨).

(٤) كتاب الإرشاد (ص/ ٣٢١، ٣٢٢)، انظر: نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص/ ٤٣٣).

ما يحصل من السحرة بكون ذلك واقعًا بقدرة الله تعالى، لأن ماهو واقع بالقدرة الإلهية، لا ينبغي أن يُحدد بما هو من مقدورات البشر، كما أن في ذلك مخالفة لدليله الذي بنى عليه الجواز، حيث قال: «إنه مامن أمر يخرق العوائد، إلاَّ وهو مقدور للرب تعالى ابتداء، ولا يمتنع وقوع شيء لتقبيح عقل»[١]. ويتضح هذا من تفريقه بين المعجزة وبين الكرامة والسحر، حيث قال: «إن المعجزة لا تدلُّ لعينها، وإنما لتعلقها بدعوى النبي الرسالة، ونزولها منزلة التصديق بالقول»[٢]، وقال: «ثم إنه ـ السحر ـ لا يظهر إلاَّ على فاسق، والكرامة لا تظهر على فاسق، وليس ذلك من مقتضى العقل ولكنه متلقى من إجماع الأمة»[٣]، وهذا ماوقع به جمهور الأشاعرة، حيث مثلوا على ما يمكن الساحر فعله بأمثلة صحيحة، رأوا أن الإجماع هو المانع لهم من القول بأكثر من ذلك، وعدم تجويز العقل الإتيان بخوارق تصلُ إلى فلق البحر، وإحياء الموتى، ونحو ذلك، كما قال الإمام الغزالي: «إن أحدًا من العقلاء لم يجوز انتهاء السحر إلى إحياء الموتى، وقلب العصا ثعبانًا، وفلق القمر، وشق البحر، وإبراء الأكمه، والأبرص وأمثال ذلك»[٤].

---

(١) الإرشاد (ص/ ٣١٩).
(٢) المرجع السابق (ص/ ٣١٩، ٣٢٢).
(٣) الإرشاد (ص/ ٣٢٣).
(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ١٦٧).

وقال الآمدي[١]: «إدعاء أن كل مقدور لله تعالى مما يمكن تأتيه بهذه الأمور ـ السحر والطلسمات ونحوهما ـ مما يعلم بطلانه بالضرورة، فإن أحدًا من العقلاء لايجوز انتهاء السحر والطلسم وغيره من الصنائع إلى فلق البحر، وإحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص»[٢]. وقال الإمام القرطبي: «أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر مايفعل اللهعنده إنزال الجراد، والقمل، والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل ـ عليهم السلام ـ، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون، ولا يفعله الله عند إرادة السَّاحر. قال القاضي أبوبكر بن الطيب[٣]: وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه لأجزناه»[٤]، وقد أغلظ القول في الرد على هذا الإمام ابن

---

(١) هو أبوالحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي، فقيه، أصولي، يلقب بسيف الدين الآمدي، له مصنفات كثيرة، توفي سنة (٦٣١هـ)، وكان مولده سنة (٥٥١هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٣، ٢٩٤)، شذرات الذهب (٥/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) غاية المرام في علم الكلام (ص/ ٣٣٢).

(٣) هو أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، القاضي، أنبه علماء الأشاعرة، سكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام وغيره، توفي سنة (٤٠٣هـ). انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩ـ٣٨٣)، تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص/ ٢١٧ـ٢٢٦)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين المجلد الأول (٤/ ٤٧، ٤٨).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٧). وانظر: أضواء البيان (٤/ ٤٦٧).

حزم بكلام طويل[١]، وُفِّقَ في قليله، أي ما يتعلق بلزوم عدم التفريق بين المعجزة والسحر، وبيان ضعف الفروق التي لجأوا إليها، وجانبه الصواب؛ في نفي حقيقة السحر وأثره، ونفي الكرامة. وليس في قول الغزالي، ولا الآمدي، ولا القرطبي؛ ما يُوحي بنفي أن تكون أعمال السحرة غير معتادة، إذ لم يعحُدّوا مستطاع السحرة بما هو من مقدور الخلق، لما بينت قبل قليل، ولما سيأتي.

٣ ـ قال قائلون بجواز وقوع خوارق على أيدي السحرة، مما ليس من مقدورات البشر. يقول المازري[٢] بعد حكاية تأثير السحر عند من رأى حدَّه بالتفريق بين المرء وزوجه، فيما حكاه عنه النووي: «ومذهب الأشعري أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال: وهذا هو الصحيح عقلاً؛ لأنه لا فاعل إلاَّ الله تعالى، وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى، ولا تفترق الأفعال في ذلك، وليس بعضها بأولى من بعض، ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير إليه، ولكن لا يوجد شرع قاطع يوجب الاقتصار على ماقاله القائل الأول[٣]»[٤]. فتعليل الجواز بأن الله تعالى هو

---

(١) انظر: الفصل (٥/ ٩٩ـ١١٠).

(٢) هو أبوعبدالله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، الفقيه، المالكي، أحد الأعلام المشار إليهم في الحفظ، له مؤلفات عديدة، توفي سنة (٥٣٨هـ). انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٥)، الأعلام (٦/ ٢٧٧).

(٣) المراد بالأول ـ من قال: لايزيد أثر السحر عن التفريق بين المرء وزوجه.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٥).

الفاعل، وأن الأفعال لا تفترق، وأن بعضها ليس بأولى من بعض، وعدم وجود شرع يوجب الاقتصار ـ على زعمهم ـ؛ دليل القول بجواز خرق العادة مطلقًا بفعل السَّاحر بناء على أصلهم هذا، لابالنظر إلى ماصرَّحوا به من الأمثلة المبنية على أمور خارجة عنه، يقولُ الإمامُ القرطبي: «قال علماؤنا لاينكر أن يظهر على يد السَّاحر خرقُ العادات مما ليس في مقدور البشر، من مرض، وتفريق، وزوال عقل، وتعويج عضو[1]، إلى غير ذلك مما قام الدليلُ على استحالة كونه من مقدورات العباد، قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يتولج في الكوات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء، وركوب كلب، وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجبًا لذلك، ولا علة لوقوعه، ولا سببًا مولدًا، ولا يكون السَّاحر مستقلاً به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والري عند شرب الماء»[2].

---

(١) جاء في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ دفع خيبر إلى أهلها بالشطر، فلم تزل معهم حياة رسول الله ﷺ كلها وحياة أبي بكر، وحياة عمر، حتى بعثني عمر لأقاسمهم، فسحروني فتكوَّعت يدي فانتزعها عمر منهم (٢/ ٣٠). انظر: الإرشاد للجويني (ص/ ٣٢٢)، فتح الباري (٥/ ٣٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦،٤٧). وانظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٣، ٢١٤) (٢١/ ٨٥)، البحر المحيط (١/ ٣٢٧).

في النصَّين السابقين دلالة على المذهب المشار إليه، وكما سبق أن قلت إن الأمثلة هي مما يمكن للساحر فعله، ولكنها ليست خوارق ـ كما زعموا ـ بل هي من مستطاع الخلق، وجاء في القول السابق بيان هذا، ولا شكَّ بأن أصحاب هذا المذهب يُدركون عدم استقامة مذهبهم، حيث صرحوا بأن الإجماع يصادمهم فيما يلزم قولهم المطلق، فحددوا ما يستطيع الساحر بلوغه بالأمثلة فقط وهذا تحكم؛ لأن الأمثلة تعدُّ توضيحًا لا تحديدًا، وإذا استثنى شيء من الأفراد الداخلة تحت العموم مما يشمله الدليل؛ عُدَّ هذا تناقضًا وخروجًا من قائله على أصوله، وهذا يشكك في المنهج المتبع في هذا الشأن.

ممَّا سبق رأينا أن استدلال الأشاعرة وتعليلهم يجيز خرق العادة مطلقًا؛ لأن الله تعالى هو الفاعل لكل ذلك، وما يجري من الفعل لا يُعدّ السِّحر سببًا له، ولا علة لوقوعه، ولا يكونُ السَّاحرُ مستقلاً به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء ويحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والرِيّ عند شرب الماء، ونحو ذلك[١].

ولهذه المسألة تعلق بالجبر[٢]، وأصحاب هذا القول عند التحقيق

---

(١) انظر: الإرشاد (ص/ ٣٢١، ٣٢٢)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٧).

(٢) الجبر: هو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، والجبرية صنفان: متوسطة تثبت للعبد كسبًا في الفعل كالأشعرية، وخالصة لا تثبت للعبد شيئًا كالجهمية. انظر: التعريفات (ص/ ٤٠)، كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٨٢، ٢٨٣)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٩٠).

ينكرون الحكمة، والرحمة، والقوى، والطبائع، والأسباب، ولا فعل للعبد عندهم ولا قدرة، والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لأفعال العباد، وأثبتوا للعبد ـ ما سموه ـ كسبًا[١]، فلا تأثير لقدرته وفعله فيما يعمله، وليست هي صلب موضوعنا. لكن المراد هنا، هو بيان أن أصحاب هذا الاتجاه يلزمهم لوازم يصعب عليهم التخلص منها، ويقعون في تناقض يوهنُ مذهبهم. فتراهم لمَّا أجازوا خرق العادة مطلقًا بناء على أصلهم، إنكار تأثير الأسباب، لزمهم القول بقدرة السَّاحر على الإتيان بكل خارق؛ لأن الله هو الفاعل، وإذا كان الله هو الفاعل فلاحدَّ لفعله، ولا دخلَ للأسباب، إنما الله تعالى هو الخالق لما يحدث عند تلك الأشياء، وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، مع مخالفة صريح العقل والحس، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[٣]، وقال: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) الكسب: إيجاد الفعل لاجتلاب منفعة، أو دفع مضرة، هذا مدلوله اللغوي، أما في اصطلاح المتكلمين: فهو عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، وقيل غير هذا. انظر: الحدود والحقائق للأبي (ص/ ٢٦)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص/ ٣٤)، التعريفات للجرجاني (ص/ ٩٧)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٢٩٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾[1]. ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ جدًا، ومن السنة مارواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ **«أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد (أو شاباً)، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها (أو عنه)، فقالوا: مات. قال: أفلا كنتم آذنتموني، قال: فكأنهم صغروا أمرها (أو أمره). فقال: دلوني على قبره، فدلوه؛ فصلى عليها. ثم قال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عزَّ وجلَّ ينورها لهم بصلاتي عليهم»**[2] ومثلُ هذا الحديث كثير.

والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن بعض الأشياء سبب لبعض، كما يعلمون أن الشبع يحصلُ بالأكل لا بالعد، ويحصلُ بأكل الطعام لا بأكل الحصى، وأن الماء سببٌ لحياة النبات والحيوان كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[3]، وأن الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشي، ومثلُ ذلك كثير[4].

كما أن المخالفين لما ذكر؛ لم يأتوا بفرق معقول بين خوارق السحرة، وبين آيات الأنبياء، وكرامات الصَّالحين، ومن أقوالهم في الفرق:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٢) صحيح الإمام مسلم كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (٢/ ٦٥٩)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٨٨).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٤) انظر: مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية (٨/ ١٣٦ـ١٤٠، ٣٨٨ـ٣٩٣، ٤٠١ـ٤٠٣) (٩/ ٢٨٧، ٢٨٨)، درء تعارض العقل (٩/ ٣٤٠، ٣٤١).

١ - إن دلالة المعجزة على صدق النبوة ليس لذاتها، إنما لتعلقها بدعوى النبي الرسالة، ونزولها منزلة التصديق بالقول[١].

٢ - إن معجزات الأنبياء تقترن بدعوى النبوة، ويتحدى بها النبي الخلق، بخلاف السحر فلا يكون على يد مدعي النبوة، ولا يتحدى به أحدًا؛ لأنه يوجد منه ومن غيره ممن يعرفون مثله، ويمكنهم الإتيان بمثله، أو بأقوى منه في وقته وفي غيره[٢].

٣ - عدم جواز ظهور الخوارق على يد مدعي النبوة إذا كان كذَّابًا لحصول التلبيس، أما إذا لم يدَّعِ النبوة فلا محذور، ولا مانع من ظهورها؛ لأن المحق يتميزُ عن المبطل بحصول الخوارق له مع الدعوى بخلاف المبطل[٣].

٤ - إن السحر لا يظهر إلاَّ على أيدي أهلِ الفجور والفسق، بخلاف المعجزة والكرامة، فلا تحصلُ إلاَّ لأهلِ البرِ والتقوى والصلاح[٤].

وهذه الفروق ونحوها ضعيفة لا يتحققُ بها الفرقُ، ويكفي في نقضها الإجماع المنعقد على أن خوارق السحرة ليس فيها ما يبلغُ إحياء

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني (ص/ ٣١٩، ٣٢٢)، نهاية الإقدام للشهرستاني (ص/ ٤٢١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٧).

(٢) انظر: الإرشاد (ص/ ٣١٩، ٣٢٢)، نهاية الإقدام (ص/ ٤٢١)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٧)، الفصل (٥/ ٩٩)، النبوات لابن تيمية (ص/ ٣).

(٣) انظر: نهاية الإقدام للشهرستاني (ص/ ٤٣٤)، التفسير الكبير (٣/ ٢١٤، ٢١٥).

(٤) انظر: الإرشاد (ص/ ٣٢٣)، كتاب النبوات (ص/ ٣)، تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب (٢/ ٢١٥).

الموتى، وفلق البحر، وقلب العصا حية، وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك ممَّا أقروا به، ورأوه مانعًا لهم من القول بمقتضى أصلهم[١]، وأيضًا ففي النظرِ في أفعال السحرة، ومقدرتهم يدركُ المتأملُ أن أفعالهم ليست خارجة عن مقدور الجن والإنس فهي مستطاعة لهم، تنال بفعل السَّاحر وتعاطيه ما تعلّمه، وبعون الشياطين له بحسب ما يعلمه، إمَّا تحقيقًا، أو تخييلاً وخداعًا، وكلٌّ ذلك ليس فيه انقلاب عين، ولا إحالة طبيعة، وإنما تصرف في أعراض الحي مما هو مدرك بالتعلم، كما أخبر تعالى عن السحر أنه مما يُعلم ويُتَعَلَّم، كما في سورة البقرة[٢]، وهذا فرقٌ صريح، حيث إن المعجزات والكرامات لا ترتبطُ بالعلم بالأسباب؛ لأنها تأتي على خلاف السنن التي يسيرُ بموجبها نظام الكون فهي خرق لذلك النظام، فلا تعلم ولا تتعلم، إنما هي فعل الخالق المطلق.

أما ما يذكر من أمثلة؛ مما يستطيعه السحرة كالطيران في الهواء، والانتقال من مكان إلى مكان بسرعة هائلة، والمشي على الماء، والتولج في الكوات والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة والجري على خيط مستدق، والإتيان بأخبار أحد بعيد، كما أن السَّاحر يقتلُ بسحره، ويمرضُ ويفرقُ بين المرء وزوجه ونحو ذلك[٣]، وهذا كله غير

---

(١) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد (ص/ ١٦٧)، غاية المرام في علم الكلام (ص/ ٣٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٧).

(٢) آية: ١٠٢.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٤)، الإرشاد (ص/ ٣٢١)، التفسير الكبير=

خارج عن مستطاع المخلوقات جاء في كتاب اللمع: «قيل لأبي يزيد[١] ـ رحمه الله ـ فلان يقال إنه يمرُّ في ليلة إلى مكة، فقال: الشيطان يمر في لحظة، من المشرق إلى المغرب، وهو في لعنة الله، وقيل له: إن فلانًا يمشي على الماء، فقال الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك.. (وقال) لو أن رجلاً بسط مصلاه على الماء، وتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي»[٢].

وفي قول أبي يزيد توضيح لما سبق بيانه من أن الطيران في الهواء، والمشي على الماء، والانتقال إلى الأماكن البعيدة بسرعة، إذا حدثت لأحد فهي غير منكرة من حيث هي؛ لأنها أمور غير خارجة عن مقدورات الخلق، لكن حال صاحبها هي الدليل على نوع ما يحدث له، فإن كان ملتزمًا بالشرع فتلك كرامة من الله تعالى، وقد تكون أعلى مما ذكر مما لايستطيعه البشر، وإن كان قليل التمسك بالدين، فتلك أفعال الشياطين، يعملون له ما يشاء من مقدوراتهم، جزاء مخالفة الأمر، وإتيان النهي باقتراف المحرمات، والخضوع لهم بالطاعات وتقديم

= (٣/ ٢١٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦، ٤٧)، كتاب النبوات (ص/ ٦، ٢٠٦، ٢٥٧، ٢٥٩).

(١) هو أبويزيد طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسطامي، زاهد مشهور ـ جده مجوسي أسلم ـ، له مقالات كثيرة، توفي سنة (٢٦١هـ) وقيل (٢٦٤هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان (٢/ ٥٣١)، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٤٦، ٣٤٧)، تاريخ التراث العربي لسزكين المجلد الأول (٤/ ١٢٥).

(٢) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي (ص/ ٤٠٠)، وانظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة لعدي بن مسافر (ص/ ٧).

القربات.

وأنواع ما يعمله السَّاحرُ؛ إما تأثيرٌ على الأعين، فترى الشيء على غير حقيقته، وإما أن يكون ما يشاهد وما يحصل هو كذلك بالفعل بسبب السحر، فكل سبب يوصل إلى مسببه، وخالقُ الأسباب ومسبباتها هوالله الخَّلاقُ العليم، ولو شاء ربُكَ ما فعلوه، لكن العليم الحكيم رتب الثواب والعقاب على الفعل والترك، تبعًا للأمر والنهي، والله أعلم.

فإن قيل: لقد قلتم إنَّ السَّاحر لايمتنع عليه الانتقال من مكان إلى مكان بسرعة هائلة، ولا الطيران في الهواء، ولا الجلوس على الماء ونحو ذلك. وقلتم: إن تلك الأعمال غير خارجة عن مقدور الخلق، فهل قلب الإنسان حمارًا أو الحمار إنسانًا، وقلب الجماد حيوانًا، أو الحيوان جمادًا، وقطع بعض أعضاء الإنسان وإعادته، ونحو هذا من تغيير البنية والشكل، أو الدخول في بطن الحيوان من فمه، والخروج من أسته، أو عكس ذلك، أو المشي على الفاكهة الغضة من غير أن تتأثر بوطء أقدامه، يعدُّ هذا وأمثاله، من مستطاع السَّاحر.

قلنا: قبل الجواب على هذا التساؤل لابدَّ من بيان أمر مهم، هو أن إعادة الحياة لميت، أو إيجاد حي من جماد، هو فعل الرب ـ تبارك وتعالى ـ وحده، والأسباب التي توجد بها الحياة في هذا العالم ليست موجبة؛ لأنها تتوفر ولا تحصل الحياة، كما يوجد الله تعالى أحياء بدونها، وقد جرى على أيدي بعض الرسلِ ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إحياء الموتى بأسباب خاصة، جعلها الله تعالى لتلك الحالات تصديقًا

لأنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ولا تتكرر بذلك الفعل؛ إلاَّ بأمر الله تعالى، ومن تلك الحالات قصة قتيل بني إسرائيل الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1]، وكإحياء عيسى ـ عليه السلام ـ الموتى، بإذن الله تعالى، كما أخبر عنه سبحانه وتعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2]، وعن مثل هذا أيضًا، أخبر سبحانه بقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[3]. فضرب الميت ببعض البقرة، ونفخ عيسى ـ عليه السلام ـ بما صوره على هيئة الطير، أفعال ليست من جنس الأسباب التي تحصلُ بها الحياة، فيما يشاهد في العالم، فدلَّ ذلك على أنه فعل

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) سورة المائدة.

الله المحض سبحانه وتعالى.

وفي الجواب على التساؤل أقول: إنه ليس من مستطاع السَّاحر جعل الجماد حيًّا، وقطع عضو من إنسان، أوحيوان، وإعادته في الحال، من غير ضرر، ولا ألم، كما لا يستطيع دخول بطن الحيوان والخروج منه، والحيوان حي غير متأثر به، كما لا يمكنه أن يطأ الفاكهة الغضة، أو أي جسم رقيق بأقدامه. ولا يحصل من ذلك ضرر في الحقيقة والواقع، لكن من مستطاع الساحر أن يؤثر على الأعين بسحره كما أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن سحرة فرعون بقوله: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، وقوله تعالى ذاكرًا حال موسى ـ عليه السلام ـ بعد إلقاء السحرة ماعندهم: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[2]، وقوله تعالى في الخبر عن حال المشركين مع الدعوة: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾[3]، ومادلَّت عليه الآيات، يعني أن مايراه الناس أمامهم مما أراد السَّاحر أن يُرِيهُ لهم على غير ماهو عليه، إنما يكون بالتأثير على أعين الناس، وهذا إليه الإشارة بالآيات المخبرة عن سحرة فرعون، وأما الآية المتحدثة عن المشركين ففيها؛ أن حدوث ما هو بخلاف الحقيقة والواقع يحصل بسبب السحر، فاحتمال تصور مثل تلك الأمور

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.
(٢) سورة طه.
(٣) سورة الحجر.

من هذا الطريق، كما تصور الناس الحبال والعصي الجامدة حيات متحركة، وهي ليست كذلك. وهذا أمر حق، وعليه يحمل ما يظهره السَّاحرُ بفعله في غالب الأحوال.

وقد يتمكن السحرة بعد إعطاء أدوية مبلدة يكون لها تأثير خاص، يتوصلون بعدها بوساطة الشياطين إلى استخدام جسم الإنسان، وقواه البدنية، بعد السيطرة على لسانه بتلك الأدوية، فيتقمصه الشيطان، ويظهر بصورة كلب، أو غيره، مما أرادوه من الحيوانات العجماء، ولا يتمكنون من عمل هذا على كل حال، إنما إذا تهيأ لهم إعطاء أدويتهم هذه، لمن هو خاوي المعدة، قليل ذكر الله وتلاوة القرآن.

قال صاحب أضواء البيان عن القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثيرُ السِّحر في المسحور: «اعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين: طرف لاخلاف في أن تأثير السحر يبلغه، كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور، ونحو ذلك، ودليل ذلك القرآن، والسنة الصحيحة. وطرف لا خلاف في أن تأثير السحر لايمكن أن يبلغه؛ كإحياء الموتى، وفلق البحر، ونحو ذلك.. وأما الواسطة؛ فهي محل خلاف بين العلماء، وهي هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حمارًا مثلاً، والحمار إنسانًا؟ وهل يصح أن يطير الساحر في الهواء، وأن يستدق جسمه حتى يدخل من كوة ضيقة، وينتصب على رأس قصبة، ويجري على خيط مستدق، ويمشي على الماء، ويركب الكلب، ونحو ذلك. فبعض الناس يجيز هذا...(ثم قال) قال مقيده

عفا الله عنه وغفر له: أما بالنسبة إلى أن الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات، على ماشاء من الأسباب، وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب.. فلا مانع من ذلك والله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١)، وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل، فلم يقم عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يَسْتَدلُ به قائله، حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ماوقع منها من جنس الشعوذة، والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلاً إلى حقيقة أخرى، وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم»(٢).

وأقول: إن ماذكره الشيخ الشنقيطي من الأمثلة ليس جنسًا واحدًا، فمنه أمور، سبق أن ذكرتها، ليست مستحيلة؛ لأنها من مستطاع الخلق، ولا غرابة في حصولها بعد العلم بأن السَّاحر يستعين بالشياطين، وليس فيها قلب للحقائق، وفيما سبق غنى عن إعادته، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) أضواء البيان (٤/٤٦٦ـ٤٦٨).

أثر السحر على رسول الله ﷺ

يرى جمهور المفسرين، أن سبب نزول المعوذتين؛ هو ماكان من سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ[١]، وقد روى المحدثون قصة السحر في الصحاح والسنن والمساند، وغيرها من الكتب التي تتعرض لذكر أحواله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وسأذكرُ فيما يلي الروايات الجامعة لألفاظ القصة من غير تكرار فأقول:

روى البخاري عن إبراهيم بن موسى[٢] بسنده إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: **«سُحِرَ النبي ﷺ حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: أَشَعُرْتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي. فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان[٣]. فخرج إليها**

---

(١) انظر (ص/ ٧٢_٧٥).

(٢) هو إبراهيم بن موسى الرازي الفراء، الحافظ أبوإسحاق، أحد أركان العلم من ذوي الإتقان، كتب عنه أبوزرعة الحافظ مائة ألف حديث. انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢/ ٦٩).

(٣) اختلفت الروايات في لفظها، فقيل: «أروان»، وقيل: «ذي أروان»، وهكذا هو في جميع نسخ مسلم، وفي بعض روايات البخاري، وفي معظمها «ذروان» وكلاهما صحيح، والأول أجود وأصح، وقال ابن قتيبة: «إنه الصواب وهي =

النبي ﷺ ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين[١]، فقلت: استخرجته؟ فقال: لا؛ أمَّا أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرًا، ثم دفنت البئر»[٢].

وروى البخاري عن عبدالله بن محمد[٣] بسنده إلى عائشة ـ رضي

= بئر بالمدينة في بستان بني زريق» هذا ماحكاه النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧٧/١٤). وانظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٥)، فتح الباري (٢٢٩/١٠، ٢٣٠).

(١) في بعض الروايات **«وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين»**، وفي بعضها **«كأن نخلها»** بغير ذكر رؤوس، والتشبيه إنما وقع على رؤوس النخل، فلذلك أفصح به في بعض الروايات، وهو مقدر في غيرها، والمراد تقبيح أجمل ما في النخلة وهو أعلاها؛ لأن التشبيه برؤوس الشياطين يراد به ذلك. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٧)، فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).

(٢) البخاري كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (١٤٨/٤). وانظر: كتاب الجزية باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر (٤/ ١٢٣)، كتاب الطب باب السحر وقول الله تعالى ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ (٧/ ١٧٦، ١٧٧)، باب السحر (١٧٨/٧)، ومسلم كتاب السلام باب السحر (٤/ ١٧١٩، ١٧٢١) مع اختلاف في بعض الألفاظ من ذلك «أفلا أحرقته» في إحدى الروايتين لمسلم، وهكذا عند ابن ماجة في السنن كتاب الطب باب السحر (٢/ ١١٧٣)، ومسند الإمام أحمد (٦/ ٥٠، ٥٧، ٦٣، ٦٤).

(٣) هو عبداللهبن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي أبوبكربن أبي شيبة، الكوفي، الحافظ، صاحب التصانيف، روى عن شريك، وهشيم وابن المبارك، وابن عيينة وغيرهم، وعنه الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبوداود وابن ماجة وغيرهم، توفي سنة (٢٣٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٦٦، ٧١)، ميزان الاعتدال (٢٠/ ٤٩٠)، شذرات الذهب (٢/ ٨٥)، الرسالة المستطرفة (ص/ ٣١).

الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ سُحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان[١]: وهذا أشدُّ مايكونُ من السِّحر إذا كان كذا. فقال: ياعائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليَ، فقال الذي عند رأسي للآخر: مابالُ الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت رعوفة[٢] في بئر ذروان. قالت: فأتى النبي ﷺ إلى البئر حتى

---

(١) هو أبومحمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الكوفي، أحد أئمة الإسلام المتقنين، سمع زياد بن علاقة والزهري وغيرهما. قال ابن وهب: لا أعلم أحدًا أعلم بالتفسير من ابن عيينة، مات سنة (١٩٨هـ). انظر: تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤ـ١٨٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠)، شذرات الذهب (١/ ٣٥٤،٣٥٥).

(٢) اختلفت الروايات في لفظها جاء في فتح الباري القول: في رواية الكشميهني «راعوفة» بزيادة ألف بعد الراء، وهو كذلك لأكثر الرواة، وعكس ابن التين، وزعم أن راعوفة للأصيل فقط، وهو المشهور في اللغة، وفي لغة أخرى «أرعوفة»، ووقع كذلك في مرسل عمر بن الحكم، ووقع في رواية معمر عن هشام بن عروة عند أحمد «تحت رعوثة» بمثلثة بدل الفاء، وهي لغة أخرى معروفة، ووقع في النهاية لابن الأثير، أن في رواية أخرى «زعوبة» بزاي موحدة، قال: هي بمعنى راعوفة» الفتح (١٠/ ٢٣٤).

وفي معناها، ثلاثة أقوال، كما في غريب الحديث لابن الجوزي: «أحدها ـ أنها صخرة تترك في أسفل البئر إذا احتفرت يجلس عليها المنقي. والثاني ـ أنها حجر يكون على رأس البئر يقوم عليها المستقي. والثالث ـ أنها حجر صلب يكون في البئر لا يمكنهم حفره فيترك على حاله» (١/ ٤٠٠). وانظر: =

استخرجه. فقال: هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء[١]، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج. قالت: فقلت أفلا تنشرت[٢] فقال: أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا[٣].

وروى البخاري عن إبراهيم بن منذر[٤] بسنده إلى عائشة ـ رضي الله عنها ـ **«أن رسول الله ﷺ طب، حتى إنه ليخيل إليه قد صنع الشيء وما صنعه، وأنه دعا ربه، ثم قال: أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته**

= فتح الباري (١٠/ ٢٣٤).

(١) أي لون ماء البئر، لون الماء الذي ينقع فيه الحناء، أي أحمر. والحناء: نبت يتخذ ورقه للخضاب. انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٠)، المعجم الوسيط (١/ ٢٠٠).

(٢) النشرة بالضم: إطلاق السحر عن المسحور كما يطلق على الرقية التي يعالج بها المجنون، سميت بذلك؛ لأنه ينشر بها عنه ماخامره من الداء يكشف ويزال. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٠٨)، اللسان (٧/ ٦٥)، القاموس (٢/ ١٤٢).

(٣) البخاري كتاب الطب باب هل يستخرج السحر (٧/ ١٧٧، ١٧٨). انظر: كتاب الأدب باب قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ (٨/ ٢٢، ٢٣)، سنن النسائي كتاب تحريم الدم باب سحرة أهل الكتاب (٧/ ١١٢، ١١٣)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٧) (٦/ ٦٣)، دلائل النبوة (٧/ ٩٢ـ٩٤) مع اختلاف في بعض ألفاظه.

(٤) هو إبراهيم بن المنذر بن عبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد، أبوإسحاق، الأسدي، الخزامي، من أهل مدينة الرسول ﷺ، سمع مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن وهب وغيرهم، وروى عنه البخاري ويعقوب بن سفيان وأحمد بن يوسف وغيرهم. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ١٧٩ـ١٨١)، ميزان الاعتدال (١/ ٦٧).

فيه، فقالت عائشة: فما ذاك يارسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي. فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة. قال: فأين هو؟ قال: في ذروان. وذروان بئر في بني زريق. قالت: فأتاها رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة. فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين. قالت: فأتى رسول الله ﷺ فأخبرها عن البئر، فقلت يارسول الله: فهلاً أخرجته؟ قال: أما أنا فقد شفاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرًا»[١].

بعد ذكر تلك الروايات المشهورة يتضح لنا: أنها تتفق في أن الرسول ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأن تأثير السحر بلغ به إلى أنه أصبح يُخيّلُ إليه أنه يفعلُ الشيء وما يفعله، وعدَّ هذا بعضُ العُلماء من قبيل التواتر[٢]. وقد صرَّحت بعض الروايات بنوع التأثير، وهو تخيل أنه ﷺ يأتي النساء وهو لا يأتيهن.

وقد اختلفت الروايات في كون السحر المعمول له ﷺ استخرج من البئر أو لا.

ولتوضيح الأمر الأول، وهو الاختلاف الظاهرُ بين بعضِ

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء (٨/ ١٠٣، ١٠٤). وانظر: مسند الإمام أحمد (٦/ ٩٦)، دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٢٤٧).
(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٣).

الروايات في الحديث، من كونه ﷺ: «**يخيلُ إليه أنه يفعلُ الشيء ولا يفعله**»، ومن كونه: «**يخيلُ إليه أنه يأتي النساء وهو لا يأتيهن**».

أقول: إن الحديث متفق على صحته، والروايات المذكورة كلها صحيحة، ويمكن أن يُحمل المطلق من الروايات على ماكان جائزًا عليه ﷺ من أمور الدنيا، ومما هو عرضة فيه للآفات كسائر البشر كما يمكن أن تحمل الرواية المطلقة «**أنه يفعلُ الشيء ولا يفعله**» على المقيدة «**إتيان النساء وهو لا يأتيهن**» فتكون المقيَّدة مفسِّرة ومخصصة لما أجمل في المطلقة، ويؤيدُ هذا ماجاء في بعض الروايات من أنه ﷺ حبس عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، أو حبس عن النساء والطعام والشراب[1].

وقد قال القاضي عياض[2] في معنى التخييل في إتيان النساء وهو لا يأتيهن: «أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة السِّحر؛ فلم يقدر على إتيانهن. كما يعتري من أخذ واعترض، ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: «**وهذا أشدُّ ما يكونُ من السِّحر**»، ويكون قولُ عائشة في الرواية الأخرى: «**إنه ليُخيلُ**

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٨٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. القاضي أبو الفضل، فقيه محدث، أديب، يعدُّ عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، ولي قضاء سبته، ومولده فيها سنة (٤٧٦هـ)، وتوفي بمراكش سنة (٥٤٤هـ). له مصنفات كثيرة. انظر: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٤٥٣، ٤٥٤)، بغية الملتمس للضبي (ص/ ٤٣٧)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢ـ٢١٨).

إليه أنه فعل الشيء وما فعله» من باب مااختلَّ من بصره»[١].

وأرى أن هذا المعنى الذي ذهب إليه القاضي عياض هنا بعيد عن معنى الروايات الواردة في الواقعة، ولا تحتمل الألفاظ الواردة فيها؛ ذلك المعنى، فهو متكلف؛ لأن توقع إتيان النساء وهو لايأتيهن، غير توقع القدرة، ثم انتفاؤها، ولا يمكن أن يُحمل القولُ «**بأنه يفعل الشيء وهو لا يفعله**» على ذلك المعنى، حيث يعبَّرُ عنه ـ لو أنَّه هو المراد ـ بأنه يخيلُ إليه القدرة على فعل الشيء، أو إتيان أهله، ثم لايحصلُ ذلك، أو لايقدرُ على ذلك، ونحوه. فالأقربُ إلى ألفاظ الحديث التفسيرات الأولى، وسأذكرُ ـ إن شاء الله تعالى ـ في الرد على منكري تأثير السحر على الرسول ﷺ ما يزيدُ المعنى المراد وضوحًا.

وحول اختلاف الروايات في استخراج السحر من البئر، وعدم استخراجه. يقال: الروايات كلها صحيحة، لامجال لإنكار شيء منها، وعند التحقيق في مدلولها لا تنافي بينها، فالمنفي فيها غير المثبت، وقد وضَّح أوجهًا من ذلك الإمام النووي ـ رحمه الله ـ فقال عن روايتي «**أفلا أحرقته**» و«**فأخرجه**»: «كلاهما صحيح، فطلبت أن يخرجه ثم يحرقه[٢]، والمراد إخراج السحر، فدفنها رسول الله ﷺ وأخبر أن الله

---

(١) الشفا (٢/ ١٨٢، ١٨٣)، انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٧).

(٢) قال ابن حجر تعقيبًا على هذا: «لكن لم يقعا معًا في رواية واحدة وإنما وقعت اللفظة مكان اللفظة، وانفرد أبوكريب بالرواية التي بالمهملة والقاف فالجاري على القواعد؛ أن روايته شاذة، وأغرب القرطبي فجعل الضمير في «أحرقته» للبيد بن أعصم. قال: واستفهمته عائشة عن ذلك، عقوبة له على ماصنع من =

تعالى قد عافاه، وأنه يخاف من إخراجه وإحراقه، وإشاعة هذا؛ ضررًا وشرًا على المسلمين، من تذكر السحر، أو تعلمه وشيوعه، والحديث فيه، أو إيذاء فاعله، فيحمله ذلك، أو يحملُ بعض أهله ومحبيه، والمتعصبين له من المنافقين وغيرهم، على سِحرْ الناس وأذاهم، وانتصابهم لمناكدة المسلمين بذلك، هذا من باب ترك مصلحة لخوف مفسدة أعظم منها، وهو من أهم قواعد الإسلام»(١).

وبمثل قول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ وأكثر، قال الإمام ابن القيم بعد أن ساق الحديثين: «فهذان الحديثان قد يظنُ في الظاهر تعارضهما، فإن حديث عيسى عن هشام عن أبيه الأول فيه «**أنه لم يستخرجه**»، وحديث ابن جريج عن هشام فيه «**أنه استخرجه**» ولا تنافي بينهما، فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه، ثم دفنه بعد أن شفي، وقول عائشة: «**هلاَّ استخرجته؟**» أي: هلاَّ أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك، فيقع الإنكار، ويغضب للساحر قومه، فيحدثُ الشر، وقد حصل المقصود بالشفا والمعافاة، فأمر بها فدفنت، ولم يستخرجها للناس، فالاستخراج الواقع غير الذي سألته عنه عائشة، والذي يدلُّ على أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه، ولم يجىء

= السحر، فأجابها بالامتناع، ونبه على سببه وهو خوف وقوع شر بينهم وبين اليهود، لأجل العهد فلو قتله لثارت فتنة، كذا قال، ولا أدري ما وجه تعيين قتله بالإحراق، وأن لو سلم أن الرواية ثابتة، وأن الضمير له» الفتح (١٠/ ٢٣٥).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٧، ١٧٨).

لينظر إليها ثم ينصرف؛ إذ لا غرض له في ذلك، والله أعلم»[١].

ومن وجوه أخرى ذكر الإمام ابن حجر بعد أن سرد أطراف الروايات المختلفة في استخراج السحر من عدمه ـ قول ابن بطَّال[٢]: «ذكر المهلب[٣] أن الرواة اختلفوا على هشام في إخراج السحر المذكور، فأثبته سفيان، وجعل سؤال عائشة عن النشرة، ونفاه عيسى بن يونس، وجعل سؤالها عن الاستخراج، ولم يذكر الجواب، وصرَّح به أبوأسامة. قال: والنظر يقتضي ترجيح راوية سُفيان لتقدمه في الضبط، ويؤيده أن النشرة لم تقع في رواية أبي أسامة، والزِّيادة من سفيان مقبولة؛ لأنه أثبتهم، ولا سيّما أنه كرر استخراج السحر في روايته مرتين، فيبعد عن الوهم، وزاد ذكر النشرة، وجعل جوابه ﷺ عنها بلا، بدلاً عن الاستخراج، قال: ويحتمل وجهًا آخر فذكر مامحصله: أن الاستخراج المنفي في رواية أبي أسامة، غير الاستخراج المثبت في رواية سفيان، فالمثبتُ هو استخراج الجف، والمنفي استخراج ما حواه. قال: وكأن السِّرَّ في ذلك أن لايراه الناس فيتعلمه من أراد

---

(١) التفسير القيم (ص/ ٥٦٥، ٥٦٦).

(٢) هو علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال، أبوالحسن القرطبي، يُعرف بابن اللَّحام أحد علماء الحديث، له شرح على صحيح البخاري، توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: الصلة (٢/ ٤١٤)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧، ٤٨)، شذرات الذهب (٣/ ٢٨٣)، الأعلام (٤/ ٢٨٥).

(٣) لعله المهلب بن أبي حبيبة البصري، وثقَّه الإمام أحمد وأبوداود وابن حبان، وروى عنه سعيد بن أبي عروبة، ويحيى بن سعيد. انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ١٩٧)، وتقريب التهذيب (ص/ ٥٤٩).

استعمال السِّحر»[١]. وقد ضعَّف الإمام ابن حجر الروايات القائلة بأن السِّحر أخرج ورمي به، والقائلة بوجود وتر فيه إحدى عشرة عقدة، انحلت بقراءة المعوذتين»[٢]. ومع موافقتي على ماذكرته من أقوال الأئمة: النووي، وابن القيم، وابن حجر ـ رحمهم الله ـ، أُريدُ أن أضيف شيئًا أرى أن في روايات الحديث إشارات إليه، وقبله أقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، على شفاء من يشاء من غير سبب، وبه. والسِّحر من الأسباب التي يحصلُ بها الضَّررُ، وقد نالَ الرسول المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ذلك الضَّرر، وهو القدوة والأسوة؛ قوله وفعله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، شرع ومنهَج لأمته، وقد بيَّن الله تعالى له بوساطة الملكين سبب وجعه، ومادته ومكانه، وقد قال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن ذلك: «**أشعرتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي**»، أو «**أعلمتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه**» أو نحو ذلك، وهذه الألفاظُ توحي بإزالة السبب ليزول المسبب، وهي الفتوى التي فيها الشفاء، وقد بادر العبد الرسول ـ صلوات لله وسلامه عليه ـ بإتيانها وإخراجها، وحلِّها ليبطلَ تأثيرها، وهذا مما لايخفى، حيث إن الأثرَ يزول بزوال مؤثره، إذا كان مرتبطًا به، كأثرِ المغناطيس في الجذب، والبرودة في الثلج، ونحو ذلك مما لايزول أثره إلاَّ بإزالته، أو بأن يمنع من أثره مؤثرٌ أقوى منه.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٥).

وأيضًا ماقيمة إخبار الرسول ﷺ بمادة السِّحر ومكانه إذا لم يكن لإخراجه وإتلافه معنى وغاية. ثم إنَّ في حصول الشفاء للرسول ﷺ من ذلك الضَّرر من غير سلوك أسبابه، قهرًا لأعدائه ﷺ، وإظهارًا لحماية الله تعالى له، وعصمته من كيدِ أعدائه، كما يكون ذلك في حالة عدم تأثير السحر عليه، لكنَّ الله سبحانه وتعالى كما ابتلى رسوله ﷺ بتأثيرِ السحرِ عليه، لم يميزه بإزالة الأثر من غير تعاطي الأسباب، وهوالعليمُ الحكيمُ، والمُشَرِّعُ العليم؛ لتكون القدوة للأمة بنبيها ﷺ. وقد أنزل سبحانه وتعالى المعوذتين بهذا السبب؛ لطلب الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء ليحميه من أسباب الشر والضرر؛ لأنه القادرُ على منع ذلك. فالتعوذ بهاتين السورتين عبادة لله تعالى، وسببٌ للوقاية من الأضرار، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الردُّ على مُنكِري أثر السِّحر على الرسول ﷺ

لقد ذهب إلى نفي حقيقة السِّحرِ وأثره المعتزلة ومن سارَ على نهجهم في هذا؛ كأبي بكر الجصاص، وأبي إسحاق الأسترباذي، وأبي محمد بن حزم، وغيرهم، وقد سبقت أدلتهم ومُناقشتها[١].

ونَفْيُ هؤلاء أن النبي ﷺ سُحرَ من باب أولى، وعُمدتهم في ذلك، بالنسبة لنفي أثره عن الرسول ﷺ زيادة على أدلتهم العامة، في نفي حقيقة السِّحر، وأثره مما سبق بيانه[٢]. قولهم:

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾[٣] ولو صحَّ أنه ﷺ سُحِرَ، وناله ضرره؛ لكانوا صادقين، ولَمَا استحقوا الذم بسبب ذلك القول.

كما أنه يلزم من كونه مسحورًا الطعن في النبوة، حيثُ لايتمكن معه من الإبلاغ والأداء، وهو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ معصوم من مثل ذلك، كما وعده الله تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤]، كما أن تجويز مثل ذلك على الرسول ﷺ يعدم الثقة بما جاء به الرسول من عند الله تعالى، حيثُ يحتمل أن يكون يخيلُ إليه أنه يرى جبريل، وهو ليس كذلك، وأنه يوحى إليه بشيء، ولم يوح إليه

---

(١) انظر: (ص/ ٤٦ـ٦٦).
(٢) انظر: (ص/ ٤٧ـ٥١).
(٣) سورة الإسراء.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

بذلك[١].

وهذه الدلائلُ ـ كما زعموا ـ يقينية، والحديثُ الواردُ في كونه ﷺ سَحره لبيد بن الأعصم خبر آحاد، لايصلح معارضًا لما ثبت يقينًا من الدلائل الدَّالة على نفي حقيقة السحر وأثره، وعلى نفي كون الرسول ﷺ مسحورًا، حيث يوجبُ ذلك الطَّعن في النبوة، ونفي العصمة الثابتة له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وذهب أبوبكر الجصاص إلى القول بأن مثل هذه الأخبار: «**أن الرسول ﷺ سحر**» من وضع الملحدين، وقال: «والعجبُ ممن يجمع بين تصديق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وإثبات معجزاتهم، وبين التصديق بمثلِ هذا من فعل السَّحرةِ مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾[٢]، فصدَّقَ هؤلاء من كذَّبه الله، وأخبر ببطلان دعواه وانتحاله، وجائز أن تكون المرأة اليهودية بجهلها فعلت ذلك، ظنًا منها بأن ذلك يعمل في الأجساد، وقصدت به النبي ﷺ، فأطلَعَ الله نبيه على موضع سرها، وأظهر جهلها فيما ارتكبت وظنت، ليكون ذلك من دلائل نبوته، لا أن ذلك ضرَّه وخلط عليه أمره، ولم يقل كلُّ الرواة؛ إنه اختلط عليه

---

(١) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن (ص/ ٢٣٠، ١٢١)، متشابه القرآن (١/ ٢٣٣)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٤/ ٤٣٣)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٠)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٤)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/ ١٧٤، ١٧٥)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

(٢) سورة طه.

أمره، وإنما هذا اللفظ زيد في الحديث، ولا أصلَ له»[١]. كما ذهب بعضُ النُفاةِ ممن لم يَرُدّ الحديث ـ بالزعم السابق ـ إلى تأويله قائلاً: إن لبيد بن الأعصم حاول أن يسحرَ النبي ﷺ، ثم أطلعه الله تعالى على مافعله لبيد؛ لتكون معجزة للنبي ﷺ في إبطال سحر لبيد، ولِيعلَمَ اليهود أنه نبي لاتلحقه أضرارهم. كما لم يؤثر سحرُ السَّحَرَةِ على موسى ـ عليه السلام ـ، كذلك لم يؤثر سحر لبيد على الرسول ﷺ، وما حصلَ للرسولِ كان عارضًا جسديًا شفاه الله منه، ليس من جراء السِّحر، وإنما صادف ما عمله لبيد، ولا علاقة له به، وكانت رؤيا الرسول ﷺ إنباءٌ من الله تعالى له بما صنع لبيد. ولا تحمل تلك الرؤيا على تفصيل القصة؛ لكونها رموزًا لم يرد في الخبر تعبير مااشتملت عليه[٢].

هذا جُلُّ ماعوّل عليه نُفاة هذا الأمر، وقد سبق في أكثر من موضع التعرض لذكر موقف نفاة حقيقة السِّحر وأثره من أثر السحر على الرسول ﷺ[٣]، وبينتُ هناك ما يخص البحث، سواء في إثبات حقيقة السحر وأثره، أو في نفي الاستدلال بالحديث على كون السحر تخييلاً لا حقيقة له، وأزِيدُ الموضوعَ هنا بيانًا كما وعدت، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً ـ زمن السِّحر ومُدتهُ:

ذكر الواقدي[٤]: أن السنة التي وقع فيها السِّحر هي السنة

---

(١) أحكام القرآن (١/ ٦٠).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٤).

(٣) انظر: (ص/ ٥٠ـ٥١، ١٢٨ـ١٣٨).

(٤) هو أبوعبدالله محمد بن عمر بن واقد مولى بني سهم، وقيل غير ذلك، ولد في=

السابعة. قال فيما ذكره ابن حجر: «لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة، ودخلَ المحرَّم من سنةِ سبع، جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم ـ وكان حليفًا في بني زريق وكان ساحرًا ـ فقالوا له: ياأبا الأعصم أنت أسحرنا، وقد سَحَرْنا محمدًا فلم نصنع شيئًا، ونحن نجعلُ لكَ جُعلاً على أن تسحره لنا سِحرًا ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير»[١]. فحصل للرسول ﷺ ما ذكر في الحديث الصحيح، واختلف في مدة بقاء هذا الأثر، فقال القرطبي: إنه رُوي في غير الصحيح أنه بقي سنة[٢]، وقال ابن حجر: «وقع في رواية أبي ضمرة ـ عند الإسماعيلي ـ فأقام أربعين ليلة»[٣]، وفي رواية معمر عن هشام بن عروة عن أبيه ـ عند الإمام أحمد ـ: «**عن عائشة قالت: لبث رسول الله ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي، ولا يأتي فأتاه ملكان. . .**»[٤]الحديث.

وفي رواية الأعمش عن يزيد بن حبان ـ عند الإمام أحمد أيضًا ـ

= المدينة سنة (١٣٠هـ)، وكان من أوعية العلم، اهتم بجمع الأخبار والروايات وأكثر من ذلك، وكان يذهب للوقوف على المواقع لتحديد المواضع، وقد ضعَّفه أهلُ الحديث، وقد كان مكثرًا من التصنيف رحل من المدينة إلى العراق سنة (١٨٠هـ)، وبها توفي سنة (٢٠٧هـ) تقريبًا. انظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣ـ٢١)، وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨ـ٣٥١)، ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٦٦٢)، شذرات الذهب (٢/ ١٨).

(١) فتح الباري(١٠/ ٢٢٦)،ولم أجده في مغازي الواقدي، فهو في غيره من كتبه.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٥٣).
(٣) فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).
(٤) مسند الإمام أحمد (٦/ ٦٣).

عن زيد بن أرقم قال: «**سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فجاءه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك...**»[١] الحديث.

هذه الروايات المختلفة في تحديد مدة بقاء السحر، لايمكن الجمع بينها كلها لعدم تقاربها، فيبقى الترجيح بينها هو المقدم، وأرى أيضًا صعوبةَ الجزم بالزمن لخفاء البداية؛ لأن الأثر يبدأ بعدها يسيرًا ثم يتزايد، والرسولُ ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أبعد الخلق عن الجزع، وأقواهم احتمالاً للأذى، فلا يمكن أن يُعلم بمصابه من باديء الأمر، لكن بعد ظهور الآثار وبلوغ ذلك مبلغه لا يبقى خفيًا.

والتحديد الوارد بأنه سنَة جاء في غير الصحيح، وأمَّا ستَة أشهر فقد جاءت موصولة بإسناد الصحيح، فهي المعتمدة كما قال ابن حجر[٢]، كما رأى الجمع بينها وبين رواية الأربعين، بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعين يومًا من استحكامه[٣]، كما تُحمل رواية أيامًا، على الأربعين، والله أعلم.

ثانيًا: الردُّ على الأدلة:

١ ـ زعمهم أنه لو لحق الرسول ﷺ ضررُ السحر، لصدق الكفار في قولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾[٤].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٧).

(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٢٦).

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة الإسراء. والفرقان، الآية: ٨.

قد أجاب عن هذه الشبهة الإمام الفخر الرازي بقوله: «إنَّ الكفار كانوا يريدون بكونه مسحورًا؛ أنه مجنون أُزيلَ عقله بواسطة السحر، فلذلك ترك دينهم. فأما أن يكون مسحورًا بألم يجده في بدنه فذلك مما لاينكره أحد، وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانًا، ولا إنسيًا، ولا جنيًا يؤذيه في دينه وشرعه ونبوته، فأما الإضرار ببدنه فلا يبعد»[(١)].

وأيضًا: فإن من حكى الله تعالى عنهم ذلك القول هم كفَّارُ قريش، أبوجهل، والوليد بن المغيرة وأمثالهما، وذلك في سورتي الإسراء والفرقان وهما مكيتان، وقصدهم في ذلك القول تنفير الناس عن الرسول ﷺ حتى لايتبعوه، ولا يصغوا إلى ما يتلوه من القرآن لكونه ـ كما يدَّعون ـ قد خبله السحر فاختلط عليه أمره، أي أنه مخدوع مغلوب في عقله، أو أن له سَحَراً أي: رئة. فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بملك، كقولهم فيما أخبر الله عنهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[(٢)]، وكقوله تعالى عنهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤﴾[(٣)] ونحو ذلك من الآيات.

فمقصود الكُفَّار كما قال المفسرون راجع إلى دعواهم اختلال

---

(١) التفسير الكبير (٣٢/١٨٨).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٣) سورة المؤمنون.

عقله بالسحر، أو الخديعة، أو كونه بشرًا، وعلى هذا فلا علاقة لما حدث من سحر لبيد ـ الحاصل بالمدينة ـ بما ذكر من قول المشركين، كما لا دلالة في الآية لنفي التأثيرات العرضية التي لا علاقة لها بالتبليغ والتشريع، والله أعلم[١].

٢ ـ دعوى منافاة عصمة الرسول ﷺ والطعن في نبوته لو لحقه ضررُ السحر.

وفي ردِّ هذه الدعوى أقول:

إن العصمة ثابتة لأنبياء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومعناها حفظ الله تعالى لأنبيائه من اقتراف كبائر الذنوب، ومن صغائرها المشتملة على الخسة، ومن تعمدالمعصية، وهذا رأي أكثر علماء الإسلام[٢]، كما أجمع المسلمون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى من وحي[٣].

فليس من العصمة عدم ابتلائهم، بل هم أشدُّ الناس بلاءً كما صحَّ عنه ﷺ ذلك، فقد روى الترمذي بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «**قلت يارسول الله: أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثلُ، فَيُبْتَلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدَّ بلاؤه،**

---

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٧٠، ٤٧١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٣) انظر: الشفا (٢/ ١٢٣)، منهاج السنة النبوية (١/ ١٣٠)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٩٠، ٢٩٥).

وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ماعليه خطيئة. قال أبوعيسى: وهذا حديث حسنٌ صحيح»[١].

وروى الإمامُ البُخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: «**دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعك. فقلت: يارسول الله إنك تُوعكُ وعكًا شديدًا. قال: أجل إني أُوعكُ كما يوعكُ رجلان منكم. قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلَّا كفَّر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**»[٢]. هذه الأحاديثُ من أدلة جواز مثل تلك الأمور على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ومن أخبار الوقوع مع ماهو معلوم مما أخبر الله تعالى به عن أنبيائه في القرآن الكريم، وما ورد في السنة، وما سطرته كتب السِّيَر عما جرى لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أنواع الأذى في سبيل دعوتهم، وقد نال رسولنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ صنوف الأذى من قومه. يقولُ القاضي عياض: «يجوز عليه ـ الرسول ﷺ ـ من الآفات والتغييرات، والآلام والأسقام، وتجرع كأس الحمام، ما يجوز على

---

(١) انظر: سنن الترمذي كتاب الزهد باب ماجاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١، ٦٠٢)، سنن ابن ماجة كتاب الفتن باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٤، ١٣٣٥)، سنن الدارمي كتاب الرقاق باب في أشد الناس بلاء (٢/ ٣٢٠)، مسند الإمام أحمد (١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) (٦/ ٣٦٩).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الطب باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأول فالأول (٧/ ١٤٩، ١٥٠).

البشر، وهذا كله ليس بنقيصة فيه؛ لأن الشيء إنما يُسمى ناقصًا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدَّار، فيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون، وخلق جميع البشر بمدرجة[١] الغير، فقد مرض ﷺ واشتكى وأصابه الحرُّ والقرُّ، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسَّه الضعف والكبر، وسقط فجحش[٢] شقه، وشجه الكفار، وكسروا رباعيته، وسقي السم، وسُحرَ، وتداوى واحتجم، وتنشر، وتعوذ، ثم قضى نحبه، فتوفي ﷺ، ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلَّص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لامحيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه، فقُتِلوا قتلاً، ورُموا في النار، ونُشِروا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات»[٣].

وعلى هذا فليس معنى العصمة عدم تعرضهم للأضرارالبدنية، والمعلوم أن كل ما جاء في الخبر عن مقدار مانال الرسول ﷺ من ضررِ السحرِ لم يتجاوز الضررِ البدني كما قدمت، وكما هو المفهوم من الحديث المروي في القصة من قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**قالت: سُحر النبي ﷺ حتى كان يُخيلُ إليه أنه يفعَلُ الشيء وما يفعله، حتى كان**

(١) المدرجة: ممر الأشياء على الطريق وغيره. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢٧٧).
(٢) جحش: أي خدش. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٠٩).
(٣) الشفا (٢/ ١٧٨، ١٧٩).

ذات يوم دعا ودعا. ثم قال: أشعرتِ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخرُ عند رجلي، فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنها رؤوس الشياطين، فقلتُ: أستخرجته؟ فقال: لا؛ أمّا أنا فقد شفاني الله، وخشيتُ أن يثير ذلك على الناس شرًا، ثم دفنت البئر»[١]. فاستحضار الرسول ﷺ والتجاؤه إلى الله تعالى بالدعاء. ثم استيعابه الوحي، وذكره ذلك لعائشة، كلُّ هذه الأمور، دالَّة على أن الضرر الذي نال الرسول ﷺ كان جسديًا لم يتجاوزه إلى الإدراك.

ويدلُّ على ذلك أيضًا محاولته ﷺ علاج ذلك بالحجامة، فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلاّم[٢]: «أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٤/١٤٨)، وكتاب الطب باب السحر وقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ (٧/١٧٦، ١٧٧)، باب السحر من الكتاب نفسه (٧/١٧٨)، كتاب الدعوات باب تكرار الدعاء (٨/١٠٣). وانظر: صحيح الإمام مسلم كتاب السلام باب السحر (٤/١٧١٩، ١٧٢٠)، مسند الإمام أحمد (٦/٥٧، ٦٣، ٦٤، ٩٦).

(٢) هو الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، تولى القضاء بطرسوس. له رحلات كثيرة، ومؤلفات واسعة، توفي سنة (٢٢٤هـ)، وقيل: غير ذلك. انظر: طبقات الحنابلة (١/٢٥٩_٢٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠_٥٠٩).

حين طب»[١]. ويذكر ابن القيم في ذكر هديه ﷺ في علاج هذاالمرض نوعين: «**أحدهما** ـ وهو أبلغهما ـ: استخراجه وتبطيله، كما صحَّ عنه ﷺ أنه سأل ربه ـ سبحانه ـ في ذلك فدلَّ عليه، فاستخرجه من بئر فكان في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به؛ حتى كأنما نشط من عقال. فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

النوع الثاني ـ الاستفراغ في المحل الذي يصلُ إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جدًا»[٢].

وعلاجُ هذا المرض بهذه الطريقة دليلٌ على أن تأثيره يكون على الطبع، وإن كان الاحتمال واردًا على العلاج بالنوع الأول، فهو في الثاني مختص بالجسماني، وتأثير السحر على الرسول ﷺ لم يكن إلاَّ كذلك، يقولُ القاضي عياض: «وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض، مما لاينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ماورد أنه كان يخيلُ إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخلُ عليه داخلة في شيء من تبليغه، أو شريعته، أو

---

(١) انظر: غريب الحديث (٢/٤٣)، الطب النبوي لابن القيم (ص/٩٩)، فتح الباري (١٠/٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) الطب النبوي (ص/٩٩).

يقدحُ في صدقهِ لقيامِ الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولافُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها مالاحقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان»(١).

وأما مسألة الطعن في النبوة فهي مردودة لقيام الدليل على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى، والدلائلُ على صدقه ﷺ كثيرة جدًا، ألف فيها كثيرٌ من العلماء مصنفات كبيرة. وأعظم معجزاته ﷺ القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وقد تحدى الله تعالى الجن والإنس أن يأتوا بمثله(٢) وبعشر سور مثله(٣) وبسورة مثله(٤). فدعوى تجويز ماقام الدَّليلُ على خلافه باطل... وتمام الردِّ على هذه الشبه في الرد على الدعوى التالية..

٣ - **قولهم**: إن تأثيرَ السحر على الرسول ﷺ يؤدي إلى انتفاء الثقة بكل ماجاء به من عندالله تعالى. وقبل الرد على هذه الدعوى أقول:

إنَّ الشك لا يدور حول شخص إلا إذا خفي أمره، أو عُرف منه وأُنكِر، أمَّا من دلَّ الدليل القطعي على صدقه، فاحتمال الشك غير وارد على أي أمر من الأمور التي يأتي بها، وإلاَّ لانقلبت الحقائق.

---

(١) الشفا (٢/ ١٨١).
(٢) كما في آية سورة الإسراء: ٨٨.
(٣) كما في آية سورة هود: ١٣.
(٤) كما في آيات سورة البقرة: ٢٣، ٢٤، وسورة يونس: ٣٨.

وبالنسبة لما حصل للرسول ﷺ من جراء السحر لا يرد معه احتمال الإتيان بغير الحقيقة، وذلك لأمور:

أولها ـ إن ماحصل له ﷺ من الضَّرر كان جسديًا ـ وسبق قريبًا بيان هذا ـ ونزيد هنا القول: بأن بعض الروايات جاءت بتعيين نوع التأثير، وهو تخيل إتيان النساء وهو لا يأتيهن، فتأثيرُ السحر محدد بهذه الرواية في ناحية بدنية، شعور بفعل جسماني وليس ثمة فعل، مع كونه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتيقن عدم الفعل، فلم يلتبس عليه الأمر بحيث يعتقد عدم الفعل فعلاً، وإنما كانت أخذة السحر تؤثر عليه بذلك الشعور، مع يقينه ﷺ أن الواقع بخلافه، وهذا كتأثير سحر السحرة على عيني موسى ـ عليه السلام ـ كما أخبر تبارك وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾[1]، وهي لم تكن تسعى، وإنما أثَّر السحر على الأعين، فجعلها ترى ما الواقع بخلافه، وقد عمل السحرة سحرهم لهذا الهدف، كذلك كان أثرُ السحر على الرسول ﷺ، لكن كان هدفه آخر، وهو من ناحية إتيان النساء؛ بقصد أن يؤدي ذلك إلى التباس الأمور عليه، فيذهله إلى أن يذهب عقله، يقولُ الإمام ابن حجر: وفي مرسل يحيى بن يعمر عند عبدالرزاق «**سحر النبي ﷺ عن عائشة حتى أنكر بصره**»، وعنده في مرسل سعيد بن المسيب «**حتى كاد ينكر بصره**» قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده. قلت:

---

(١) سورة طه.

ووقع في مرسل عبدالرحمن بن كعب عند ابن سعد «**فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيًا فسيخبر، وإلَّا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله**» قلت: فوقع الشق الأول كما في هذا الحديث الصحيح(١).

ثانيها ـ إن ماحصل للرسول ﷺ من ضررِ السحر لم يتجاوز الجسد إلى الاعتقاد، بدليل كونه ﷺ عمل لعلاج نفسه بالحجامة، والتجأ إلى الله بالدعاء، وهذا لايتأتى من مختل الاعتقاد، وأيضًا لم يرو أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أناب أحدًا عنه في الصلاة بالناس، ولا في تولي شئون الناس، بسبب هذه القصة، مع ما علمناه من طول مدتها ـ حتى على أقل ما رُوي في ذلك ـ، وهذا في رأيي كافٍ في إبطال شبهة عدم الثقة بشيء مما جاء به الرسول ﷺ لو ناله ضرر السحر.

ثالثها ـ يمتنع مع العصمة الثابتة له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يلحقه من الضَّرر ما يُفَوِّت الإبلاغ والأداء، وهذا يكون لو تجاوز ضرر السحر جسده الشريف إلى عقله ﷺ ولم يكن كذلك، وقد شفاه الله تعالى، ولم يرد أنه قال قولاً وأنكره، أو حدَّث بما لايقصده، أو فعل فعلاً ورأى أنه لم يفعله، بل كل ماحصل هو تخيل الفعل ولم يحصل، وليس في هذا ما يتعلق بالإبلاغ، فلم يقل ما يؤخذ عنه، ولم يفعل ما يُتَّبَعُ عليه، ممالا يقصده ولا يريده، فسنته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ محفوظة بحفظ الله تعالى له بالعصمة، والله أعلم.

٤ ـ القول بأن الحديث الوارد خبر آحاد، ولا يصلح معارضًا لما

(١) فتح الباري: (١٠/ ٢٢٧).

ثبت يقينًا من الأدلة الدَّالة على نفي حقيقة السحر، وأثره، ونفي كونه ﷺ مسحورًا.

وفي رد هذه الدعوى أقول:

أولاً - إن هناك من قابل مقولة: إن الأخبار الواردة في أثر السحر آحاد؛ بكونها جاءت متواترة وآحادًا، وقد قرر هذا الإمام الرَّازي[١]. كما يُعدُّ متواترًا باعتبار إفادته العلم بناءً على حال المخبرين[٢].

ثانيًا - عدم التسليم بأن كل أدلة نفي حقيقة السحر، وأثره يقينية، بل منه ماهو حقيقة، ومنه ما ليس كذلك، وقد سبق هذا بأدلته[٣].

ثالثًا - عدم التسليم بأن أخبار الآحاد لا يُحتج بها.

وهذه المسألة مما استفاض الكلام فيها، ويطولُ بنا المقام لو حاولنا استعراض المسألة من جميع جوانبها، لكن أقول فيما يخص هذا الحديث: إنه يفيدُ العلم عند جماهير العلماء من المسلمين، لما احتفَّ به من القرائن المؤدية إلى الجزم بأنه صدق؛ لأنه مما ورد في الصحيحين وقد أجمعت الأمة على صحة أحاديثهما، والأمة لا تجتمع على ضلالة[٤].

يقول الإمام ابن تيمية: «وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي،

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢١٣).
(٢) انظر: مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية (١٨/ ٤٠، ٤١).
(٣) انظر: (ص/ ٤٦-٦٦).
(٤) انظر: مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية (١٨/ ١٧، ٤١).

وأحمد، وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالإسفرائيني[١]، وابن فورك[٢]، فإنه وإن كان في نفسه لا يفيدُ إلاَّ الظن، لكن لمَّا اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق؛ كان بمنزلة إجماعِ أهلِ العلم بالفقه على حُكمٍ، مستندين في ذلك إلى ظاهر، أو قياس، أو خبر واحد. فإن ذلك الحكم يصير قطعيًا عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي؛ لأن الإجماع معصوم، فأهلُ العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام، ولا تحريم حلال، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب، ولا التكذيب بصدق، وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتفُ بالأخبار توجبُ لهم العلم، ومن علم ماعلموه حصل له من العلم ماحصل لهم»[٣].

ويقولُ الإمامُ الشوكاني: «ولا نزاع في أن خبرالواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه، فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبوإسحاق الإسفرائيني، الملقب بركن الدين، فقيه شافعي، متكلم، أصولي، أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، توفي سنة (٤١٨هـ). انظر: تبيين كذب المفتري (ص/ ٢٤٣، ٢٤٤)، وفيات الأعيان (١/ ٢٨).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري، أبوبكر، الأصبهاني، أصولي، فقيه، متكلم، شافعي المذهب، صاحب مدرسة بنيسابور، وله مصنفات كثيرة في علوم شتى، توفي سنة (٤٠٦)هـ. انظر: تبيين كذب المفتري (ص/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٢)، الأعلام (٦/ ٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٤١).

فكانوا بين عامل به، ومتأول له، ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم، فإنَّ الأمة قد تلقت ما فيهما بالقبول»[١].

وحديث السحر الذي رأى النفاة، أنه خبر آحاد، لا يصلح معارضًا لما ثبت يقينًا ـ على زعمهم ـ؛ هو مما احتفَّ بالقرائن التي تفيدُ العلم، وقد ذكر الإمام ابن حجر القرائن التي إذا احتفت بالخبر رجحته وهي: «...

١ ـ ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر، فإنه احتفت به قرائن منها:

أ ـ جلالتهما في هذا الشأن.

ب ـ وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما.

ج ـ وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول. وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر. إلاَّ أن هذا يختصُّ بما لم ينتقده أحد من الحفَّاظ مما في الكتابين، وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه مما وقع في الكتابين حيثُ لا ترجيح؛ لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وماعدا ذلك فالإجماع حاصلٌ على تسليم صحته.

٢ ـ المشهور إذا كانت له طرقٌ متباينة، سالمة من ضعف الرواة

---

(١) إرشاد الفحول (ص/ ٤٩).

والعلل. وممن صرَّح بإفادته العلم النظري أبومنصور البغدادي[١]، والأستاذ أبوبكر بن فورك وغيرهما.

٣ ـ المسلسل بالأئمة الحُفَّاظ المتقنين، حيث لا يكون غريبًا كالحديث الذي يرويه أحمد بن حنبل مثلاً، ويشاركه فيه غيره عن الشَّافعي، ويشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس، فإنه يفيدُ العلمَ عند سامعه بالاستدلال من جهة جلالة رواته، وإن فيهم من الصِّفات اللائقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام العدد الكثير من غيرهم، ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكًا لو شافهه بخبرٍ أنه صادق فيه، فإذا انضاف إليه من هو في تلك الدرجة إزداد قوة، وبَعُدَ عما يُخشى عليه من السهو، وهذه الأنواع التي ذكرناها لا يحصلُ العلم بصدق الخبر منها، إلاَّ للعالم بالحديث المتبحر فيه، العارف بأحوال الرواة، المُطَّلع على العلل. وكون غيره لا يحصلُ له العلم بصدق ذلك لقصوره عن الأوصاف المذكورة لا ينفي حصول العلم للمتبحر المذكور، ومحصلُ الأنواع الثلاثة التي ذكرناها أن:

الأول: يختصُّ بالصحيحين.

الثاني: بما له طرق متعددة.

الثالث: بما رواه الأئمة.

---

(١) هو الأستاذ عبدالقاهر بن محمد البغدادي، أصولي، وفقيه، شافعي المذهب، وكان ماهرًا في فنون عديدة، وله تواليف كثيرة. توفي سنة (٤٢٩هـ) بمدينة إسفراين. انظر: تبيين كذب المفتري (ص/٢٥٣،٢٥٤)، ووفيات الأعيان (٣/٢٠٣).

ويمكن اجتماع الثلاثة في حديث واحد فلا يبعدُ حينئذ القطعُ بصدقه، والله أعلم»[١].

وعلى هذا فلا مجال لنفي دلالة حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ على كونه ﷺ لحقه ضرر السحر؛ بكونه خبر آحاد.

٥ ـ دعوى أن مثلَ هذه الأخبار ـ أن الرسول ﷺ سحر ـ من وضع الملحدين.

يجاب عن هذه الدعوى؛ بأنها ساقطة من أساسها، فهي ليست مبنية على أساس علمي، والطعن في أمر كهذا شهرة بهذه الصورة لا يخلو من أحد أمرين: إما القصور العلمي، وإما عدم المبالاة بقول خلاف الحقيقة؛ لأن قصة سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ مما استفاض حيث ذكر ذلك المهتمون برواية الحديث كالأئمة: أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي وغيرهم. ثم الدعوى بأن ما رواه هؤلاء الأئمة الأجلاء من وضع الملحدين أمر لا يقبله عقل مسلم، وفيما ذكرتُ في رد الدعوى السابقة من أقوال العلماء مما يؤكد الاحتجاج بالحديث الوارد في السحر، دليلٌ على بطلان دعوى أن القصة من وضع الملحدين من باب أولى وأحرى، والله ولي التوفيق.

٦ ـ دعوى أن لبيد لم يسحر النبي ﷺ، وإنما حاول فأخبره الله

---

(١) نزهة النظر شرح نخبة الفكر (ص/٢٦، ٢٧)، وانظر تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٣٣ـ١٣٥).

تعالى، ولم يؤثر سحره عليه كما لم يؤثر سحر سحرة فرعون على موسى ـ عليه السلام ـ.

وفي مناقشة هذه الدعوى أقول:

إن مجرد نظرة في الحديث المروي في هذا الأمر؛ كافية في فهم بطلان هذه الدعوى. فقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ «**سحر رسول الله**» يفهم منه حصول الأمر، لا المحاولة، كما لايقال «ضرب» لمحاولة الضرب، إنما لإيقاعه. ويؤكد حمل اللفظ على ظاهره المتبادر قولها بعد ذلك: «**حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه**»، وهذا هو تأثيرُ ذلك العمل، الذي عمله لبيد، وهو من جنس مستطاع السحرة، وقد حصل هذا لرسول الله ﷺ، ولم يكن يعلم سببه، وبعد الدعاء منه ﷺ والفتيا من الله تعالى قال لعائشة: «**أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أو فيما استفتيته فيه**» وذكر القصة: وفيها أن أحد الرجلين اللذين رآهما ﷺ قال للآخر حين سأله عن وجعه: «**إنه مطبوب**» أي مسحور، وهذا صريحٌ؛ بأن سبب ماكان يجده الرسول ﷺ السحر الذي وصفاه، فكانت هذه، هي الفتوى، وهي صريحة في بيان نوع المرض، ودليل العلاج، فعمل بذلك الرسول ﷺ وزال عنه ماكان يجده، ثم إن اتفاق جمهور المفسرين على أن سبب نزول المعوذتين؛ هو ماكان من سحر لبيد بن الأعصم لرسول الله ﷺ[1] دليل على أن ذلك حصل، وأن التعوذ بهما

(١) انظر: سنن النسائي كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة المعوذتين (٢/ ١٥٨)، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٥٢)، تفسير القرآن العظيم=

حصانة من ذلك ونحوه. ثم كان ﷺ يتعوذ بهما، ويُرشدُ إلى التعوذ بهما[١]، فقد روى الإمام البخاري بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «**أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلمَّا اشتدَّ وجعه كنتُ أقرأُ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها**»[٢].

وروى أيضًا بسنده عن عائشة: «**أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيها، فقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعلُ ذلك ثلاث مرات**»[٣].

فتعوذه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ومداومته على ذلك، وخوفه من تعرضه له، ولمثله دليل جواز ذلك، وإمكان وقوعه وعدم استحالته في حق الرسول ﷺ.

= لابن كثير (٨/ ٥٥١ـ٥٥٣).

(١) انظر: (ص/ ٧٢ـ٧٥).

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات (٦/ ٢٣٣). وانظر: صحيح الإمام مسلم كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات (٤/ ١٧٢٣، ١٧٢٤)، موطأ الإمام مالك كتاب العين باب التعوذ والرقية في المرض(٢/ ٩٤٢، ٩٤٣)، سنن أبي داودكتاب الطب باب كيف الرقى (٤/ ١٥)، سنن ابن ماجة كتاب الطب باب النفث في الرقية (٢/ ١١٦٦).

(٣) صحيح الإمام البخاري كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات (٦/ ٢٣٣، ٢٣٤). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٢٥٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٥٥١ـ٥٥٣).

أما دعوى عدم تأثير سحر سحرة فرعون على عيني موسى ـ عليه السلام ـ فالآيات القرآنية الواردة في ذلك تردُّها، قال تعالى مخبرًا عن تلك الحال: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾[2]، وهذه الآيات مصرحة بأنهم سحروا أعين الناس، وحصلت لهم الرهبة من تلك الحبال والعصي التي رأوها تتحرك، وهي لم تكن كذلك، وإنما من تأثيرِ السحر على الأعين، وكان ماحصل للناس قد حصل لموسى ـ عليه السلام ـ حيث خيل إليه أن ماألقوه من الحبال والعصي تتحرك، وأوجس من ذلك مخافة. وهذا بلا شك من تأثير السحر على عينيه، وإلاَّ لما رأى الحبال والعصي الثابتة متحركة، كما لايمكن أن يشعر بالخوف، لو كانت الحبال، والعصي، على حالتها الطبعية.

٧ ـ دعوى أن ماحصل للرسول ﷺ كان عارضًا جسديًا لا علاقة له بالسحر، والفتوى رؤيا منام لاتدلُّ على أن الرسول ﷺ ناله الضرر، وليس في القصة تفصيل ذلك.

وفي جواب هذا أقول:

كون ماحصل للرسول ﷺ عارضًا جسديًا، مسلم، أما نفي علاقته بالسحر فممنوع؛ لأن القصة بتفاصيلها ورواياتها المختلفة، وما روي

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة طه.

في ذلك من تحديد مدته، كلُّ ذلك يؤكد أن السحر سببٌ لما نال الرسول ﷺ من أثر.

والقولُ بأنَّ الفتوى رؤيا منام حق، لكن رؤيا الأنبياء وحي، كما جاء في السنة، وكما يدلُّ على ذلك قوله تعالى فيما حكاه عن الخليل وابنه ـ عليهما السلام ـ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾[1]، وقال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾[2]، فقول إسماعيل ـ عليه السلام ـ افعل ماتؤمر دليل أن الرؤيا التي رآها الخليل ـ عليه السلام ـ وحي، ثم إقدامه على التنفيذ واستجابة ابنه دليل على ذلك. وقوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وَحۡيًا﴾ أي إلهامًا، أو رؤيا منام[3]، ويقرر صاحب الدعوى في تفسيره هذه الآية، أن رؤيا الأنبياء وحي[4]، فيكون بهذا رادًا على دعواه التي يطعن بها حديث السحر، ومتناقضًا مع نفسه.

ودعوى أن القصة غير مفصلة، فلا يفهم منها علاقة مرض الرسول ﷺ بالسحر، مردودة بما جاء في الحديث من تنفيذ الفتوى، وحصول

---

(١) سورة الصافات.

(٢) سورة الشورى.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٦/٥٣)، تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥٢٦/٧).

(٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٥/ ١٤٢، ١٥٣).

الشفا عقب ذلك، بما صرَّح به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال بعد الرؤيا: «**ياعائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي**»، وفي بعضها «**فيما استفتيته فيه**». وقد دعا الله تعالى طالبًا الشفاء، ثم قال بعد إخراجه وإفساد تركيبه، وهي حالة بها يزول أثره: «**أما أنا فقد شفاني الله تعالى**» وهذا صريح بأن السحر الموضوع في البئر هو المتسبب في حصول المرض. والله أعلم.

الباب الثاني
أحكام السحر

يشتمل هذا الباب على أربعة مباحث :

المبحث الأول : **تعلم السحر وتعليمه.**

المبحث الثاني : **حكم السَّاحر.**

المبحثُ الثالث : **النشرة.**

المبحثُ الرابعُ : **الواقع والحكم.**



المبحثُ الأول

تعلم السحر وتعليمه

علمنا أن السحر ليس محدودًا بحد واحد، ولا محصورًا بقسم واحد أيضًا، فهو أقسام مختلفة، ويعرف بتعريفات كثيرة. وقد أخبر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن السحر مما يُعلم ويُتعلم، وحكى عن فرعون وقومه في آيات كثيرة وصف السَّاحر بكونه عليمًا، وأنَّ السحر مما يُعلَم ويُتعَلم. قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾[1]، وقال تعالى حكاية عن قوم فرعون: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾[2]، وقال عنهم: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾[3]، وقال تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾[4]، وقال عنه: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) سوة الأعراف.

(٣) سورة الأعراف.

(٤) سورة يونس.

إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾[(١)]، وقال تعالى عنه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى عن قومه: ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾[(٣)].

وبناء على هذا فالسحر مقدور للخلق، حيث إنه مما يُطلبُ ويُحصَّل بحسب ما يتهيأ لطالبه، كغيره من سائر العلوم إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع، لكن هذا العلم بمعناه الاصطلاحي ليس على درجة واحدة نظرًا لكثرة أقسامه، فقد يجيد متعلمه، أنواعًا منه،إجادة نظرية، ومع ذلك لا يتأتى له، تطبيقيًا في جميع الأقسام؛ لأنه يشترط للتطبيق العملي شروط أخرى زائدة على العلم، لها تعلق بالساحر، من أجلها، تتأكد الحرمة، ويعظم الذنب.

والسحر حرام بلا خلاف بين أهل العلم[(٤)]، جمهورهم يراه مكفرًا مطلقًا[(٥)]، وبعضهم ذهب إلى أن أنواعًا منه معصية كبيرة[(٦)]، ونصوص الكتاب، والسنة، صريحة في حرمته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ

---

(١) سورة طه، الآية: ٧١. سورة الشعراء، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الشعراء.

(٣) سورة الشعراء.

(٤) انظر: شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، دعوة التوحيد للدكتور الهراس (ص/ ٧٩).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٦٧)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، الخرشي على سيدي خليل (٨/ ٦٣)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، الروضة الندية (٢/ ٤٢٤).

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ١٦٧)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤).

﴿اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[١].

فقيل: إن معنى الآية: لقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم أن السَّاحِرِ لاخلاق له في الآخرة، أو لا دين له[٢]. فهي دليلٌ على تحريم السحر، وكذلك هو في جميع الأديان[٣]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝﴾[٤]، ومما في التوراة إلى اليوم من خطاب لموسى ـ عليه السلام ـ قوله: «متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لاتتعلم مثل رجس أولئك الأمم، لا يوجد فيك من يجيز ابنه، أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة، ولا عائف ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرقى رقية، ولا من يسأل جانًا، أو تابعة، ولا من يستشير الموتى؛ لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب، وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك تكون كاملاً لدى الرب إلهك، إنَّ هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا»[٥].

وهذا النص من التوراة يحمل تحذيرًا من السحرة والعرَّافين، ونهيًا عن إتيانهم، والاستماع إليهم، في تلك الديانة، ويحكي واقعًا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٨٣)، فتح المجيد (ص/ ٣١٥)، دعوة التوحيد (ص/ ٧٩).
(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٨٣)، فتح المجيد (ص/ ٣١٥).
(٤) سورة طه.
(٥) الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر (ص/ ٣٠٨).

تاريخيًّا عن ذلك الدين. وما في التوراة ليس مستندًا لحكم بعد نزول القرآن الكريم، فهو ناسخها، وقبل ذلك وبعده، قد امتدت أيدي العابثين من بني إسرائيل إلى تحريف كتبهم، الأمر الذي يجعل كل ما فيها من أخبار محل توقف ونظر.

ومن أدلة السنة على حرمة السحر، ماروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، **قالوا يارسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»**[1].

وقد نظر الإمام الرازي إلى السحر نظرة مجردة عن محتواه، أي من حيثُ هو علمٌ مطلق، فلم يرَ العلم به قبيحًا ولا محظورًا، بل رآه علمًا واجبًا لضرورة التفريق بينه وبين المعجزة، فقال: «.. العلم بالسحر غير قبيح ولامحظور، اتفق المحققون على ذلك؛ لأن العلم لذاته شريف، وأيضًا لعموم قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

---

(١) صحيح الإمام البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ (٤/ ١٢). وانظر: في الصحيح كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات (٧/ ١٧٧)، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات (٨/ ٢١٧،٢١٨)، صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩٢)، سنن أبي داود كتاب الوصايا باب ماجاء في التشديد في أكل مال اليتيم (٣/ ١١٥)، سنن النسائي كتابي الوصايا باب اجتناب أكل مال اليتيم (٦/ ٢٥٧).

﴿يَعْلَمُونَ﴾[١]؛ ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزًا واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبًا، وما يكون واجبًا كيف يكون حرامًا وقبيحًا»[٢]، كما أن هناك من رآه فرضًا لردِّ ساحر أهل الحرب، وجائزًا للتوفيق بين الزوجين[٣].

وقد تعقب الإمام ابن كثير، الإمام الرازي، فقال بعد أن أورد قوله: «وهذا الكلام فيه نظر من وجوه. أحدها: قوله: (العلم بالسحر ليس بقبيح). إن عنى به ليس بقبيح عقلاً، فمخالفوه من المعتزلة يمنعون هذا، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعًا، ففي هذه الآية الكريمة تبشيع لتعليم السحر[٤]، وفي الصحيح[٥]: «**من أتى عرافًا أو كاهنًا، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٦]. وفي السنن: «**من عقد عقدة، ونفث**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٢) التفسير الكبير (٣/ ٢١٤).
(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (١/ ٤٤).
(٤) آية سورة البقرة: ١٠٢.
(٥) الحديث المذكور ليس هو مما في الصحيحين، أو في أحدهما، ولا يمنع ذلك من كونه صحيحًا. انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٦٤).
(٦) الحديث مما رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧،٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وفيه عند أحمد، والحاكم زيادة: فصدقه فيما يقول»، وسيأتي زيادة تخريج لهذا الحديث.

فيها، فقد سحر»[١]، وقوله: (ولا محظور: اتفق المحققون على ذلك) كيف لا يكون محظورًا مع ماذكرناه من الآية، والحديث؟ واتفاق المحققين يقتضي أن يكون قد نصَّ على هذه المسألة أئمة العلماء، أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك؟ ثم إدخاله السحر في عموم قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]. فيه نظر؛ لأن هذه الآية إنما دلت على مدح العالمين بالعلم الشرعي، ولمَ قلت إن هذا منه؟، ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه؛ بأنه لا يحصلُ العلم بالمعجز إلاَّ به، ضعيف بل فاسد؛ لأن أعظم معجزات رسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ هي القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة، أن الصحابة، والتابعين، وأئمة المسلمين، وعامتهم؛ كانوا يعلمون المعجز، ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر، ولا تعلموه، ولاعلموه، والله أعلم»[٣].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عن رأي الرَّازي: «ولا

---

(١) هذا الحديث رواه النسائي في كتاب تحريم الدم باب الحكم في السحرة (٧/ ١١٢)، عن عمر بن علي قال: حدثنا أبوداود، قال: حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة. قال الذهبي: «هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه» ميزان الاعتدال (٢/ ٣٧٨). وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٢٨).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٨).

يخفى سقوط هذا الكلام، وعدم صحته»[١]. ويقول معقبًا على رد الإمام ابن كثير: «ولا يخفى أن كلام ابن كثير هذا صواب، وأن ردَّه على الرَّازي واقع موقعه، وأن تعلم السحر لاينبغي أن يُختلف في منعه، لقوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾[٢]»[٣].

وأقولُ: لاشكَّ بأن العلم شريف، ولا بأن من يعلم أفضلُ ممن لا يعلم، لكن هذا الإطلاق غير مسلم، فليس كل العلم شريفًا، ولا كل عالم أفضل ممن ليس بعالم؛ لأنَّ العلم غير خارج عن دائرة التكليف فهو مرتبط بالأمر والنهي، فكل مأمور به شريف نافع، وكل منهي عنه وضيع ضار. والعلم المأمور به هو المشتمل على ما ينفعُ في الدنيا والآخرة، وإذا تضمن ضارًا غالبًا على نفعه دخل في المنهي عنه، حتى ولو كان اسمه علمًا؛ لأن حكم الشيء لا يكون مرتبطًا باسمه دون محتواه، وعلم السحر لا يخرج عن كونه مبنيًا على الشرك، أو الكذب، والغش والخداع، ونحو ذلك، ممَّا هو ضار بالفرد والمجتمع، وكلُّ ذلك مما يُتلقى ويؤخذُ عمن يحسنونه، فهو علمٌ بهذا الاعتبار، وشرف العلم مرتبط بشرف المعلوم، فحال عالم هذا العلم كحال معلومه، ومعلومه كله ضلال، حيثُ نفى الله تعالى عنه النفع، وأثبت فيه الضرر، ونفى عن صاحبه الفلاح، وما هو كذلك فهو حرام؛ لأن الشرع أتى

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٤٦٣).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) أضواء البيان (٤/ ٤٦٤).

بجلب المصالح ودفع المضار، وقد أطلق القول بالحرمة جمهور العلماء، وإن اختلفوا في حكم الساحر، كما سيأتي بيانُ هذا في المبحثِ التالي[١].

وأمّا من رأى فرضية تعلمُ السحر لرد ساحر أهلِ الكتاب فصريحٌ قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾[٢]، يردُّ ذلك، إذ لا نفع في السحر البتة، وما لا نفع فيه، وضرره متحتم، لا يشرع تعلمه بأي حال، وقد أخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن السَّاحر بقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾[٣]، ومن نُفِي عنه الفلاح فلا يرجى نفعه أبدًا. كما لا يمكن أن يكون نصر الحق من هذا الطريق الذي نفى عنه المولى سبحانه الفلاح، وقد ذهب الجمهور إلى عدم جواز تعلم السحر من غير عمل به[٤]، ونقل عن الإمام مالك تكفيره[٥]، كما أن الجمهور ذهبوا إلى تكفير السَّاحر مطلقًا[٦]، ومتعلمه لأي غرض هو ساحر فيعتبر داخلاً

(١) انظر: (ص/ ١٧٩ـ٢١١).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة طه.
(٤) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٦٢).
(٥) انظر: الخرشي على مختصر سيدي خليل (٨/ ٦٣).
(٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١، ٦٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٥)، الكافي لابن قدامة (٤/ ٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤)، الخرشي على مختصر سيدي خليل (٨/ ٦٣)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، الروضة الندية (٢/ ٤٢٤).

في الحكم.

ودعوى الجواز للتوفيق بين الزوجين غير مسلمة، لصدق اسم السَّاحر على متعاطيه، وقد ذهب كثيرٌ من العلماء إلى كفر السَّاحرِ مطلقًا كما ذكرت، ونُقِل عن الإمام مالك التكفير بما يجمع بين المرء وزوجه، وما يفرق، كما أن مجرد التعلم مكفر عنده[١].

وقد ذهب بعض العلماء إلى عدم إطلاق الحكم بمنع تعلم السحر وتعليمه؛ لكونه ليس نوعًا واحدًا يمكن أن يشمله حكمٌ بالمنع المطلق، أو الجواز المطلق. فرأوا التفصيل في ذلك؛ من هؤلاء الإمام أبوحيان قال: «ماكان منه يُعظَّمُ به غيرُ الله من الكواكب والشياطين، وإضافة ما يحدثه الله إليها؛ فهو كفرٌ إجماعًا، لايحلُّ تعلمه، ولا العمل به، وكذا ماقصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء. وأما إذا كان لايعلم منه شيء من ذلك، بل يحتمل، فالظاهرُ أنه لا يحلُّ تعلمه، ولا العمل به، وما كان من نوع التحيل والتخييل والدك والشعبذة، فإن قصد بتعليمه العمل به، والتمويه على الناس فلا ينبغي تعلمه؛ لأنه من باب الباطل، وإن قصد بذلك معرفته، لئلا تتم عليه مخايل السحرة وخدعهم؛ فلا بأس بتعلمه، أو اللهو واللعب، وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره»[٢]. كما رأى الزمخشري أن السحر ابتلاء من الله تعالى،

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، الخرشي على مختصر سيدي خليل (٨/ ٦٣).

(٢) البحر المحيط (١/ ٣٢٨). وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢).

فمن تعلمه، لا ليعمل به، ولكن ليتوقاه، ولئلا يغتر به؛ كان مؤمنًا[١].

هنا أمور، لابدَّ من التنبيه عليها:

أولها ـ القولُ بعدم منع تعلمِ السحر بقصد كشف مخايل السحرة وتوقي السحر.

وهذا غير صحيح؛ لأن السحر ليس كله من نوع الخدع والتخييل، وتجويز التعلم مطلقًا بهذا القصد، وسيلة إلى العلم بالأنواع الأخرى، المجمع على حرمة تعلمها، فهو ذريعة إلى المحرم، وذريعة المحرم محرمة.

وأيضًا، متعلم السحر يعتبر ساحرًا، وحكم الساحر جاء مطلقًا من غير تفريق؛ بين من قصد بعلمه العمل، ومن قصد كشف العاملين، وهذا وجه قوي في منع تعلمه.

وأما اعتبار المتعلم للتوقي مؤمنًا، فبعيد كلَّ البعد؛ لأن الابتلاء إن كان، ففي الابتعاد نهائيًا؛ لا باقتراف المحرم، حيث جاء التصريح بأن تعلمه يضرُ ولا ينفع، فلا وجه لهذا الاعتبار، والله أعلم.

ثانيها ـ القولُ بكراهة ماهو لهو ولعب، وإظهار خفةِ الصنعة، وهذا صحيح؛ في حالة ما إذا كان ما يستعمله صاحب اللهو واللعب يعتمد على لطافة الحركة والذكاء في اللعبة.

أمَّا إذا كان في ذلك استجلاب إعانة، أو استعمال أدوية، أو

---

(١) انظر: الكشاف (١/ ٨٥) ويرى الزمخشري أن السحر جاء ابتلاء، كما ابتلي قوم طالوت بالنهر.

أدخنة، أو نحو ذلك، فالأمر لا يقف عند حد الكراهة بل هو محرم، وهو نوع من أنواع السحر المحذور. ذكر ابن حجر عن بعض العلماء القولَ بجواز تعلمُ السحر لأحد أمرين: إمَّا لتمييز ما فيه كفر، وإمَّا لإزالته عمن أصابه. وقال: «فأما الأول فلا محذور فيه إلاَّ من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا، كمن يعرف كيفية عبادة أهلِ الأوثان للأوثان؛ لأن كيفية ما يعمله السَّاحر إنَّما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به، وأمَّا الثاني: فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلاَّ بنوع من أنواعِ الكفر أو الفسق؛ فلا يحلُّ أصلاً وإلاَّ جاز للمعنى المذكور»[١].

وأقول: إنَّ ما قررَّه الإمامُ ابن حجر بعد ماحكاه من تجويز بعضهم تعلم السحر لأحد أمرين: أما الأمر الأول فليس مسوغًا؛ لإمكان معرفة الحكم من غير تعلم، وذلك بمعرفة حدِّ السحر وشروطه، مما يُعطي تصورًا كافيًا يُبنى عليه حكمه، وهذا معلوم؛ فمن يعرف معنى الاجتهاد وشروطه مثلاً، لايكون مجتهدًا بمجرد تلك المعرفة، مع علمه بمن يمكن أن يكون مجتهدًا، لصدق شروط الاجتهاد عليه.

والمثالُ الذي قاس عليه ابن حجر الجواز مختلف عن المقاس تمامًا؛ لأن عبادة الأوثان بأي صفة كانت؛ دعاء، أو ذبحًا، أو خوفًا، أو رجاءً، أو غير ذلك، علمها لذاته ليس محذورًا بل هو مشروع، وإنما المحذور فيها صرفها لغير مستحقها، الله ـ تبارك وتعالى ـ. أمَّا السِّحرُ

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٢٢٤، ٢٢٥).

فهو ممنوع تعلمًا وتطبيقًا، ومرَّ ذكرُ رأي الجمهور في منع تعلمِ السحر مطلقًا، فالحال مختلفة، وحكمها كذلك.

وأما الأمر الآخر الذي ذكره ابن حجر؛ فسيأتي بيانه في موضوع حل السحر عن المسحور.

وبعد هذا أقول: إنَّ ماقيلَ في عدم تحريم تعلم السحر، سواء مطلقًا، أو لغرض من الأغراض، إمَّا باطلٌ، أو ضعيف، كما بينتُ، وجمهور العلماء يحرمون تعلم السحر وتعليمه، وهذا بيقين مبني على فهمهم حقيقته ومؤداه، سواء منه ماكان حقيقة، أو ماكان تخييلاً، ويعدونه من أكبر الكبائر؛ لكونه لا يتأتى إلاَّ بتعليم، فلا يكون ساحرًا بالفعل إلاَّ من تعلم السحر، كما لايكون الإنسان كاتبًا بالفعل إلاَّ بتعلم الكتابة، فالتعلم محرم بذاته، أو هو ذريعة إلى المحرم، والذريعة إلى المحرم يجب سدُّها. وقد أخبر تعالى بكذب الشياطين، فيما تلته عن ملك سليمان ـ عليه السلام ـ، ونفى عنه ما نسبوه إليه من السحر بنفي الكفر عنه؛ لكون السحر كفرًا، وأكد كفرهم وبين صورة منه، هي مقتضى الحال «تعليم الناس السحر»، ومما يؤكد كفر متعلم السحر قوله تعالى في الآية نفسها عن الملكين اللذين يعلمان السحر لمن جاء متعلمًا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[1]، أي بتعلم السحر، لهذا كان رأي الجمهور أن تعلم السحر حرام، وصرَّح بعضهم بالتحريم حتى مع عدم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

العمل[١].

فإن قيل: إن إطلاق الكفر في تعلم السحر يُشْكِلُ عليه الخبر عن الملكين المعلمين للسحر في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[٢]. إذ يلزم منه القولُ بكفر الملكين وهذا غيرُ جائز[٣].

قلنا: الأمرُ لايُفهمُ بهذه الصورة لأمور:

أولها ـ إنَّ الله تعالى جعل التعليم من قبل ملائكة على خلاف المعتاد في إبلاغ الخلق التعليمات الأخرى، والتي تكون بوساطة الأنبياء والرسل من البشر، وعلى هذا يختلف الحكم فيجبُ عدم الغفلة عن الفرق.

ثانيها ـ تنبيه الملائكة المُتَعَلِّم؛ إنهم فتنة فلا يُقدم على التَّعَلُّم، استدلالاً على علمهم ذلك بكونه جائزًا.

ثالثها ـ كون المعلمين ملائكة يفهم منه تحريم تعلم السحر، إذ لو

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١،٦٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، الكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، الخرشي على سيدي خليل (٨/ ٦٣)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، أضواء البيان (٤/ ٤٦٢).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٦).

كان المعلم نبيًّا، أو رسولاً من البشر؛ لكان علمه دليل الجواز؛ لأن الرسل قدوة الأمم، والتحذير من غير علم أقل فائدة.

رابعها - إنَّ ترك أمر السِّحر لوحي الشياطين من غير نذير عالمٍ بالأمر، تكليفُه مُختلِف عن تكليف المُنْذَرِين؛ يجرُّ إلى الوسوسة، وتخلخل الإيمان لدى كثيرٍ من ضعاف العقول، ولكن الحكيم العليم الذي خلق الجنَّ والإنس ليبلوهم أيهم أحسنُ عملا، هيأ كل الوسائل التي بها يستطيعون الإتيان بالمأمور، والابتعاد عن المحظور؛ لئلا يكون للناس على الله حجة، والله أعلم.

المبحث الثاني
حكم السَّاحر

لم يختلف العلماء كثيرًا في حكم السَّاحر، كاختلافهم في كثير من الأمور الأخرى، وذلك راجع بلا شك إلى وضوح الرؤية في أمر السحر والسحرة، من حيث صراحة الأدلة، مع أن الاختلاف في تحديد ماهيته واسع جدًا، الأمر الذي يتسع معه الخلاف عادةً؛ لولا صراحة النهي العام عن السحر، والتحذير منه، ولكن بتحديد المعنى الدقيق الذي يصدق عليه لفظُ السحر، بمعناه الاصطلاحي المقرون بالكفر، ضاق الخلاف، وبقي تحديد السحر هو المهم في الأمر.

ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1]، وفي هذه الآية الكريمة الاستدلال على كفر السَّاحر من أوجه كثيرة:

أولها ـ نفي الكفر عن نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ في معرض

---

(١) سورة البقرة.

اتهامه بالسحر في قوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ إذ لو كان ساحرًا ـ وحاشاه ـ لكان كافرًا.

ثانيها ـ التصريح بكفر الشياطين، منوطًا بتعليمهم السحر للناس.

ثالثها ـ تحذير الملكين طالب تعلم السحر بأنه كفر.

رابعها ـ نفي النصيب في الآخرة عن متخذه، ونفي النصيب بالكلية لا يكون إلاَّ للكافر، عياذًا بالله تعالى(١).

ومن النصوص قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾(٢)، وفي الآية الكريمة نفي الفلاح نفيًا عامًا عن الساحر في أي مكان كان، وهذا دليل على كفره، ويذكر الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أمرين يدلان على أن نفي الفلاح في الآية عن السَّاحر دال على كفره:

الأمر الأول ـ دلالة آية سورة البقرة السابق ذكرها على كفر السَّاحر، ولا داعي لإعادته.

والأمر الثاني كما قال «إنه عُرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظة (لايفلح) يراد بها الكافر، كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾، وقوله في سورة

---

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤٤٢)، ودعوة التوحيد (ص/ ٧٩).

(٢) سورة طه.

يونس أيضًا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾، وقوله في سورة الأنعام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

ويفهم من مفهوم مخالفة الآيات المذكورة: أن من جانب تلك الصفات التي استوجبت نفي الفلاح عن السحرة والكفرة، أنه ينال الفلاح وهو كذلك، كما بيَّنه جلَّ وعلا في آيات كثيرة، كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾[2] الآية. والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾ مضارع أفلح بمعنى نال الفلاح، والفلاح يطلق في العربية على الفوز بالمطلوب، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾، حيث: كلمة تدلُّ على المكان، كما تدلُّ حين: على الزمان، ربما ضمنت معنى الشرط. فقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[3] أي حيث توجه وسلك..»[4].

ومنها حديث ابن مسعود: «**من أتى عرافًا، أو ساحرًا، أو كاهنًا**

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة المؤمنون.

(٣) سورة طه.

(٤) أضواء البيان (٤/ ٤٤٢، ٤٤٣).

فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[١].

ومنها حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليس منّا من تطيّرَ، أو تُطير له، أو تكهَّن، أو تُكهِّن له، أو سحر، أو سُحر له، ومن عقد عقدة ـ أو قال: عقد عقدة ـ، ومن أتى كاهناً فصدَّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[٢].

وإذا كان هذا حال الآتي فكيف بحال المأتي، الذي أيضًا تبرأ منه هَادي الأمة ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ومن النصوص الصريحة في أمر السحر، أن الرسول ﷺ عدَّه من السبع الموبقات التي نهى عنها، لكونها تُهلك فاعلها في الدنيا، بما يترتب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية، وتهلكه في الآخرة، بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

روي الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي (٥/ ١١٨)، وقال رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن مريم، وهو ثقة، وانظر: المستدرك للحاكم (١/ ٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ومسند الإمام أحمد (٢/ ٤٢٩).

(٢) مجمع الزوائد (٥/ ١١٧) وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع؛ وهو ثقة، ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن الحديث: «رواه البزار بإسناد جيد، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن؛ من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى كاهنًا» إلى آخره» فتح المجيد (ص/ ٣٣٧). ويقول عبدالقادر الأرناؤوط عن الحديث: «وهو حديث صحيح بشواهده» هامش فتح المجيد (ص/ ٣٣٧).

رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يارسول الله وما هنَّ؟ قال: الشركُ بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، وأكلُ الربا، وأكلُ مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»(١).

وهناك أحاديث أخرى في النهي عن السحر(٢)، تؤيد معنى هذا الحديث، وأحاديث في النهي عن إتيان الكهان، والعرافين، وبيان حكم آتيهم ومصدقهم، وإلحاق ذلك بالسحر، سنتناول هذا ـ إن شاء الله ـ في المبحث التالي، وإذا كان ذاك حال الملحق، فكيف بالملحق به.

لهذه النصوص الصَّريحة، من الكتاب والسنة؛ اتفق العلماء على كفرالساحر، الذي يعتقد أن الكواكب مدبرة مع الله، أو أن الساحر قادر على خلق الأجسام، أو اعتقد أن فعله مباحًا، ويكون المسلم بهذا كالمرتد يُستتاب، فإن تاب، وإلاَّ قتل عند بعضهم، ويَرى آخرون قتله بلا استتابة(٣)

كما ذهب الأئمة الثلاثة أبوحنيفة، ومالك، وأحمد إلى القول بكفر السَّاحر مطلقًا(٤).

---

(١) سبق تخريج الحديث (ص/ ١٦٨).

(٢) منها حديث صفوان بن عسال. انظر: سنن الترمذي ح/ ٢٧٣٣ (٥/ ٧٧، ٧٨)، ورقم ٣١٤٤ (٥/ ٣٠٦)، ومسند الإمام أحمد (٤/ ٢٣٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٣)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٧، ٤٨)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، الروضة الندية للقنوجي (٢/ ٤٢٤).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٢، ٦٣)، أحكام القرآن لابن العربي =

وذهب الإمام الشافعي إلى عدم التكفير بالسحر لذاته، فإذا لم يكن السَّاحر معتقدًا في الكواكب أنها مدبرة، أو أنه قادر على خلق الأجسام، أو أن فعله مباحًا، كان فعله معصية كبيرة[١].

ولعل الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ أراد أن من السحر ما لا يبلغ بصاحبه درجة الكفر، وهو يسمى سحرًا؛ وهذا صحيح، لكن إن حمل المكفر من السحر على ما نص عليه، فهذا يرد عليه من أنواع السحر ما يحصل بوساطة معين من الشياطين، بمقابل ما يقدم لهم السَّاحر من طاعة وخضوع في مخالفة الشرع، وكثير من أعمال السحرة من هذا القبيل، ومنه سحر سحرة فرعون، أعمال تأثيرها على الأعين، ليس فيها على رأي الإمام الشافعي، أكثر من التعزير والاستتابة، والله ـ سبحانه وتعالى ـ سمى ذلك سحرًا، وسمى أصحابه سحرة، وقد جلب فرعون أمهر أهل هذه الصنعة، وكان عملهم ما أخبر الله تعالى عنهم بقوله:

= (١/ ٣١)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٥)، الكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢/ ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤)، الخرشي على سيدي خليل (٨/ ٦٣)، حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠)، الروضة الندية (٢/ ٤٢٤)، أضواء البيان (٤/ ٤٦٢).

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٣)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٥،٢١٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤).

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[(١)]، ووصف ذلك العمل بأنه كيدُ ساحر، ونفى عن صاحبه الفلاح بقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[(٢)]. ومن هذه حاله هو الكافر، وهذا العمل يكون من السحرة، من غير أن يعتقدوا في الكواكب كونها مؤثرة، ولا أن السَّاحر قادرٌ على خلق الأجسام، ولا أن فعل السحر مباحًا، لكنه بالالتجاء إلى الشياطين، واتخاذهم أولياء، وذلك دليلُ عدم الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[(٣)]، وكما أخبر تعالى عن الذين حقت عليهم الضلالة بقوله: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[(٤)]، ومن استعان بالشياطين فعملوا له ما أراد فلا شك بموالاته لهم، وإلاَّ فلن يستجيبوا له ويخدموه، ومن كانت الشياطين أولياءه، أخرجوه من النور إلى الظلمات، وكانت حاله ما ذكر الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى عن موالاة الجن والإنس بعضهم لبعض: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي

(١) سورة طه.
(٢) سورة طه.
(٣) سورة الأعراف.
(٤) سورة الأعراف.
(٥) سورة البقرة.

أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[(١)]. فمن كان من أصحاب النار خالدًا فيها فهو كافر بلا شك؛ لأن المؤمنين لا يخلدون في النار، وليست مثواهم، والله أعلم.

أما بالنسبة لحد السَّاحر فالمسألة مبنية على أن السَّاحر؛ إما أن يكون مسلمًا، أو ذميًا، وحدُّه تبعًا للحكم عليه بالكفر، مع ماورد في ذلك عن رسول الله ﷺ وفعل الصحابة.

فالحديث هو ماروواه الترمذي قال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**حدُّ الساحر ضربة بالسيف**»[(٢)].

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) سنن الترمذي كتاب الحدود باب ماجاء في حدِّ السَّاحر (٤/ ٦٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلاَّ من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم يضعف في الحديث، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال: وكيع هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضًا، والصحيح عن جندب موقوف. وروى هذا الحديث الحاكم في المستدرك في كتاب الحدود باب حد الساحر وضربه بالسيف (٤/ ٣٦٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم فإنه غريب صحيح، ووافقه الذهبي، انظر: نيل الأوطار للشوكاني باب ماجاء في حدِّ السَّاحر (٧/ ٣٦٢، ٣٦٣). وأقول: إسماعيل الذي تكلم في الحديث بسببه، لم يُجزم؛ أهو إسماعيل بن مسلم العبدي القاضي الثقة، الذي روى له الإمام مسلم والترمذي والنسائي، أم إسماعيل بن مسلم المكي الضعيف الحديث، الذي روى له الترمذي وابن ماجة. انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٢٤٨ـ٢٥٠)، تقريب التهذيب (ص/ ١١٠). وقال ابن =

وفعل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ هو مانقل عن بعضهم من قتل السحرة، أو الأمر بذلك، وعدم المخالف في الحكم، لا في صفة تنفيذه، حيثُ قد حصل القتل في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لثلاث سواحر، عندما كتب لجزء بن معاوية، عم الأحنف بن قيس: «أن قتلوا كل ساحر وساحرة»[١]، وروى الإمام مالك عن محمدبن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة، أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت»[٢]. كما روى البخاري في التاريخ الكبير بسنده عن أبي عثمان «كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا،

= كثير: «إن الحديث قد رواه الطبراني من وجه آخر عن الحسن عن جندب مرفوعًا» انظر: التفسير (١/ ٢٠٧)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨).
وإن العمل بمدلول الحديث عند عمر وعثمان، وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد، وعن سبعة من التابعين؛ دليل صحته. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨).

(١) انظر: سنن أبي داود كتاب الإمارة باب في أخذ الجزية من المجوس (٣/ ١٦٨)، مسند الإمام أحمد (١/ ١٩٠، ١٩١)، والحديث مما احتجَّ به الجمهور على قتل الساحر، وقد عمل به في حياة عمر بن الخطاب بأمره، ولم ينكر فكان إجماعًا منهم على ذلك. وانظر: الحديث عند ذكر المحتجين به في أحكام القرآن للجصاص(١/ ٦١)، والتفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٦)، والكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٥)، وتيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٩١، ٣٩٢)، وقال: إن إسنادالحديث حسن، وهو حجة الجمهور. ونيل الأوطار للشوكاني (٧/ ٣٦٢)

(٢) الموطأ كتاب العقول باب ماجاء في الغيلة والسحر (٢/ ٨٧١)، أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١)، التفسير الكبير للرازي (٣/ ٢١٦)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٩٣)، نيل الأوطار للشوكاني (٧/ ٣٦٢).

وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله»[١].

كما نقل قتل السحرة عن غير هؤلاء من الصحابة، منهم: عثمان ابن عفان، وابن عمر، وأبي موسى، وقيس بن سعد، كما نقل عن سبعة من التابعين منهم: عمر بن عبدالعزيز[٢].

وهذا الفعل من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ثم من التابعين يعدُّ إجماعًا منهم على العمل بمدلول الحديث الوارد في ذلك، يقول الشيخ الشنقيطي: «فهذه الآثار التي لم يعلم أن أحدًا من الصحابة أنكرها مع اعتضادها بالحديث المرفوع المذكور، هي حجة من قال بقتله مطلقًا، والآثار المذكورة، والحديث فيهما الدَّلالة على أنه يقتل، ولو لم يبلغ به سحره الكفر؛ لأن السَّاحر الذي قتله جندب ـ رضي الله عنه ـ كان سحره من نوع الشعوذة والأخذ بالعيون، حتى إنه يخيل إليهم أنه أبان رأس الرجل، والواقع بخلاف ذلك، وقول عمر: «اقتلوا كل ساحر» يدلُّ على ذلك لصيغة العموم»[٣].

وخلاصة الأقوال في حدِّ السَّاحر هي:

أولاً ـ حالات القتل:

١ ـ يُقتل عند القائلين بكفره باعتباره مرتدًا، وكذا عند من اعتبروا

---

(١) التاريخ الكبير للإمام البخاري القسم الثاني من الجزء الأول (ص/ ٢٢٢)، وانظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٩٣، ٣٩٤)، فتح المجيد (ص/ ٣٢٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٩١)، فتح المجيد (ص/ ٣٢٢، ٣٢٤)، أضواء البيان (٤/ ٤٦١).

(٣) أضواء البيان (٤/ ٤٦١).

السَّاحر كافرًا مطلقًا، ويُقتَل عند أبي حنيفة؛ لكونه جمع إلى الردة السعي في الأرض بالفساد، وهذا موافق لمذهب الذين وردَ عنهم قتل السَّاحر(١).

٢ - إذا قَتَل بسحره إنسانًا، قُتلَ حدًا عند الإمام أبي حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، ويشترط الإمام أبوحنيفة، أن يتكرر منه ذلك، أو يقر به في حق شخص معين، أو يشهد عليه شاهدان، ويُقتل قصاصًا عند الإمام الشَّافعي(٢).

ولا تُقبل توبة السَّاحر عند أبي حنيفة، ومالك، وأحمد في رواية، وقال الشَّافعي وأحمد: في الرواية الأخرى تقبل توبته(٣).

ثانيًا ـ حالات عدم القتل:

١ ـ ذهب الإمام الشَّافعي، إلى عدم قتل السَّاحر، الذي لم يشتمل سحره على اعتقاد كون الكواكب مدبرة، أو كون السَّاحر قادرًا

---

(١) انظر تفصيل هذا في: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١ـ٦٣)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٧ـ٤٩)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٦٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢)، شرح العقيدة الطحاوية (ص/ ٥٩٨)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٣)، التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢/ ٤٨)، شرح النووي على مسلم(١٤/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٥).

على خلق الأجسام، أو أن فعله مباحًا.

واستدلَّ على ذلك بما يلي:

أولًا ـ أنَّ السحرَ إذا لم يشتمل على تلك الأمور المكفرة ـ على زعمه ـ لا يُعدُّ صاحبه كافرًا بل عاصيًا، ومجرد المعصية غير مكفر، وغير مبيح للدم، ودماء المسلمين محظورة[١]، لما روى البُخاري بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحلُّ دم امرىءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله، وأني رسول الله إلَّا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزَّاني، والمارقُ من الدِّين التاركُ الجماعة**»[٢].

وليس مطلق السَّاحر ـ على رأيهم ـ من هذه الثلاثة فلا يحلُّ دمه، يقولُ القرطبي معلقًا على هذا: «وهذا صحيح، ودماء المسلمين محظورة لا

---

(١) انظر: في حكاية ذلك القول أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٣)، التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٥، ٢١٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦).

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الدِّيات باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ (٩/ ٦)، صحيح الإمام مسلم كتاب القسامة باب مايباح به دمُ المسلم (٣/ ١٣٠٢، ١٣٠٣). وانظر: سنن أبي داود كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتدَّ (٤/ ١٢٦)، سنن الترمذي كتاب الحدود باب ماجاء من شرب الخمر فاجلدوه (٤/ ٤٩)، وسنن النسائي كتاب تحريم الدم باب ذكر مايحلُّ من دم المسلم (٧/ ٩٠ـ٩٢)، باب الصلب (٧/ ١٠١، ١٠٢)، باب الحكم في المرتد (٧/ ١٠٣ـ١٠٥)، سنن الدَّارمي كتاب السير باب لا يحلُّ دم رجل يشهد أن لا إله إلاَّ الله (٢/ ٢١٨)، مسند الإمام أحمد (١/ ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٧٠، ١٦٣، ٣٨٢، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٦٥) (٦/ ١٨١، ٢١٤).

تستباح إلاَّ بيقين ولا يقين مع الاختلاف»[١].

ثانيًا ـ أن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ باعت ساحرة كانت سحرتها[٢].

ولو وجب قتلها لما حلَّ بيعها، فيكون سحرها لها بسحر لا يكفر صاحبه[٣].

ثالثًا ـ أن الرسول ﷺ لم يقتل من سحره «لبيد»، فوجب أن يكون المؤمن كذلك لقوله ﷺ: «**لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم**» هكذا أورده من حكى الاستدلال[٤].

وأقول: إن هذه الأدلة التي بُني عليها هذا القول ليست صريحة في الدلالة إذ يقال:

دليل حرمة دماء المسلمين، وأنها لا تستباح إلاَّ بيقين، ولايقين مع الاختلاف؛ هذا صحيح من حيث الحكم العام. أمَّا الحالة الخَّاصة معنا في أمر السحر، فالجمهور على أن السِّحر يعدُّ مروقًا من الدِّين وتركًا للجماعة. لهذا لم ينكر أحد من الصحابة على من قتل السَّاحر منهم، فيعدُّ هذا بمنزلة الإجماع على العمل بما ورد خاصة في حدِّ السَّاحر، والخاص يقضي على العام[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٨).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، أضواء البيان (٤/ ٤٦١).
(٣) انظر: المرجعين السابقين.
(٤) انظر: التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٦).
(٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١ـ٦٣)، تيسير العزيز الحميد =

وأما ما رُوي عن أمِّ المؤمنين عائشة، من أنها باعت الجارية التي سحرتها، فيقال: لو صحَّ ذلك فيحتمل أن الجارية لم تكن هي السَّاحرة، وإنما صنع لها ما سحرت به أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ، كما يحتمل أن سحرها كان بوضع أدوية ضارة لها، ونحو ذلك مما فعله لا يعدُّ سحرًا بالمعنى الاصطلاحي. وعدم قتل الرسول ﷺ لبيد حين سحره، واعتبار ذلك دليلاً بناء على قوله ﷺ: «**لهم ماللمسلمين وعليهم ما عليهم**». أقول: هذا الاستدلال غير مسلم، فالحديث الذي ورد فيه هذا القول؛ لايعني أهل الكتاب ولفظه كما رواه الإمام أحمد في مسنده، والإمام النسائي في سننه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرتُ أن أُقاتلَ النَّاس حتى يشهدوا أن لاإله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فإذا شهدوا أن لاإله إلَّا الله وأن محمدًا رسول الله، واستقبلوا قبلتنا، وأكلوا ذبيحتنا، وصلوا صلاتنا، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلَّا بحقها، لهم ماللمسلمين وعليهم ما عليهم**»(١). ودلالة الحديث ظاهرة في المراد، فهم المنقادون للدين الإسلامي الناطقون بالشهادتين وما

= (ص/ ٣٩١)، أضواء البيان (٤/ ٤٦٠ـ٤٦٢).

(١) سنن النسائي كتاب تحريم الدم (٧/٧٦)، كتاب الإيمان وشرائعه باب على مايقاتل الناس (٨/ ١٠٩)، مسند الإمام أحمد (٣/ ١٩٩، ٢٢٥)، وهذا الحديث بمعناه عند الإمام البخاري ولفظه بسنده عن أنس بن مالك: «**من شهد أن لا إله إلَّا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم**» كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (١/ ١٠٩).

يتبعهما، أصبحوا مسلمين حكمًا، وليس أهلُ الكتاب من هؤلاء.

ولا يُقالُ بالنسبة لأهلِ الكتاب هذا القول، إلاَّ في أمورٍ محددة، ثبتت لهم بدفع الجزية، من الأمان على أنفسهم، وأهلهم، وأموالهم، في المقام والسفر، لا في كلِّ الأمور، فالاختلاف بين المسلمين وأهل الذِّمة واسع.

٢ ـ ذهب بعضُ الأحناف إلى عدم قتل المشعوذ، وصاحب الطلسم، إذ لا يعدون فاعل هذا ساحرًا[1].

كما ذهب بعضُ أصحاب الإمام أحمد إلى أن من سحر بأدوية، وتدخين، وسقي شيء يضر، ومن يعزم على الجن، ويزعم أنه يجمعها وتطيعه، والمشعوذ، وقائل بزجر الطير، وضارب بالحصى، والشعير، والقداح، ونحو ذلك؛ لا يعدُّ كافرًا بمثل هذا، إن لم يعتقد الإباحة، أو أنه يعلم الغيب[2].

وهذا موافق لما ذهب إليه الإمامُ الشَّافعي وأصحابه من وجه[3].

وقد ردَّ على الإمام الشَّافعي هذا التفريق في الحكم؛ الإمامُ ابن العربي فقال: «هذا باطلٌ من وجهين:

أحدهما ـ أنَّه لم يعلم السِّحر، وحقيقته؛ أنه كلام مؤلف، يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه فيه المقادير، والكائنات.

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠).

(٢) انظر: شرح منتهى الإرادات(٣/ ٣٩٤،٣٩٥)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٨٤)

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤،٢٣٦).

والثاني ـ أن الله سبحانه قدَّ صرَّح في كتابه بأنه كفر؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[١] من السحر، وما كفر سليمان بقول السحر، ولكن الشياطين كفروا به، وبتعليمه، وهاروت وماروت يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وهذا تأكيد للبيان»[٢].

وقد وَضَّحَ وجه الاختلاف بين مذهب الجمهور، ومذهب الإمام الشَّافعي، ومن وافقه، في بعض أنواع من السِّحر؛ الشيخ سليمان بن عبدالوهَّاب[٣] فقال: «وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يتأتى السِّحر الذي من قبل الشياطين، إلاَّ بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب... وأما سحر الأدوية، والتدخين، ونحوه؛ فليس بسحر، وإن سمى سحرًا فعلى سبيل المجاز، كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) أحكام القرآن (١/ ٣١).

(٣) هو سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في مدينة الدرعية في أواخر أيام جده الإمام محمد سنة (١٢٠٠هـ)، وتربى في هذا البيت فنشأ نشأة علمية، إضافة إلى موهبة نادرة في الحفظ والذكاء وقد انقطع إلى العلم بكليته، فبلغ في العلم مكانة تسامي أكابر العلماء في وقت قصير، فهو ذو معرفة تامَّة في الحديث ورجاله، وفي الفقه والتفسير، والنحو، وغير ذلك، ولاَّه الإمامُ سعود بن عبدالعزيز القضاء في مكة المكرمة، له مؤلفات منها: تيسير العزيز الحميد، والدلائل في عدم موالاة أهل الشرك وغيرهما، قتله إبراهيم باشا في آخر سنة (١٢٣٣هـ)، بعد أن وشي به إليه، بعد ما أصيبت الدرعية بجيش الدولة العثمانية بقيادته. انظر: الأعلام (٣/ ١٢٩)، علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ ابن بسام (١/ ٢٩٣ـ٢٩٨).

حرامًا لمضرته، ويعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا»[١].

وأقول: إنَّ السحر أنواع كثيرة تختلف في أحكامها بحسب ما يصاحبها من الاعتقاد، وإن شملها اسم السحر من حيثُ الإطلاق، لإمكان أن يعمل أعمال السحرة من ليس ساحرًا، فيتسمى بذلك، ولا يتأتى له، ومنه، ما يتأتى من السحرة، ولهم، في كل حال، بل قد يكون منه أعمال يلتبس أمرها على الرائي، وصاحبُ هذا ساحر؛ لأنه أتى بأمور تخفى على الكثيرين، من حيثُ الشكل والهيئة التي ظهر بها، لا من حيثُ الواقع والحقيقة، أي أنه يمكن أن يعمل شخص نوعًا من أنواع السحر المكفر بصورته وهيئته، لكنه ليس ساحرًا بالمعنى الحقيقي، فهو لايُعظم أحدًا سوى الله، ولا ينسب شيئًا مما هو لله لغيره، إنما استعمل تلك الطرق احتيالاً. فهذا لا يجعلنا نحكم على ذلك النوع؛ بأنه غير مكفر مطلقًا؛ لأن الأصل في تلك الأعمال؛ السِّحر بالمعنى الشرعي المحذور، ومن يحاكيه مع مخالفة الحال، يختلف عنه من حيثُ المآل، لا من حيثُ الحكم العام؛ لأن الصورة الظاهرة واحدة، وحكم الناس على الظاهر، والبواطن أمرها إلى الله تعالى.

لكن من خُبر أمره، وعلم أن ما يستعمله خال من الاعتقاد الباطل، وإنما خفة حركة، أو حدس وتخمين يربطه بجنس أفعال السحرة من خط بالأرض، أو زجر للطير، أو ضرب بالقداح، أو نحو ذلك، من الاستقسام الخالي من الاستعانة بالشياطين، ومن ادعاء علم

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٣٨٤).

الغيب، أو كان باستعمال خاصةٍ من خواص المواد؛ بطرق تخفى على الآخرين، فحكم مثل هذا هو ماأشار إليه بعضُ الأحناف، وبعضُ الحنابلة؛ بأنه لا يعتبر مكفرًا وإن اشتمل على أمور باطلة من الغش والخداع والكذب، ونحو ذلك، فهي لا تبلغ درجة الكفر، والله أعلم.

حكم المرأة السَّاحرة:

١ ـ ذهب الإمام أبوحنيفة إلى عدم قتل الساحرة مطلقًا، وحُكمها الحبس، وتجبر على الإسلام؛ لأنَّها مرتدة، روى الحسن عن أبي حنيفة أنها تُخرج في كل قليل، وتُعزَّر تسعة وثلاثين سوطًا، ثم تُعادُ إلى الحبس إلى أن تتوب أو تموت[(١)].

٢ ـ ذهب الأئمة الثلاثة؛ إلى أن حكم المرأة السَّاحرة حكم الرجل[(٢)].

قبول توبة السَّاحر:

١ ـ ذهب الإمام أبوحنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد في رواية، إلى عدم قبول توبة السَّاحر.

وهذا مروي عن جماعة من الصحابة والتَّابعين، وعُلل بتعليلات:

منها ـ أن الردة بفعل السِّحر باطنة، والمرتدُّ باطنًا لا تعرف توبته بإظهاره الإسلام.

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٢)، المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٠٨)، الروضة الندية للقنوجي (٢/ ٤١٩).

(٢) انظر: الكافي (٤/ ١٥٧)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢)، الروضة الندية (٢/ ٤١٩)، زاد المحتاج للكوهجي (٤/ ١٩٣، ١٩٤).

ومنها ـ أن علم السِّحر لا يزول بالتوبة.

ومنها ـ أنه جمع إلى الردة السَّعي في الأرض بالفساد.

وهذا في حالة ما إذا شهد عليه بذلك؛ أمَّا إذا تاب قبل أن يشهد عليه بالسحر قبلت توبته، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] فحكم السَّاحر يكونُ كذلك[2].

٢ ـ ذهب الإمام الشَّافعي، والإمام أحمد في رواية؛ إلى قبول توبةِ السَّاحر؛ لأن دينه لا يزيدُ على الشرك، والمشرك يُستتاب فإن تاب قبلت توبته، وخُلي سبيله، فكذلك السَّاحر، وعلمه بالسحر لا يمنع توبته؛ بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم، ولذلك صحَّ إيمانُ سحرة فرعون وتوبتهم[3].

ساحر أهل الكتاب:

١ ـ ذهب الإمامُ أبوحنيفة؛ إلى أن حكم ساحر أهل الكتاب كحكم

---

(١) سورة المائدة.

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص(١/ ٦١ـ٦٣)، التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٥)، الكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٧)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢١٢)، فتح الباري (١٠/ ٢٢٤، ٢٣٦)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٠، ٣٩٥).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٥)، الكافي (٤/ ١٩٥، ١٩٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٨)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٢١٢)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٥).

ساحر المسلمين[١].

٢ ـ ذهب الأئمة الثلاثة: مالك، والشافعي، وأحمد؛ إلى عدم قتل ساحر أهل الكتاب لمجرد السحر، لقصة لبيد حين سحر الرسول ﷺ[٢].

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للجصاص (١/ ٦٢)، التفسير الكبير للرَّازي (٣/ ٢١٦)، الكافي (٤/ ١٦٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٤٩)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٥).

أحكام أنواع من السِّحر

لقد مرَّ في الكلام على أقسام السِّحر ذكر ما يدخلُ فيه من الأنواع المحذورة؛ ولأجل أن هناك أنواعًا منه لها أسماء أخرى عُرفت بها ـ كما أنه قد يتظاهر بفعل أنواع منها؛ من لا يصدق عليه حكمها المبني على أصلها وحقيقتها من الاعتقاد الباطل، إنما مجرد تخمين لا يعتقد به علم غيب، ولا يقين خبر، وليس مبنيًا على الاستعانة بالشياطين الذين لايعينون إلاَّ بصرف نوع من العبادة ـ كان لابد من التفريق في الحكم بين من يعتبر حكمه حكم السَّاحر مطلقًا، ومن يكون عاصيًا، بما يترتب على فعله من الكذب والغش والخداع، أو من كونه وسيلة إلى فساد عقائد السذج من الناس، ولا شكَّ في كونه محرمًا لكنه دون الأول، وقد أشرتُ في التعليق على الأقسام إلى وجه ذلك.

ومن هذه الأنواع:

أولاً ـ الكهانة والعرافة:

الكهانة والعرافة يقال: إنهما بمعنى واحدٍ: فيطلقان على الحازي والطبيب، وكلُّ من يتعاطى علمًا دقيقًا[١].

وقيل: إنَّ الكاهن هو من يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار، سواء كان له تابع من الجن ورئي يُلقي

---

(١) انظر: اللسان مادة «كهن» ومادة «عرف» (١٧/ ٢٤٤، ٢٤٥) (١١/ ١٤٢). المصباح المنير (٢/ ٥٣)، المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٩،٦٠١).

إليه الأخبار، أو كان ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدلُّ بها على مواقعها من كلام من يسأله، أو فعله، أو حاله. وقيل: بل هذا الأخير هو العرَّاف، الذي يدَّعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضَّالة، ونحوهما(١).

وقيل: الكاهنُ من يخبر عن الأمور الغيبية الماضية والمستقبلة، والعرَّاف من يخبر عن الماضي. يقول ابن عابدين: «... الكاهنُ قيل: هو السَّاحر، وقيلَ هو العرَّاف الذي يحدث ويتخرص، وقيل: من له من الجن من يأتيه بالأخبار»(٢).

وقد ألحقت الكهانة، والعرافة بالسحر، لكونهما مشابهين له من حيثُ اشتمالهما على الإخبار بما يخفى على الآخرين، مع دعوى علم الغيب، أوسلوك الطرق المحرمة في الحصول على ذلك، وقد جاء النصُّ بتحريم إتيانهم عن رسول الله ﷺ نهيًا، وبيانًا لوعيد آتيهم، من ذلك:

١ ـ ما رواه مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي: **«قال: قلت يارسول الله أمورًا كنَّا نصنعها في الجاهلية كنَّا نأتي الكهان. قال: (فلا تأتوا الكهان) قال: قلت: كنَّا نتطير. قال: (ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم). »**(٣)

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص/٤٤٢، ٤٤٣)، اللسان مادة «كهن» و«عرف» (١٧/ ٢٤٤، ٢٤٥) (١١/ ١٤٢)، تيسير العزيز الحميد (ص/٤٠٦، ٤١١، ٤١٢)، فتح المجيد (ص/٣٣٨، ٣٣٩)، أضواء البيان (٤/ ٤٥٥).

(٢) حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠) بتصرف قليل.

(٣) مسلم كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/١٧٤٨، ١٧٤٩). =

٢ ـ ومنه مارواه الإمام أحمد وغيره، ولفظُ أحمد بالسند عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«من أتى كاهنًا، أو عرافًا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[١].

٣ ـ ومنه في شأن الكاهن ما رواه الإمام أحمد أيضًا، وأصحاب السنن، ولفظُ أحمد عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا فصدقه فقد برىء مما أنزل على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ»**[٢].

٤ ـ ومنه في شأن العرَّاف ما رواه الإمامُ مسلم بسنده عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[٣].

= وانظره: عند مسلم أيضًا في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ماكان من إباحته (١/ ٣٨٢).

(١) المسند (٢/ ٤٢٩)، وانظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٧، ٨). وقال هذا حديث صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه وافقه الذهبي.

(٢) المسند (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦). وانظر: سنن أبي داود كتاب الطب باب في الكاهن (٤/ ١٥)، سنن الترمذي كتاب الطهارة باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١/ ٢٤٢، ٢٤٣)، سنن الدَّارمي كتاب الصلاة باب من أتى امرأة في دبرها (١/ ٢٥٩)، سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب النهي عن إتيان الحائض (١/ ٢٠٩)، وقد تكلم في تضعيف هذا الحديث لكن موضع الشَّاهد له شواهد صحيحة. انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٠٨).

(٣) صحيح الإمام مسلم كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٤/ ١٧٥١. وانظر: مسند الإمام أحمد (٤/ ٦٨) (٥/ ٣٨٠).

وهناك أحاديث أخرى تؤيد ما دلَّت عليه الأحاديث السَّابقة سيأتي لها ذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ عند ذكر بعض الأنواع الأخرى.

وتلك النصوص صريحة في النهي عن إتيان الكهان والعرَّافين، وذكر الوعيد الشديد لمن أتاهم، وإذا كان هذا حالُ الآتي، فالمأتي أشدُّ جُرمًا، وأعظمُ إثمًا، وبحسبِ نوع عمله يكون حكمه من الكفر أو المعصية، واعتقاد صدقهم كفر؛ لأن ذلك اعتقاد بعلمهم الغيب، وسواء كان ذلك العلم من قبل الشياطين، أو من أي طريق، وكذلك اعتقاد إباحة فعلهم؛ سواء الفاعل أو الآتي[١].

فإن قيل: ما هو المحذور في إتيان الكهان، والسحرة، والعرافين، إذا لم يكن الآتي معتقدًا صدقهم، ولا إباحة ما يفعلونه، ولا أنهم يلعمون الغيب.

قلنا: التحريم حاصل بنهي الرسول ﷺ عن إتيانهم وسؤالهم كما في الأحاديث المذكورة. وأيضًا فإتيانهم اعتراف بصنيعهم، ومدْعَاةٌ للتعلق بهم، أو وسيلة إلى ذلك، وطريقٌ لتخلخل الإيمان بالغيب.

ثم إنَّ الكهان، والعرافين، دعاة الشياطين، الناطقون بألسنتهم، ولا يستوي الهدى والضلال، وقد مرَّ الفرقُ بين آيات الأنبياء، وبين ما يأتي به السحرة، وأساليب التغرير التي ينتهجها الشياطين، وأعوانهم، لا توقع لبسًا، إلاَّ على من ضعف إيمانه؛ لأنَّ الله تعالى نفى قدرة الشياطين على إغواء عباده المخلصين كما قال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٠٩).

عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[١] .

وفي حكم الكهنة والعرافين يقال :

إذا خلا فعل الكاهن ، والعرَّاف ، من كلِ الأمور المكفرة ، ولم يكن فعلهم بسبب حصول نوع من الشِّرك ـ فمع حرمة إتيانهم لعموم النهي عن ذلك ـ ، فليس فعلهم مكفرًا على الرَّاجح . يقولُ ابن قُدامة ؛ عن الكاهن والعراف : «قد نقل عن أحمد : أن حكمهما القتل ، أو الحبس حتى يموتا ؛ لأنهما يلبسان أمرهما ، وليس هو من أمر الإسلام ، قال أحمد : العرَّاف طرف من السحر ، والسَّاحرُ أخبثُ ؛ لأنه شعبة من الكفر»[٢] .

وقد ذهب بعضُ أصحاب الإمام أحمد ؛ إلى عدم تكفير الكاهنُ ، والعرَّاف ؛ إذا لم يعتقد إباحة فعله ، أو أنه يعلم به الغيب[٣] .

وصرَّح بعض الأحناف، بعدم كفر الكاهن؛ ما لم يعتقد أن الشَّياطين يفعلون له مايشاء[٤] .

فظهر ممَّا سبق : أن القول في الكاهن ، والعرَّاف في جملته ، لا يخرج عن القول في السِّحر ، إلاَّ من حيثُ إنَّ فيه أنواعًا ليست مكفرة على إطلاقها ، لإمكان فعلها ممن ليس كاهنًا ، ولا عرافًا حقيقة ، بخلاف مطلق السِّحر ، الذي جاء الشرع بتكفير صاحبه ، لهذا ذهب من ذهب إلى عدم تكفير الكاهن ، والعرَّاف مطلقًا ، بل خصوا المكفر بمن يعتقد

---

(١) سورة الحجر .
(٢) الكافي (٤/ ١٦٦) .
(٣) انظر : شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣٩٥) .
(٤) انظر : حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠) .

مكفرًا، دون مطلق الكهانة، والعرافة، والله أعلم.

ثانيًا ـ العيافة والطرق والطيرة ـ ونحو ذلك ـ:

العيافة: هي زجر الطير للتفاؤل والتشاؤم بأسمائها وأصواتها وممرها[١].

والطرق: هو الضرب بالحصى، والخط في التراب، ونحو ذلك، وهو ضربٌ من التكهن[٢].

والطيرة: هي ما يتفاءل به، أو يتشاءم منه[٣].

سبق أن عددت هذه الأمور في أقسام السحر، والغرض هنا بيان حكمها من حيثُ هي سحر، ومن حيثُ هي شرك بدونه، ومن حيثُ هي معصية دون ذلك.

وقد جاء في الخبر عنه ﷺ تفسير تلك الأمور بالجبت، روى الإمامُ أحمدُ بسنده عن قطن بن قبيصة عن أبيه أنَّه سمع رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العيافة والطرق والطيرة من الجبت**». قال عوف: «العيافة زجر الطير، والطرق الخط في الأرض، والجبت قال الحسن إنه الشيطان»[٤].

---

(١) انظر: اللسان مادة «عيف» (١١/ ١٦٧)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٦).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص/ ٣٠٣)، اللسان مادة «طرق» (١٢/ ٨٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٢).

(٣) انظر: المفردات (ص/ ٣١٠)، اللسان مادة «طير» (٦/ ١٨٤)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٠).

(٤) المسند (٥/ ٦٠). وانظر أيضًا (٣/ ٤٧٧)، سنن أبي داود كتاب الطب باب في الخط وزجر الطير (٤/ ١٦)، وأورده النووي في رياض الصالحين (ص/ ٦٠٧، ٦٠٨) وقال إسناده حسن. وقد جاء في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن =

والجبت ذكر له أكثر من معنى فقيل:

١ـ قال الراغبُ: «الجبتُ والجبس الغسل الذي لاخير فيه»[(١)].

٢ـ هو كلُّ ما عُبِدَ من دون الله[(٢)].

٣ـ هو الكاهنُ والسَّاحرُ والسِّحر[(٢)].

إنَّ معاني الجبتِ كلها صادقة في العيافة، والطرق، والطيرة، بحسب أحوالها، وكلُّ تلكِ المعاني دالة على عظم جُرم فاعلها.

فإن كانت سحرًا فلها أحكامه، وما قيل فيه يُقالُ فيها، ولا شكَّ بأن اعتقاد أن تلك الأفعال منبئة عما سيحصلُ من الغيب، أو أن هذا الفعل مباح، كُفر. واعتقاد أنها تجلب له النفع، أو تدفع عنه الضرر، شِركٌ فهذا نوعُ عبادة لها.

وفاعلُ هذه الأمور، ومفسرها لنفسه، أو للناس ساحر، وإقدامه على الفعل تبعًا لذلك، أو امتناعه، أو طاعة غيره له، عبادة لغير الله تعالى؛ لما صحَّ عن رسول الله ﷺ إن الطيرة شِرك، روى أبوداود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك ـ ثلاثًا ـ وما**

= عبدالوهاب القول في الحديث المذكور «والجبت قال الحسن: رنة الشيطان» والمطبوع في المسند «إنه الشيطان»، والمعنى على الأخير ظاهر المطابقة لتفسيرات الجبت، دون الأول الذي فسر بالصوت، فهو غيرُ واضح. انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٠٠)، فتح المجيد (ص/ ٣٢٦، ٣٢٧).

(١) المفردات (ص/ ٨٥). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٤٩).

(٢) انظر: المفردات (ص/ ٨٥)، واللسان مادة «جبت» (٢/ ٣٢٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٤٨، ٢٤٩)، المعجم الوسيط (١/ ١٠٤).

منَّا إلَّا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[١].

وإن كان صاحب تلك الأعمال لا يعتقدها فهو كذب، وغش، وبهتان، ووسيلة إلى الشرك ممن قد يصدقه، وبحسب حاله يكون حكمه، من الكفر، أو الفسوق والعصيان: فالفاسق من يتظاهر بتلك الأعمال كذبًا، من غير اعتقاد ولا استعانة بالشياطين، وجعل تلك الأمور وسيلة ظاهرة يضلل بها.

والكافرُ، هو فاعلها معتقدًا إباحتها، أو صدقها ودلالتها، أو المستعينُ بالشياطين على كشف بعضِ الأمور، واتخاذ تلك وسيلة يُخفِي بها صُنعه.

ثالثًا ـ المنجمون:

النجمُ: الكوكبُ، والجمع أنجم ونجوم، وهو أحد الأجرام السَّماوية المضيئة، والنَّجمُ علمٌ على الثرياء خاصة، والمنجم والمتنجم، الذي ينظرُ في النجوم، بحسب مواقيتها، وسيرها، يستطلعُ من ذلك أحوال الكون[٢]، وهذا جزء علم الفلك، الذي يبحثُ فيه عن أحوال الأجرام العلوية، وهو عِلمٌ قد اتسع وتوصَّل البشر فيه إلى معارف كثيرة

---

(١) السنن كتاب الطب باب في الطيرة (٤/ ١٧). وانظر: سنن الترمذي كتاب السير باب ماجاء في الطيرة (٤/ ١٦٠، ١٦١)، وقال: وهذا حديث حسنٌ صحيح لانعرفه إلاَّ من حديث سلمة بن كهيل، وسنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة (٢/ ١١٧٠).

(٢) انظر: اللسان مادة «نجم» (١٦/ ٤٧)، والمصباح المنير (٢/ ٢٦٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٩١٢).

بوساطة الوسائل المتقدمة التي هيأها الله تعالى لهم، ولا شكَّ أن ما يخفى علمه من ذلك أعظم، يقولُ الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[١]

ودراسة هذا العلم من حيثُ هو علم معرفة خصائص هذه الأجرام، وأبعادها، وحركاتها، ونحو ذلك؛ ليس هو موضوعنا، إنما الذي يعنينا من ذلك هو أنه أحد أنواع السِّحر وهو فيما ذكرنا النوعُ الثاني[٢]: سِحرُ الكلدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدرُ الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله إليهم إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ مُبطلاً مقالتهم ورادًا عليهم[٣]. وهؤلاء يعتقدون أن لهذه الكواكب إدراكات روحانية، إذا قوبلت بما يناسب روحانيتها من البخور واللباس، كانت مطيعة له تعمل له ما يريد[٤]، ولا شكَّ بأن هذا الاعتقاد باطلٌ، وشركٌ من فاعله، وهو المنحى الذي يتوارثه السحرة الذين هم أقل من أن يعلموا ما بين أيديهم، فضلاً عما هو شاهق عنهم، ولكن تلك الأعمال التي يفعلونها من كيدِ الشياطين ومكرهم، ليضللوا بها الخلق، ويوحوا إليهم بأن هذه الأجرام العلوية تتصرَّفُ في العالم السُفلي، وأنها فاعلة لما يحدثُ فيه، وعلة تامة لذلك، وعليه يجب أن يُحمل المراد بقول الرسول ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من**

---

(١) سورة الإسراء.
(٢) انظر: (ص/ ٢٥، ٢٦).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٣/ ٢٠٦).
(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/ ٥٢ـ٥٤)، تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٥).

السحر» فيما رواه أبوداود بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد**»[١].

بمعنى أن هذا الاقتباس الذي يكون سحرًا، هو مايدعيه المنجمون، ولا يمكن حملِ الاقتباس على أنه إدراك علم صحيح، عن أحوال النجوم؛ لأن معرفة صفاتها التي خلقها الله تعالى عليها، وخصائصها التي هيأها لها، ليست هي ما يعتقده السحرة فيها؛ من كونها مؤثرة، وعلة تامة تستلزم معلولها، بل الباطل المحذور هو ما يدعيه أولئك، من الباطل الدَّاعي إلى عبادة غير الله تعالى، أمَّا هي فبعض مخلوقات الله العليم الحكيم الذي لم يخلق شيئًا عبثًا، خلق العالم ورتبه، فهو يسيرُ بنظامٍ محكمٍ دقيق وفق ما أراد، ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ﴾، رُتبت فيه الأسباب، ورُبطت بمسبباتها، وخالقُ الكل هو الله تعالى. يقول الإمام ابن تيمية: «... كلُّ سبب له شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم يصرف عنه ضده لم يحصل سببه، فالمطر وحده لا يُنبت النبات، إلاَّ بما ينظم إليه من الهواء والتراب، وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة. فلا يتم المطلوب إلاَّ بوجود المقتضي، وعدم المانع، وكلُّ سبب معين، فإنما

---

(١) سنن أبي داود كتاب الطب باب في النجوم (٤/ ١٥، ١٦)، سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب تعلم النجوم (٢/ ١٢٢٨). وانظر: المسند للإمام أحمد (١/ ٣١١). وإسناد الحديث صحيح كما قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٠٠، ٤٠١)، فتح المجيد (ص/ ٣٢٧).

هو جزء من المقتضي فليس في الوجود شيءٌ واحدٌ هو مقتضيًا، وإن سُمي مقتضيًا، وسُمى سائرُ ما يعينه شروطًا، فهذا نزاع لفظي، وإما أن يكون في المخلوقات علَّة تامة تستلزم معلولها فهذا باطل»(١).

وفي حساب النجوم استدلالٌ على أوقات من العام، وكل وقت له خصائص بما يصاحبه من الظواهر الكونية، وفيها مايكون أسبابًا تناسبُ أشياء: من النبت، والزرع، والحصد، ونحو ذلك، أو لا تكون مناسبة؛ لما أودع الله تعالى فيها: من حرارة، أو رطوبة، أو هواء، أو سكون مما هيأه العليم الحكيم في خلقه. ورصد ذلك وتعلمه ليس شيئًا محذورًا في ذاته، مالم يصاحبه إسناد تلك الآثار الحاصلة إلى غير الله تعالى، بل فيه فوائد كثيرة للناس في معاشهم، ومن يتحرون ذلك لا يجزمون بنتائجه، ورأيهم إنما هو اعتماد على تجارب تحصلُ غالبًا، وتتخلف أحيانًا، فهم يرونها أسبابًا عادية فقط، وأما إذا تغير الاعتقاد بإسناد الآثار إلى النجوم، أو وصل الأمر إلى ربط حركات المكلفين، وما يُقَدَّر لهم بها، فهذا هو السِّحر الذي يلزمه استجلاب روحانيتها، وتوقي شرها، والابتعاد عن مظانه، واعتقاد هذا كفر بيقين، ومتعاطيه لا يخلو من أمرين: إما أن يكون متعاملاً مع الشياطين، وإما أن يكون كذَّابًا متظاهرًا بهذه الصنعة، وبحسب حاله؛ يكون حكمه، كما سبق نحو هذا.

وقد ورد تحديد عن بعض السلف أن الله تعالى خلق النجوم لثلاث، وذلك في أثرٍ علَّقه البخاري قال: «باب في النجوم، وقال

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٧).

قتادة: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[١] خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف مالا علم له به»[٢].

قال الإمام ابن حجر في ابتداء كلامه على هذا الأثر: «وصله عبد ابن حميد من طريق شيبان عنه به، وزاد في آخره: وأن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من غرس بنجم كذا؛ كان كذا، ومن سافر بنجم كذا؛ كان كذا. ولعمري ما من النجوم نجم إلاَّ ويولد به الطويل والقصير، والأحمر والأبيض، والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم، وهذه الدابة، وهذا الطائر شيء من هذا الغيب»[٣].

وأقول: هذا الأثر الذي حددت به علة خلق النجوم بالأشياء الثلاثة التي جاء ذكرها في القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[٦].

في الآيات السابقة ذكر تلك الفوائد التي يستفيدها الإنسان من

---

(١) سورة الملك، الآية: ٥.
(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب بدء الخلق باب في النجوم (٤/ ١٣٠).
(٣) فتح الباري (٦/ ٢٩٥).
(٤) سورة الملك، الآية: ٥.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.
(٦) سورة النحل.

النجوم، ولم يأتِ التحديد والحصرُ بتلك الأمور، ونفي ماسواها، وما ذكر فوائد بارزة مدركة. كما يعلم منها أشياء من الحكم في خلقها وما وراء ذلك من الفوائد، أدركه الخلق، أو لم يدركوه،لا يعنيهم في شيء، كما قال تعالى جوابًا للسائلين عن الأهلة: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1]، فالذي يهمهم من ذلك هو ما ذكر، وليس لهم فائدة يطلبونها بما وراء ذلك، مع أن ما أوتيه الخلق من العلم لا يمكنهم من الإحاطة بكل شيء، فحواسهم محدودة لا يدركون بها إلاَّ ما يتمكنون معه من القيام بمحيط التكليف الذي خلقهم الله تعالى له، كلٌ بحسبه كما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2]، مع أن مما أوضحه لهم وباستطاعتهم فهمه وتيقنه، هو أن الله تعالى الخالقُ المطلق، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لاشريك له في ملكه، هوالنافعُ الضَّار، ليس لشيء من مخلوقاته تأثيرٌ مطلق، وليس شيء منها علَّة تامة لشيء آخر؛ يوجدُ معدومًا، أو يجلبُ نفعًا، أو يدفعُ ضرًا، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٢) سورة الملك، الآية: ٢.



المبحث الثالث
حل السحر عن المسحور (النشرة)

(النشر) بوزن النصر، الرائحة الطيبة، و(نشر) المتاع، وغيره بسطه، وبابه نصر و(نشر) الميت فهو (ناشر) عاش بعد الموت، وبابه دخل، ومنه يوم (النشور) و(أنشره) الله ـ تعالىٰ ـ أحياه.

و(النشرة) رقية يعالج بها المريض، ونحوه، وسُمِّيَت بذلك؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال[1].

ولما كان السحر داء يؤثر، فيمرض الأبدان، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه ـ كما سبق بيان هذا ـ اقتضىٰ أن يُسْعَىٰ في علاجه، ويؤخذ بالأسباب المؤدية إلى الشفاء؛ لأن الله ـ تعالى ـ جعل لكل داءٍ دواء، كما أرشد إلى هذا هادي الأمة ﷺ، وأمر بذلك، ومن الأحاديث الواردة في ذلك: ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«ما أنزل الله داء، إلاّ أنزل له شفاء»**[2].

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٠٨)، لسان العرب، مادة (نشر) (٧/ ٦٥)، مختار الصحاح (ص/ ٦٥٩)، القاموس (٢/ ١٤٢)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٢٩).

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلاّ أنزل له شفاء (٧/ ١٥٨). وانظر: سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلاّ أنزل له شفاء (٢/ ١١٣٨)، مسند الإمام أحمد (١/ ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٥٣، ٤/ ٣١٥، ٥/ ٣٧١).

ومنها: ما رواه الإمام مسلم بسنده عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لكل داءٍ دواء، فإذا أُصيب دواء الداء، برأ بإذن الله ـ عز وجل ـ**»[١].

ومنها: ما رواه الإمام الترمذي بسنده عن أسامة بن شريك قال: «قالت الأعراب: يارسول الله ألا نتداوى؟ قال: «**نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داءً إلَّا وضع له شفاء، أو قال دواء، إلَّا داءً واحدًا**» قالوا: يارسول الله وما هو؟ قال: «**الهرم**»[٢].

والأحادث في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا.

وعلى هذا فعلاج المسحور بالتماس الأدوية النافعة، والرقىٰ الشرعية، مشروعٌ، سواء كان بالحجامة، أو بتناول ما يصفه أهل المعرفة، مما هو نافع من الأدوية، وقد جاء في بعض روايات حديث سحر لبيد لرسول الله ﷺ عند البخاري قول أم المؤمنين عائشة ـ رضي

---

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي (٤/ ١٧٢٩)، وانظر: مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٣٥).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (٤/ ٣٨٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى (٤/ ٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلاَّ أنزل له شفاء (٢/ ١١٣٧)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨)، المستدرك للحاكم في كتاب العلم، باب أن الله ـ تعالى ـ لم يضع داء إلاَّ وضع له دواء (١/ ١٢١)، وقال: صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وكذلك في كتاب الطب، باب خير ما أعطي الإنسان خلق حسن (٤/ ٣٩٩)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الله عنها ـ. قالت: فقلت: أفلا؛ أي تنشرت؟ فقال: «**أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحدٍ من الناس شرًّا**»[١].

وهذا يدل على أن أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ تعلم أن السحر يُعالج بالنشرة، ولا يمكن أن تكون تجهل حالة النشرة؛ من الجواز وعدمه، كما لم ينكر عليها الرسول ﷺ ذلك القول، مما يدلُّ على كونه ليس منكرًا، وإنما أجابها بأن الله قد عافاه، فلا داعي لها حيث تمَّ الشفاء، كما أن عمل ذلك وسيلة إلى اشتهار الأمر، وحصول نتائج ضارة.

كما أن ماورد في أن سبب نزول المعوذتين، ما كان من سحر لبيد لرسول الله ﷺ، وأن التعوذ بهما مما يقي منه[٢]، وأيضًا حديث: «**من تصبَّح بسبع تمرات عجوة لم يضره سمٌّ ولا سحر**»[٣] وإذا كانت تلك الأمور؛ رقية، أو تناولاً، مما يقي من السحر، فهي مما ينفع علاجًا غالبًا

ذكر ابن القيم في ذكر هديه ﷺ في علاج هذا المرض نوعان: «أحدهما ـ وهو أبلغهما ـ استخراجه وتبطيله كما صح عنه ﷺ: «**أنه سأل ربه ـ سبحانه ـ في ذلك فدلَّ عليه، فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به، حتى**

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (٧/ ١٧٧، ١٧٨)، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان (٨/ ٢٢، ٢٣)، سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب (٧/ ١١٢، ١١٣)، مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٧، ٦/ ٦٣).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤١٦).

(٣) انظر: (ص/ ٧٨).

كأنما نَشِطَ من عِقَال»[١]. فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب. وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة، وقلعها من الجسد بالاستفراغ.

والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذىٰ السحر، فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة، وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضوٍ، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو نفع جدًّا.

وقد ذكر أبوعبيد[٢] في كتاب «غريب الحديث» له بإسنادٍ عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ: «**أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب**»[٣] قال أبوعبيد: «معنى (طب) أي سحر»[٤].

وقال ابن القيم ـ أيضًا ـ في علاج السحر: «ومن أنفع علاجات السحر، الأدوية الإلـٰهية، بل هي أدويته النافعة بالذات؛ فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات، التي تبطل فعلها وتأثيرها، وكلَّما كانت أقوىٰ وأشد كانت أبلغ في النشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحد منهما عُدَّته وسلاحه، فأيُّهما غلب الآخر، قهره وكان الحكم له، فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، مغمورًا بذكره، وله من التوجهات، والدعوات، والأذكار، والتعوذات وِرْدٌ لا يخلّ به يطابق فيه قلبه لسانه: كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).
(٢) هو القاسم بن سلاَّم.
(٣) انظر: غريب الحديث له (٢/ ٤٣)، تهذيب الآثار للطبري (٢/ ١٢٤).
(٤) الطب النبوي (ص/ ٩٩).

أعظم العلاجات له بعد ما يصيبه»[١].

ومما يذكر علاج للسحر: نوع من الخرز يسمىٰ السلوة، يحك في الماء ويشرب ماؤها[٢].

وذكر القرطبي من علاج السحر ما رُوي عن ابن بطَّالٍ قال: «وفي كتاب وهب بن منبه، أن يأخذ سبع ورقات من سدرٍ أخضر، فيدقُّه بين حجرين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ويغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به ـ إن شاء الله تعالى ـ، وهو جيِّدٌ للرجل إذا حُبِسَ عن أهله»[٣].

وذكر صاحب كتاب «تيسير العزيز الحميد» من النشرة الجائزة، أن يقرأ في إناءٍ فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور[٤]: قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٥].

وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾[٦].

---

(١) الطب النبوي (ص/ ١٠٠، ١٠١).
(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١/ ٦٣٢)، وذِكْرُ هذا؛ على أن في تلك المادة تأثيرًا بالخاصية، وهو علاج للأخلاط الرديئة الناتجة عن السحر.
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٩، ٥٠).
(٤) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٢٠).
(٥) سورة يونس.
(٦) سورة الأعراف.

وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[١].

وعلى هذا، ومثله يحمل ما رُوي من القول في جواز حل السحر عن المسحور، فقد أورد البخاري في صحيحه ـ تعليقًا ـ قوله: «وقال قتادة: قلتُ لسعيد بن المسيب: رجل به طب ـ أو يؤخذ عن امرأته ـ أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه»[٢].

وقد سُئِلَ الإمام أحمد عمَّن يطلق السحر عن المسحور، فقال: قد رخص فيه بعض الناس[٣]، وصرح بعض أتباعه بجواز حل السحر إذا كان بوساطة القرآن، والذكر، والأقسام، والكلام الذي لا بأس به، وعليه حملوا ما نُقل عن الإمام في الجواز[٤]، ومال الحافظ ابن حجر إلى جواز النشرة، فقال في شرح الصحيح: «قوله: (باب هل يستخرج السحر؟) كذا أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف، وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز إشارة إلى ترجيحه، قوله: (وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيب. . . إلخ) وصله أبوبكر الأثرم في «كتاب السنن» من طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة بلفظ: «ويلتمس من يداويه، فقال: إنما نهي عمَّا

---

(١) سورة طه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (٧/ ١٧٧).

(٣) انظر: الكافي (٤/ ١٦٦).

(٤) انظر: شرح منتهىٰ الإرادات (٣/ ٣٩٥)، فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤١٩).

يضر، ولم ينه عما ينفع» وأخرجه الطبري في التهذيب، من طريق زيد ابن زريع، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب؛ أنه كان لا يرىٰ بأسًا إذا كان بالرجل سحرٌ؛ أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح، قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلاَّ ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهىٰ الله عمَّا يضر، ولم ينه عمَّا ينفع»[1].

وساق ابن حجر بعد ذلك قول نصوح بن واصل: «... سألني حمَّاد بن شاكر: ما الحل، وما النشرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله، وأطاق ماسواها، فإن المبتلىٰ بذلك يأخذ حزمة قضبان، وفأسًا ذا قطارين، ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا ماحمي الفأس استخرجه من النار، وبال على حرِّه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى ـ، وأمَّا النُشرة؛ فإنه يجمع أيَّام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة، وورد البساتين، ثم يلقيها في إناءٍ نظيف، ويجعل فيها ماءً عذبًا، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا، ثم يمهل حتىٰ إذا فتر الماء أفاضه عليه؛ فإنه يبرأ ـ بإذن الله تعالى ـ[2].

وعلى هذا النوع، وما سبق ذكره، من الحلِّ والنشرة، يحمل قول المجيزين من السلف، لا ما كان معلومًا من النشرة التي عليها أهل الجاهلية، حيث إنها لا تكون إلاَّ من السحرة، وأمثالهم، وسبب ذلك

---

(١) فتح الباري (١٠/٢٣٣)، وانظر: تغليق التعليق على صحيح البخاري لابن حجر أيضًا (٥/٤٩، ٥٠)، وذكر إسناد ابن جرير وقال: صحيح. وذكر عن ابن عبدالبر في التمهيد طريقًا آخر صحيحًا.

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٤).

أن الإصابة بالسحر تكون خفية، وتحصل غالبًا بوساطة معين من الشياطين، فيصعب تحديد المرض، ومعرفة السحر من غيره، على من ليس ساحرًا، أو مستعينًا بالشياطين، لاشتباه الإصابة بالعين، بما يحصل بالسحر من الألم، وغير ذلك من الأمراض، فجاء التحذير من النُشرة، ليس لذات العلاج، وإنما لما يلجأ إليه من يصيبهم شيء منه، من الذهاب إلى السحرة، لاستكشاف ما بهم من مرض، وعلاجه؛ لأن كثيرًا منه يعالج بإتلاف السحر وحلّه، كالذي وضعه لبيد ـ لما سحر النبي ﷺ ـ في البئر، والأشياء المخفاة عن الأعين، قد لا تخفىٰ على الشياطين، فالاستعانة بهم للاهتداء إلى ما أخفاه السحرة، لا تحصل إلاَّ بما تتم به الاستعانة بهم في الأمور الأخرى السحرية، لهذا جاء التحذير من إتيان السحرة لحلّ السحر، وهو ما يُسمىٰ (النشرة) التي هي من عمل الشيطان.

روى الإمام أحمد بسنده عن جابر بن عبدالله قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن النُشرة؟ فقال: «**من عمل الشيطان**»[1] وهي ما تكون بوساطة الأفعال المحذورة، والأفعال السحرية، وقد تبرأ الإمام أحمد من فعل الذي يحل السحر من هذا الطريق، حين سئل عن الرجل يحل السحر، فقال: قد رخَّص فيه بعض الناس، قيل إنه يجعل في الطنجير ماء ويغيب فيه؟

(١) المسند (٣/ ٢٩٤)، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النشرة (٤/ ٦)، وحسن ابن حجر إسناده: عند أحمد وأبي داود؛ عن جابر. انظر: الفتح (١٠/ ٢٣٣)، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط، إلاَّ أنه قال: «ذكروا أنها من عمل الشيطان» ورجال البزار رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد (٥/ ١٠٥)، طبعة مؤسسة المعارفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

فنفض يده وقال: لا أدري ما هذا؟ قيل: أفتريٰ أن يؤتىٰ مثل هذا؟ قال: لا أدري ما هذا[١]؟. وهذا، وأمثاله هو ما يعمله السحرة، ولهم طرقٌ كثيرةٌ في ذلك ليست ذات أثرٍ معنويٍّ، ولا حسيٍّ على التحقيق، لكنها وسائل يكون بها التعاون مع الشياطين[٢]، أو هي أعمال دجلٍ ينال بها المشتغلون بالسحر مرادهم المادي، أو المعنوي، وقد يحصل منهم نوع تأثير حقيقة، أو توهمًا؛ نتيجة لتهيىء النفس والثقة بهم.

وأكبر دليلٍ على بطلان عمل السحرة حالهم، فمن عرف ما هم عليه من الجهل، وسوء القصد، لم يخامره الشك في فساد حالهم، ولو علم المترددون عليهم حقيقة أمرهم، وحرمة إتيانهم، لما راجت صناعتهم، ولتحول الشك في نفعهم إلى يقين بضررهم.

ولقد أُجري بحثٌ ميدانيٌّ على (١٣٩) شخصًا من المشتغلين بالسحر في مدينة القاهرة وعلى (٧٠٤) أشخاص من المترددين عليهم، ومن نتائج ذلك البحث ما يلي:

١ـ أن أكثر من (٩٣٪) من المشتغلين بالسحر، لا يتجاوز تعليمهم الثانوي.

٢ـ أن أهم الدوافع لهذا العمل؛ السعي وراء المال، والمركز، والمكانة، والهيبة.

---

(١) انظر: الكافي (٤/ ١٦٦).

(٢) انظر في أنواع ذلك: شمس المعارف (ص/ ٢٣٥ـ٢٥٠)، كتاب الرحمة في الطب والحكمة المنسوب للسيوطي (ص/ ١٦٠ـ١٦٢).

٣ـ أن أكثر من (٩٨٪) من المترددين على السحرة يعتقدون أن السحر معترفٌ به دينيًّا، والمروج لهذا الاعتقاد، هم المشتغلون به.
٤ـ أن أكثر من (٥٧٪) من المترددين على السحرة، لا يشعرون بفائدة من ترددهم[١].

وهذه الأعمال التي يقوم بها السحرة ـ والتي نقلنا بعض نتائجها ـ جعلت ضعاف العقول من الناس يستجيبون لدعواهم، ويُروِّجون لباطلهم، والحق أن جميع أعمالهم هي سلسلة ما كان عليه أهل الجاهلية، ممَّا جاء التحذير عنه ـ في الحديث السابق ـ بأنه من عمل الشيطان. قال صاحب «تيسير العزيز الحميد» في شرح حديث جابر: «الألف واللام في النشرة للعهد أي: النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها، هي من عمل الشيطان، لا النشرة بالرقىٰ والتعوذات الشرعية، والأدوية المباحة، فإن ذلك جائز»[٢].

كما يُحمل ما نقل عن الحسن البصري من القول: لا يحل السحر إلاَّ ساحر[٣] على النشرة التي كان عليها أهل الجاهلية، وهي ما تحصل بعون الشياطين، ولم يكن يعملها في الجاهلية إلاَّ السحرة، ولم يكن ما يتنشر به في الإسلام من عمل الجاهلية؛ إذ إنه من هدي الإسلام، ويؤثر بقوة الإيمان، ولا يمكن حمل هذا الحصر المروي عن الحسن على

(١) انظر: السحر والمجتمع للدكتورة سامية الساعاتي (ص/ ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٢).
(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤١٧).
(٣) انظر: فتح الباري (١٠/ ٢٣٣)، تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤١٨، ٤١٩).

ظاهره، لما مرَّ من علاج السحر بالرقىٰ الشرعية، وبإتلاف مادته، وبأنواع أخرىٰ، تفيد بإذن الله؛ من غير أن تشتمل على محذور.

وقد سبق بيان حكم إتيان العرافين والكهان، والسحرة[1] للسؤال، أو الاستشفاء، لكون أولئك لم تحصل لهم المعرفة إلاَّ بالشرك، وآتيهم ارتكب معصية في مخالفته نهي الرسول ﷺ عن إتيانهم؛ لما يدعو إليه ذلك من تصديقهم، والتعلُّق بهم، مما قد يجر إلى الاعتقاد الباطل بهم، من أنهم يعلمون الغيب، أو يقدرون على ما لا يقدر عليه الخلق، مما يكفر به معتقده، والله أعلم.

---

(١) انظر: (ص/ ٢٠٠-٢٠٦).



المبحث الرابع
الواقع والحكم

لقد عرضت ـ فيما سبق ـ مباحث ذات علاقة بالسحر، وحاولت جاهدًا مع تأصيلها تقريبها ليحصل بها النفع ـ إن شاء الله تعالى ـ علىٰ نطاق أوسع.

وسأذكر في هذا المبحث الأخير أمورًا هي في نظري، أصول لأحكام كثير من الأمور، التي تم عرضها ومناقشتها، وبقدر ملاحظة ما سأشير إليه، هنا من أمور، يتضح ما قررته من أحكام، كما سأذكر نقدًا عامًّا حول ما يدعيه الفلاسفة، وأذنابهم من دعوىٰ الحكمة، فأقول وبالله أستعين.

أولًا ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

وممَّا قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: «قال علي بن أبي طالب عن ابن عباس قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمَّه فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدًا»[2].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن (٦/ ٥١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣).

ومما قال القرطبي في تفسيرها أيضًا: «أي رضيت إسلامكم الذي أنتم عليه اليوم، دينًا باقيًا بكماله، إلى آخر الأبد، لا أنسخ منه شيئًا»(١).

ثانيًا - روىٰ الإمام أحمد بسنده: «عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يارسول الله إن هذه لموعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا، قال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالك، ومن يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، عضوًا عليها بالنواجذ فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد**»(٢).

وروى أبوداود، وابن ماجه، وغيرهما، في خبر حجة الوداع، أن مما قاله رسول الله ﷺ حين خطب الناس في عرفة: «**وقد تركت فيكم ما لم تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله**»(٣).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٦٣).

(٢) المسند (٤/ ١٢٦)، وانظر: سنن ابن ماجه المقدمة (١/ ١٥، ١٦)، المستدرك للحاكم، كتاب العلم، باب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين (١/ ٩٦-٩٨) وقال: قد تابع ابن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية؛ ثلاثة من الثقات الأثبات من أئمة أهل الشام، وذكرهم. ثم قال: وقد صحَّ هذا الحديث والحمد لله، ولم يخالفه الذهبي.

(٣) انظر: سنن أبي داود كتاب المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ (٢/ ١٨٢، ١٨٦)، وسنن ابن ماجه كتاب المناسك باب حجة رسول الله ﷺ =

وروى الإمام مسلم بسنده عن سلمان قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة، فقال: «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع، أو بعظم»(١).

وفيما ذكرته من الأحاديث دلالة على أن كل أمر غير مستمد من كتاب الله ـ تعالى ـ أو من سنة رسوله ﷺ فهو ليس من الدين، واتخاذه ضلال، وخروج عن المنهج المستقيم، إن كان في الأخذ به أي نوع من أنواع العبادة، سواء كان في المعرفة والإثبات، أو كان في القصد والطلب، أو في أي نوع يقود إلى مخالفتهما، والابتعاد عنهما.

ثالثًا ـ روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»(٢).

= (٢/ ١٠٢٢ـ١٠٢٧)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٦)، كما رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (٢/ ٨٩٩)، ولفظه: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه». ولهذا الحديث شاهد صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رقم (١٧٦١).

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب الاستطابة (١/ ٢٢٣، ٢٢٤)، وانظر: سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة (١/ ٣)، سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة (١/ ٢٤)، سنن النسائي كتاب الطهارة، باب النهي عن الاكتفاء في الاستطابة بأقل من ثلاثة أحجار، وباب النهي عن الاستنجاء باليمين (١/ ٣٨، ٣٩، ٤٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة (١/ ١١٥).

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد =

وروى مسلم ـ أيضًا ـ بسنده عن جابر بن عبدالله، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتىٰ كأنه منذر جيش، يقول صبحكم ومساكم، ويقول: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» ويقرن بين إصبعيه ـ السبابة والوسطى ـ ويقول: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمَّد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة. .**» الحديث[1]. وغير هذين الحديثين في معناهما كثيرٌ جدًّا.

وفيهما، ونحوهما، دلالة على أن العبادة توقيفية، ليس لأحدٍ حق التشريع، ومن جاء بأمرٍ لم يأت به الرسول ﷺ، فهو مردود عليه، وضلالة تقود إلى النار.

رابعًا ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2].

= محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣، ١٣٤٤)، وانظر: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠)، مسند الإمام أحمد (٦/ ١٤٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠).

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢) وانظر: سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠١)، سنن ابن ماجه، المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل (١/ ١٥ـ١٧)، سنن النسائي، كتاب العيدين، باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨، ١٨٩)، سنن الدارمي، المقدمة، باب اتباع السنة، وباب في كراهية أخذ الرأي (١/ ٤٤، ٤٥، ٦٩)، مسند الإمام أحمد (٣/ ٣٧١، ٤/ ١٢٦، ١٢٧).

(٢) سورة الأحزاب.

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلَّا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[١].

وهناك آيات، وأحاديث غير ما ذكرته دالة على ختم النبوة، وختم النبوة بمحمد ﷺ وحفظ الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم المنزل عليه ﷺ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[٣] دليلٌ على استمرارية هذا الدين الذي اكتمل على يد النبي الخاتم ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وأن ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين هو ما ارتضاه الله لعباده إلى قيام الساعة، فما لم يأت به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فهو من البدع المحدثة التي هي من وحي الشياطين، واتباعها ضلالٌ مبين.

من أجل هذا: فإن ما يتعاطاه من يدَّعون الحكمة، من الأمور التي يزعمون بها اكتشاف الأمور الغيبية، وبلوغ الغايات الدنيوية،

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (٤/٢٢٦)، صحيح الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٤/١٧٩١)، مسند الإمام أحمد ٢/٣٩٨، ٤١٢، ٣/٧٩، ٢٤٨، ٤/١٢٧، ١٢٨، ٥/٢٧٨.

(٢) سورة الحجر.

(٣) سورة فصلت.

والأخروية، ومعرفة الحقائق، والأسرار الكونية مما هو مركب في مفردات العالم، ومن دعوى اجتلاب روحانياتها، والإفادة من خصائصها، باتباع ما يصفونه من أعمال هي في حقيقتها صور ظاهرة لا تستند إلى يقين، لكنها أمور محسوسة يجتلب بها التعلق لصرف قصد الطالب إلى غير الله ـ تعالى ـ إذ هي أشكال مرسومة ذات رموز غير معلومة في الغالب، أو معلومة، كاستخدام بعض الآيات القرآنية، لكنها محرَّفة عما هي عليه؛ سواء في التقديم والتأخير، أو في قلب العبارات، أو إضافة أشياء إليها غير ظاهرة ولا معلومة، وإتْبَاعُ ذلك بالوصف التطبيقي، الذي هو في غالبه من المتعسر، ولا شك بأن كل ذلك من وحي الشياطين إلى أوليائهم كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[1]. ووحيهم إليهم ليس محددًا بنوع، أو بزمن، بل هو في كل باطلٍ، وإلى قيام الساعة.

وقد بلغ الشياطين مبلغهم مع اليهود فألَّهوا عزيرًا، ومع النصارى، فقالوا: عيسى ابن الله، وقالوا: إن الله ثالثُ ثلاثة، وسلكوا طرقًا مع المسلمين لصدهم عن الدين الحق، كما عملوا مع من سبقهم من الأمم، فامتطوا أصحاب الطرق لبلوغ أغراضهم في إفساد عقائد الناس، فلبَّسوا عليهم في أنواعٍ من الشرك، كالتعلق بغير الله، والتلقي من غيره، والخروج بعبادة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته إلى استعمالها

---

(١) سورة الأنعام.

في طرقٍ ملتوية مشوبة بالباطل، فلم تكن الأسماء مقصودة، إنما مروجًا، ووسيلة لقبول ما يدْعون إليه من الباطل الذي أدخلوه معها، إما بألفاظ غير معلومة، أو بأشكال مرسومة يحصل بها التعلق، ولشكلها وهيئتها يكون التوجه، والرغبة، فيتخلخل الإيمان بالله علاَّم الغيوب، حيث يدب إلى النفوس من وحي الشياطين؛ بأن ما يحصل من أثرٍ، هو من خواص تلك الأسماء مرتبط بوضعها المرسوم، وهيئتها المفتعلة التي صورها المبلغون عنهم، فتحصل عبادة الشياطين وطاعتهم؛ لأن جانب الإخلاص في الطلب، من الأمور التي لا يسأل عنها المتبعون لتلك الأعمال في الغالب، وهي تهدف إلى شدة تعلُّق الناس بمتعاطيها وتخفيف تعلقهم بالله ـ تعالى ـ وإشعارهم بأن ما يحصل من تأثيرات أعمالهم أمر طَبَعِيٌّ لها، ليس نتيجة لكمال الربوبية من سماع الله ـ تعالى ـ الدعاء، وقبول الالتجاء؛ لأن المبلغين عن الشياطين، والناطقين بلسانهم، لا يفرقون عندما يصفون مؤثرًا من أعمالهم بين متمسك بالدين، ومتهاون به، ولا بين قوي الإيمان، وضعيفه، ولا بين متبع ومبتدع، فأثر أعمالهم التي أظهروها بصورة حروز ذكرت فيها أسماء الله ـ تعالى ـ وغيره، وأدعية خصوها زمنًا، وعددًا حتمية ـ بزعمهم ـ لماوصفوها له، مع ما فيها من أشياء غير معلومة، يوهمون بأنها من أسرار الحكمة، والحقيقة أنها من أسرار الغواية التي ينهجونها، وأكبر الأدلة على بطلانها؛ بعدها عن منهج التشريع، وجريانها على أيدي الآخذين بمنهج تعبدي غير مشروع، مع زعمهم أن ما هم عليه حـــقٌّ،

وأن ما يقولون، هو الطريق السوي، الموصل إلى الجنة، وأن ما يأتون به لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ـ يقول البوني[(١)] في خاتمة كتابه «شمس المعارف» مخبرًا عن هذا الكتاب: «فإنه نعم الرفيق، ونعم الأنيس الشفيق، ونعم الجليس الصديق، لأهل الطريقة والحقيقة، ونعم السلاح للمجاهدة، ونعم الرماح للمشاهدة، حتى إني مانطقت عن الهوى، بل هي نار اقتبستها من أيمن وادي السعادة، أشعلته من وادي طور النور على أغصان شجرة الحضور.. واعلم أن كتابي هذا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾[(٢)] فما وجدته فيه فاعلم أن الأمر فيه كما وجدته، وبالله أقسم: لا ألقيه لك إلاَّ ظاهرًا، ولا أدعك فيه متفكرًا»[(٣)]، وأعاد مثل هذا في خاتمة كتابه أيضًا «منبع أصول الحكمة»[(٤)].

وقد أثبت بحثٌ ميدانيٌّ أجري على (١٣٩) شخصًا من المشتغلين بالسحر في مدينة القاهرة أن نسبة (٨١,٩٢٪) منهم يدَّعُون أنهم يعملون

---

(١) هو أحمد بن علي بن يوسف، أبوالعباس، البوني، متصوف مغربي الأصل، له مصنفات عديدة، جلها في الضلالات، منها: «شمس المعارف»، «اللمعة النورانية»، «السلك الزاهر» وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (٦٢٢هـ). انظر: كشف الظنون (٢/ ١٠٦٢)، هدية العارفين (٥/ ٩٠،٩١)، الأعلام (١/ ١٧٤).

(٢) سورة الرعد، آية: ١١.

(٣) (٤/ ٥٣٤) من الكتاب المشار إليه.

(٤) انظر: (ص/ ٣٢٥) من الكتاب المشار إليه.

بإذن الله ـ تعالى ـ وأن عملهم بوحي من الله ـ تعالى ـ وأن الله قد ميَّزهم بموهبة معينة، أو بسرٍّ معين عن غيرهم من البشر[(١)].

ومع هذا البهتان العظيم الذي يعتقدونه، فكتبهم مليئة بما يخالف الشريعة الإسلامية، كالحلف بغير الله ـ تعالى ـ[(٢)]، وتعظيم من ليسوا على دين صحيح كأرسطوطاليس[(٣)]، ثم هم لا يدركون معنى التكليف، والابتلاء من الله ـ تعالى ـ لخلقه؛ لأن مؤدى أقوالهم، وأعمالهم إسناد كل ما يجري إلى أسباب يرونها موجبة لما يحدث. يقول البوني: «يا معشر الإخوان: ضمنوا الحكمة النفس الحية، ونزهوها من الصحف، والقراطيس، ولا تضمنوا ما يفتقر إلى غيره، بل اضمنوا ما الغير مفتقر إليه، فأولى الفنون بالتضمن فن البسط والتكسير، إذ عليه أعمال الكون أجمعه، ومنه الطلاسم الدائمة إلى يوم البعث والنشور، والتأثير الذي لا ينكر، والسر الذي لا يجحد..»[(٤)].

ومن اطَّلع ولو على فهرس كتاب من كتب هؤلاء القوم، أدرك أنهم يرون أن كل حادث في الكون من خصائص ما ذكروه، ونتيجة طبعية لما وصفوه من علم الحرف، والأوقات المختارة للأعمال، والطبائع الأربعة، والكواكب، وطبائعها، ومعادنها، وحروفها، وأفلاكها، وأعوانها، وخدمها، وعلم الكسر، والبسط، وكيفية

---

(١) انظر: السحر والمجتمع، للدكتورة سامية الساعاتي (ص/ ٢٥٦).
(٢) انظر: منبع أصول الحكمة (ص/ ٣١٣).
(٣) انظر: منبع أصول الحكمة (ص/ ١٥، ١٧، ٢٠) وغيرها كثير.
(٤) منبع أصول الحكمة (ص/ ٥).

استخدام الأفلاك العلوية، والأرواح السفلية، وغير هذا من مذابهم، وشروطهم. وهذا، ونحوه، مؤداه إبعاد البشر عن التعلُّق بالله ـ تعالى ـ وإخلاص العبادة له، لاعتقادهم أن ما ينال من أسرار تلك الأسماء، إذا علم وباشره المتعلق بما يناسبه حصل له أثره، وكأنَّ الأمر حتميٌّ، لا ارتباط له بالخالق المتصرف الذي يعطي ويمنع، ويقبل ويرد، وما قرره الشارع الحكيم من طلب الإخلاص في العبادة، والتضرع، والخيفة في الدعاء، مع ما أرشد إليه من سلوك مسببات إجابة الدعاء؛ من إطابة المطعم، والمشرب، ونحو ذلك، يرد ما ذكروه، ويبطل ما وصفوه، وأن اللبيب حتى وإن قلَّ علمه بالشرع، ليعلم تمام العلم؛ أن ما يذكره هؤلاء بعيد عن الصواب؛ لاختلاف الأحداث، وتباين الظواهر الكونية في كل الأعوام، ولو كان الأمر كما يذكر أولئك؛ لحصل التشابه بين الحوادث، أو كان ما يحصل متقاربًا في جميع الأعوام، وعلى مر العصور والأيام. فالحق ما أخبر الله ـ تعالى ـ عنه بقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(١).

وممَّا يدل على آثار المعاصي السيئة على الناس، وكونها سببًا فيما يحصل لهم من ضرر، وما يحجب عنهم من نفع، ما يقع نتيجة لأفعال العباد، وهي أسباب غير ثابتة. روى الحافظ ابن ماجه بسنده عن عبدالله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتُلِيتُم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن**:

---

(١) سورة الأنبياء.

لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتىٰ يعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلَّا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلَّا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلَّا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم.

وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا ممَّا أنزل الله إلَّا جعل الله بأسهم بينهم»[(١)].

والحديث فيه دلالة صريحه على إثبات آثار الأعمال البشرية في حصول أنواع الأمراض، والفقر، ووقوع الظلم، وقلة المطر، وحصول الفتن، ومثل هذه الأمور لا يصفها مُدّعو الحكمة، ومستنطقو نسب الحروف، والبروج، والمنازل، ونحو ذلك؛ لأن أعمالهم التي يدعون بها معرفة الأمور الغائبة، لا علاقة لها بالأعمال، إنما ارتباطها بالأسماء، والطوالع، والحروف، وغير ذلك من الأمور الباطلة.

وهناك أمور كثيرة تردّ على مزاعم أولئك في تأثير الكواكب منها:

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (٢/ ١٣٣٢، ١٣٣٣)، وانظر: الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول (٢/ ٤٦٠)، والمستدرك للحاكم (٤/ ٥٤٠، ٥٤١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني رقم (١٠٦).

أولاً ـ أن آلاف الناس يولدون في دقيقة واحدة ـ وبالإمكان عمل دراسة على المواليد من واقع سجلات المستشفيات الكبرى في قطر من العالم، أو أكثر من قطر ـ وسيجد المتتبع الفروق التي تكذب ما يدعيه المنجمون، وواقع البشر نتيجة ظاهرة يدركها كل واحد.

ثانيًا ـ ما يرىٰ من آثار التربية على البشر في دينهم وصفاتهم كلها، مع أنهم جميعًا، ولدوا على الفطرة، كما قال الرسول ﷺ.

روىٰ البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلَّا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء، حتىٰ تكونوا أنتم تجدعونها. قالوا: يارسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»**[1].

والحديث دليل على أن جميع البشر يولدون على الفطرة (الدين

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب القدر، باب علم الله بما كانوا عاملين (٨/ ١٥٣)، وانظر في الصحيح أيضاً: كتاب الجنائز، باب هل إذا أسلم الصبي فمات هل يصلىٰ عليه (٢/ ١١٨)، باب ما قيل في أولاد المشركين (٢/ ١٢٥)، وكتاب التفسير، تفسير سورة الروم (٦/ ١٤٣)، صحيح الإمام مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٢٠٤٧، ٢٠٤٨)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٤٤٧)، موطأ الإمام مالك، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز (١/ ٢٤١)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٣٣)، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٩٣، ٤١٠، ٤٨١، ٣/ ٤٣٥، ٤/ ٢٤).

الصحيح) وأن ما يحصل من فساد وتغير سلوك خارج عنها، بسبب أثر التربية من الوالدين، والمعلمين، والمجتمع، وعلى هذا فلا أثر لوقت الولادة ـ من الطوالع، أو أحرف الاسم، أو غير ذلك ـ في سَيْرِ حياة الإنسان.

ثالثاً ـ حكم الرسول ﷺ بكفر من نسب المطر إلى الأنواء.

روى البخاري بسنده عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلَّى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربكم»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب، وأمَّا من قال بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»**[١].

الحديث دليل على بطلان أثر الكواكب في نزول المطر، حيث

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (١/ ٢١٤)، وانظر من الصحيح نفسه: كتاب الاستسقاء، باب وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (٢/ ٤١)، وانظر: كتاب المغازي أيضًا، باب غزوة الحديبية (٥/ ١٥٥)، وصحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (١/ ٨٣، ٨٤)، سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في النجوم (٤/ ١٥، ١٦)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الواقعة (٥/ ٤٠١)، سنن النسائي، كتاب الاستسقاء، باب كراهية الاستمطار بالكواكب (٣/ ١٦٥)، موطأ الإمام مالك، كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار بالنجوم (١/ ١٩٢)، مسند الإمام أحمد (١/ ٨٩، ١٠٨، ١٣١، ٢/ ٤١٥، ٤٥٥، ٥٢٥، ٣/ ٤٢٩، ٤/ ١١٧).

بين الرسول ﷺ أن من نسب ذلك إليها فهو كافر، ومن أضافه إلى الله ـ تعالى ـ ذي الفضل والرحمة؛ فهو المؤمن به ـ تعالى ـ.

رابعًا ـ لو كان فيما يدعي أولئك السحرة من المعرفة شيئًا ذا قيمة لنالوا كل الخيرات، ولم تصبهم السيئات، لكن حالهم أكبر دليل على بطلان مقالهم.

ومن تدبر ما يذكره مدعو الحكمة، في كيفية استخدام الملائكة، واستخدام الجن، وكأن الملائكة والجن، بعد تلك الأعمال الموصوفة؛ أصبحوا جندًا لهذا المستخدم، ومعلوم أن الملائكة عباد الله، لا يعصون الله ما أمرهم، فهل ذلك التسخير من أمر الله ـ تعالى ـ ليؤديه ملائكة الله ـ تعالى ـ لو كان ذلك؛ لأرشد إليه أنبياء الله، ورسله، ولبينه لنا رسولنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذي لم يترك شيئًا إلاَّ جعل لنا منه علمًا، واستخدمه هو ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، وأصحابه رضوان الله عليهم، وقد كانوا في أمس الحاجة إلى مثل ما يصفه هؤلاء؛ في غزوهم، وتنقلهم، وجميع شئون حياتهم، حيث كانت وسائل الانتقال؛ الدواب في غالب الأحوال، ولما لم يحصل ذلك مع إمكانه، وشدة الحاجة إليه، دلَّ على بطلانه.

واستخدام الجن بهذه الطريقة الاستعبادية لم تكن لأحدٍ إلاَّ لنبي الله ـ تعالى ـ سليمان ـ عليه السلام ـ كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن طلبه ـ عليه السلام ـ، وما جعل الله ـ تعالى ـ له: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ

أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾[(١)].

وذكر المفسرون أن نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ طلب من الله ـ تعالى ـ هذا الطلب ليكون خصوصية له ـ عليه السلام ـ يستدل بها على محله، ومنزلته عند الله ـ تعالى ـ وأن الله ـ تعالى ـ أجابه بما ذكره ـ سبحانه ـ من تسخير الريح تجري بأمره، ومن السيطرة على الشياطين خصوصية لا تكون لأحدٍ بعده، لا في حياته، ولا بعد مماته[(٢)].

وقد اعْتُمِد في هذا المعنى على ما صح عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من القول بأن لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، ومن كون دعوة أخيه سليمان ـ عليه السلام ـ منعته من ربط الشيطان الذي تفلّت عليه.

روى مسلم بسنده عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوة مستجابة فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة ـ إن شاء الله ـ من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئًا**»[(٣)].

---

(١) سورة ص.

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٦٥٠، ١٦٥١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ٢٠٤، ٢٠٥)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٦١).

(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوته الشفاعة لأمته (١/ ١٨٩)، وفي الباب أحاديث كثيرة في هذا المعنى (١/ ١٨٨ـ١٩٠).
وانظر: صحيح الإمام البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة (٨/ ٨٢، ٨٣)، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلاَّ بالله (٥/ ٥٨٠)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢/ ١٤٤٠)، سنن الدارمي، كتاب الرقاق، باب لكل نبي دعوة (٢/ ٣٢٨)، =

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: **«إن عفريتًا من الجن تفلَّت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه علىٰ سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[١] فرددته خاسئًا»**[٢].

فإن قيل: أليس من الممكن الاستعانة بالمؤمنين من الجن، بما يستطيعونه من الأمور التي يطَّلعون عليها، أو تبلغهم نتيجة خفَّتهم، وسهولة تنقلهم، وكونهم مؤمنين يجعل الجانب المحذور في الاستعانة بالشياطين منتفيًا، وهو خصوصية نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ بالتسخير والسيطرة؛ لأن المؤمنين منهم لا يسمون شياطينًا، كما أن استخدام مؤمنيهم يبعد احتمال طلبهم ممن يخدمونه مقابل خدمته؛ صرف شيء من أنواع العبادة لهم، أو الخروج عن هدي الدين؛ لأنهم

= موطأ الإمام مالك، كتاب القرآن، باب ما جاء في الدعاء (١/ ٢١٢)، مسند الإمام أحمد (١/ ٢٨١، ٢٩٥، ٢/ ٢٧٥، ٣١٣، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٨٦، ٤٨٧، ٣/ ١٣٤، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٩٢، ٣٨٤، ٣٩٦).

(١) سورة ص، آية: ٣٥.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾ (٤/ ١٩٧)، وانظر من الصحيح: كتاب التفسير، تفسير سورة (ص) (٦/ ١٥٥، ١٥٦)، سنن النسائي، كتاب السهو، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة (٣/ ١٣)، دلائل النبوة للبيهقي (٧/ ٩٧)، مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٩٨، ٣/ ٨٣).

أهل دين.

قلنا: إن المؤمنين من الجن كالمؤمنين من الإنس، من حيث إنهم مأمونوا الجانب، فلا يدعون إلى غير عبادة الله ـ تعالى ـ ولا يكونون عونًا على الظلم والعدوان، وحصول الخير منهم غير مستنكر، بل هو مأمول، وعونهم لإخوانهم من الإنس ممكن، وقد يحصل من غير أن يراهم الإنس، أو يشعروا بمساعدتهم حسيًّا بحسب قدرتهم، كما يعين الإنس بعضهم بعضًا، وكثيرًا ما يعدم التعاون بين الإنس مع اتحاد جنسهم، فعدمه حال اختلاف الجنس أقرب وأحرى، لكن أن تحصل السيطرة، والتسخير؛ من الإنسي للجني، فهذا أمرٌ ليس ممكنًا؛ للاختلاف في الخلقة من حيث إن الإنسي لا يرى الجن، ومن ثم لا يستطيع السيطرة، والتحكم، وهذا الأمر ليس من متطلبات النفوس، فلا أحد تميل نفسه إلى أن يسخر ويكون عبدًا، إلاَّ بالقوة والقهر، وعليه فلن يرضىٰ هذا الأمر أحدٌ رغبة له.

ويحصل من الشياطين نتيجة سيطرة بعضهم على بعض، فيكون المُسَخَّر للإنسي من الجن مستذلاً من قبل أمثاله؛ من ذوي السيطرة من الشياطين، وذلك مقابل تحقيق الإنسي لذلك المسيطر من الشياطين ما يريد منه؛ من الكفر، والفسوق، والعصيان، والخروج على هدي الدين، فيكون المستعبَد في الحقيقة الإنسي للشيطان.

وأمَّا الجن فهم وإن آمنوا بالرسل، فهم جنس مختلف، وهم مُكلَّفون كالإنس، وتكليف كل في إطار جنسه، والخروج عنه مخالف

لطبعه، ولمَّا لم يحصل التعاون المنظم بين هذين الجنسين في فترة التشريع؛ دلَّ على أن حصوله بعد تمام الدين ليس مشروعًا، وما حصل لنبي الله ـ تعالى ـ سليمان ـ عليه السلام ـ كان من الله ـ تعالى ـ القادر على كل شيء؛ تسخيرًا خارجًا عن الطبع، للاختلاف بين المعشرين في الطباع والخلقة ـ موهبة من الله ـ تعالى ـ جوابًا لسؤاله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فكان هذا منه. وهو له خصوصية. والله ـ تعالى ـ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

تم بحمد الله تعالى الفراغ من تأليف هذا الكتاب
ظهر يوم الثلاثاء الموافق للعشرين من شهر
شوال من عام ألف وأربعمائة وسبعة من
الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى
آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين

فهـرس الفهـارس

١ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة

٣ـ فهرس الأبيات الشعرية

٤ ـ فهرس الفرق والملل والمذاهب

٥ ـ فهرس الأعلام

الاسم | الصفحة

حرف الألف

الاسم	الصفحة

حرف الباء

الاسم	الصفحة

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

الاسم	الصفحة

الاسم الصفحة

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٦ـ فهرس المراجع

ـ القرآن الكريم.

الآمدي (سيف الدين)

ـ غاية المرام في علم الكلام.

تحقيق: حسن محمود عبداللطيف.

القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م

ـ أبحاث التمور بقسم الكيمياء بكلية العلوم التطبيقية بجامعة أم القرىٰ سنة ١٤٠٧هـ.

الأُبي (أبوأشرف الدين صاعد البريدي)

ـ الحدود والحقائق في شرح الألفاظ المصطلحة بين المتكلمين والإمامية.

تحقيق: د. حسن محفوظ.

مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٧٠م.

ابن أبي الحديد

ـ شرح نهج البلاغة.

دار الأندلس ـ بيروت.

ابن أبي العز الحنفي (علي بن علي الدمشقي)

ـ شرح العقيدة الطحاوية.

تحقيق: بشير محمد عيون.

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ بيروت.

الناشر: مكتبة دار البيان.

الأدهمي (عبدالقادر الحسيني)

ـ رسالة ميزان العدل من مقاصد أحكام الرمل.

ضمن شمس المعارف ـ طبع المكتبة الثقافية بيروت ـ لبنان.

الإسفرائيني (أبوالمظفر)

ـ التبصير في الدين.

تحقيق: كمال يوسف الحوت.

الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ عالم الكتب.

الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.

تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ـ مكتبة النهضة الحديثة.

الألباني (محمد ناصر الدين)

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة.

المكتب الإسلامي.

الألوري (آدم عبدالله)

ـ الإسلام وتقاليد الجاهلية.

مطبعة المدني ـ القاهرة.

امرؤ القيس

ـ ديوانه.

تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر.

البخاري (محمد بن إسماعيل)

ـ التاريخ الكبير.

دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.

ـ صحيح البخاري.

دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

ابن بسام (عبدالله بن عبدالرحمن)

علماء نجد خلال ستة قرون.

مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة.

ابن بشكوال (خلف بن عبدالملك)

ـ كتاب الصلة.

الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

البغدادي (أحمد بن علي الخطيب)

ـ تاريخ بغداد.

المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

البغدادي (إسماعيل باشا)

ـ هدية العارفين ـ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين.

المطبعة البهية ـ استانبول ـ سنة ١٩٥٥م.
أعادت طبعه مكتبة المثنىٰ ـ بيروت.

البغدادي (عبدالقاهر بن طاهر)

ـ الفرق بين الفرق.
تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.
نشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر.
مطبعة المدني.

البغدادي (موفق الدين عبداللطيف)

ـ الطب من الكتاب والسنة.
تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي.
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

البهوتي (منصور بن يونس بن إدريس)

ـ شرح منتهىٰ الإرادات
عالم الكتب، بيروت ـ توزيع الباز.

البوني (أبوالعباس أحمد بن علي)

ـ الأصول والضوابط المحكمة.
ضمن مجموعة أربع رسائل للمؤلف باسم «منبع أصول الحكمة».
ـ بغية المشتاق ـ ضمن المجموع «منبع أصول الحكمة».
ـ شمس المعارف الكبرى.
المكتبة الثقافية بيروت ـ لبنان.

البيضاوي
ـ تفسير البيضاوي مع الحاشية المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي.
دار صادر ـ بيروت.
البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي)
ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال الشريعة.
توثيق وتخريج: د. عبدالمعطي قلعجي.
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
البيهقي (ظهير الدين)
ـ تاريخ حكماء الإسلام.
تحقيق: محمد كرد علي، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٥هـ.
الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة)
ـ الجامع الصحيح ـ وهو سنن الترمذي.
تحقيق: أحمد محمد شاكر.
دار إحياء التراث العربي.
التهانوي (محمد علي الفاروقي)
ـ كشاف اصطلاحات الفنون.
تحقيق: لطفي عبدالبديع ـ مراجعة: أمين الخولي.
مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٢هـ.
ابن تيمية (أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم)
ـ الرسالة التدمرية (مجمل اعتقاد السلف).

تحقيق: زهير الشاويش.
الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ المكتب الإسلامي.
ـ درء تعارض العقل والنقل.
تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ طبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ـ وساعده ابنه محمد، الطبعة التي أشرفت عليها رئاسة الحرمين الشريفين.
ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية بهامشه بيان موافقة صريح المعقول للمؤلف.
دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.
ـ كتاب النبوات.
مكتبة الرياض الحديثة.
الجرجاني (السيد الشريف علي بن محمد بن علي)
التعريفات.
الدار التونسية للنشر ١٩٧١م.
الجصاص (أبوبكر أحمد بن علي الرازي)
أحكام القرآن.
تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

دار إحياء التراث ١٤٠٥هـ، بيروت ـ لبنان.
ابن جلجل (سليمان بن حسان الأندلسي)
ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ بذيله تاريخ الأطباء والفلاسفة
تحقيق: فؤاد سيد.
مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
جمعة محمد لطفي
ـ تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب.
توزيع دار الباز.
ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي)
غريب الحديث
توثيق وتعليق: عبدالمعطي قلعجي.
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
الجويني (إمام الحرمين)
ـ كتاب الإرشاد
تحقيق: د. محمد يوسف موسى ـ علي عبدالمنعم عبدالحميد.
مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ ـ الناشر: مكتبة الخانجي.
حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله)
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد.

الحاكم (الإمام الحافظ أبي عبدالله)
ـ المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي.
محمد أمين دمج، بيروت ـ لبنان.
ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
ـ تغليق التعليق على صحيح البخاري.
دراسة وتحقيق: د. سعيد عبدالرحمن القزقي.
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، دار عمار.
ـ تقريب التهذيب.
قدم له دراسة: محمد عوامة.
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ دار الرشيد، سوريا ـ حلب.
ـ غريب الحديث.
نشر: دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
ـ فتح الباري.
ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، تصحيح: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر.
ـ لسان الميزان.
منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ، بيروت، لبنان.
ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر ـ في مصطلح أهل الأثر.
بتعليقات: إسحاق عزوز.

المكتبة العلمية.
الحربي (أبوإسحاق إبراهيم بن إسحاق)
ـ غريب الحديث.
تحقيق: د. سليمان العايد.
الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.
ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الظاهري)
ـ الأصول والفروع.
تحقيق: د. محمد عاطف العراقي ـ د. سهير فضل الله أبووافية د. إبراهيم هلال.
الطبعة الأولى ١٩٧٨م ـ مطبعة حسان بمصر.
ـ الدرة في الاعتقاد.
مخطوط ضمن مجموعة رسائل لابن حزم في مكتبة شهيد علي باستانبول رقم ٢٧٠٤ ـ وهي تحت الطبع.
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل.
تحقيق: د. إبراهيم نصر ـ د. عبدالرحمن عميرة.
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ مكتبة عكاظ.
ـ المحلى.
طبعة جديدة بإشراف: زيدان أبوالمكارم حسن.
الناشر: مكتبة الجمهورية ـ دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧هـ.

الحكمي (حافظ بن أحمد)

ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

ابن حمدان (الشيخ سليمان)

الدر النضيد على أبواب التوحيد.

الطبعة الأولى، المطبعة السلفية.

ابن حنبل (الإمام أحمد)

ـ مسند الإمام أحمد، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.

المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ دار صادر ـ بيروت.

ابن حيان (محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي)

ـ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط.

الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الخرشي

ـ الخرشي على مختصر سيدي خليل ـ بهامشه حاشية الشيخ علي العدوي

دار صادر ـ بيروت.

الخطابي (أبوسليمان: حمد بن محمد)

ـ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري.

تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، مطبوع على

الاستنسل.
ـ غريب الحديث.
تحقيق: عبدالكريم العزباوي.
الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ابن خلدون (عبدالرحمن)
ـ مقدمة العلامة ابن خلدون (الجزء الأول من كتاب العبر).
الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ـ توزيع: دار الباز ـ مكة المكرمة.

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر)
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
تحقيق: الدكتور: إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت.

الخولي (حلمي)
ـ مقال بعنوان: لماذا كان الإفطار على التمر.
في مجلة المجتمع الأمني ـ العدد التاسع رمضان سنة ١٤٠٧هـ.

الدارمي (عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل)
ـ سنن الدارمي.
نشر: دار الفكر.

أبوداود (سليمان بن الأشعث)
سنن أبي داود
راجعه: محمد محيي الدين عبدالحميد.

نشرته: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان.
ابن درباس (أبوالقاسم عبدالملك بن عيسىٰ)
ـ رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري.
ضمن الأربعين في دلائل النبوة للهروي
تحقيق: د. علي ناصر فقيهي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
الذهبي (شمس الدين محمد)
ـ سير أعلام النبلاء.
تحقيق: شعيب الأرنؤوط وجماعة.
الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، مؤسسة الرسالة.
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال.
تحقيق: علي محمد البجاوي.
الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ، دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
الرازي (محمد بن أبي بكر عبدالقادر)
ـ مختار الصحاح.
الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
الرازي (محمد بن عمر)
ـ التفسير الكبير.
الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران.
الراغب الأصفهاني (أبوالقاسم الحسين بن محمد)
ـ المفردات في غريب القرآن.

تحقيق: محمد سيد كيلاني.
دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.
الزركلي (خير الدين)
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.
الطبعة الرابعة ١٩٧٩م، ـ دار العلم، بيروت ـ لبنان.
الزمخشري (محمود بن عمر)
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل المذيل بالانتصاف، وحاشية المرزوقي ومشاهد الإنصاف.
دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، توزيع: دار الباز.
الساعاتي (سامية حسن)
ـ السحر والمجتمع، دراسة نظرية وبحث ميداني.
الطبعة الثانية ١٩٨٣م، دار النهضة العربي ـ بيروت، لبنان.
سزكين (فؤاد)
تاريخ التراث العربي
تعريف: محمود فهمي حجازي، مراجعة: د. عرفة مصطفى ود. سعيد عبدالرحيم، طبع جامعة الإمام ١٤٠٣هـ.
السجستاني (أبوحاتم)
ـ كتاب النخل.
تحقيق: د. إبراهيم السامرائي

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، دار اللواء، مؤسسة الرسالة.

السرخسي (شمس الدين)

- المبسوط.

الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت، لبنان.

السفاريني (محمد بن أحمد بن سالم)

- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية

الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - منشورات مؤسسة الخافقين - دمشق.

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن)

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي

تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف - دار الفكر.

- الرحمة في الطب والحكمة

المكتبة الثقافية - بيروت، لبنان

الشنقيطي (محمد الأمين)

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

طبع على نفقة الأمير أحمد بن عبدالعزيز ١٤٠٣هـ.

أبوشهبة (محمد محمد)

- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين

مطبعة الأزهر.

الشهرستاني (محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد)

ـ الملل والنحل

تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧هـ.

ـ نهاية الإقدام في علم الكلام.

حرره وصححه: الفرد خيوم.

الشوكاني (محمد بن علي)

ـ إرشاد الفحول

مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٦هـ.

ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار

دار الجيل ـ بيروت، لبنان ١٩٧٣م.

الصغَّاني (الحسن بن محمد بن الحسن)

ـ ذيل كتاب الأضداد.

دار المشرق ـ بيروت، لبنان.

الضبي (أحمد بن يحيى بن عميرة)

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.

دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

الطبري (محمد بن جرير)

ـ تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار.

تحقيق: د. ناصر الرشيد، عبدالقيوم عبد رب النبي.
مطابع دار الصفا ١٤٠٢هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن - بهامشه غريب القرآن للنيسابوري.
دار المعرفة، بيروت - لبنان.
الطوسي (أبونصر السراج)
- اللمع
تحقيق: د. عبدالحليم محمود، طه عبدالباقي.
مطبعة السعادة ١٣٨٠هـ.
ابن عابدين (محمد أمين)
- حاشية ردالمختار على الدر المختار.
الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ، مصطفى البابي.
ابن عاشور (محمد الطاهر)
- تفسير التحرير والتنوير.
الدار التونسية ١٩٨٤م
ابن عبدالوهاب (سليمان بن عبدالله بن محمد)
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد.
الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - المكتب الإسلامي.
ابن عبدالوهاب (عبدالرحمن بن حسن)
- فتح المجيد.
تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط.

الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ـ مكتبة دار البيان.

عبدالجبار بن أحمد

ـ تنزيه القرآن عن المطاعن.

الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ـ دار النهضة الحديثة، بيروت ـ لبنان

ـ متشابه القرآن.

تحقيق: د. عدنان محمد زرزور.

دار التراث، القاهرة ـ دار النصر للطباعة.

ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل.

تحقيق: د. محمد مصطفى حلمي، د. أبوالوفاء الغنيمي.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

ابن العربي (أبوبكر محمد بن عبدالله)

ـ أحكام القرآن

تحقيق: علي البجاوي.

دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.

عرفان عبدالحميد

ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية.

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة.

ابن عساكر الدمشقي

ـ تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري.

عنى بنشره: القدسي ١٣٩٩هـ، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.

ابن العماد الحنبلي (عبدالرحمن)
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان.
عياض بن موسى بن عياض
ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ
دار الفكر.
الغزالي (أبوحامد : محمد بن محمد)
ـ الاقتصاد في الاعتقاد.
تحقيق: محمد مصطفي أبوالعلا.
مكتبة الجندي.
الفراء (أبوزكريا : يحيى بن زياد)
ـ معاني القرآن.
عالم الكتب بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب)
ـ القاموس المحيط.
مؤسسة الحلبي وشركاه ـ القاهرة.
الفيومي (أحمد بن محمد بن علي المقري)
ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي.
تصحيح: مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي وأولاده.

ابن قتيبة (أبومحمد : عبدالله بن مسلم)
- تأويل مختلف الحديث.
تصحيح: محمد زهري النجار.
دار الجيل ١٣٩٣هـ.
- تأويل مشكل القرآن.
الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ، المكتبة العلمية.
ابن قدامة (موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد)
- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل.
تحقيق: زهير الشاويش.
الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي.
القرطبي (محمد بن أحمد الأنصاري)
- الجامع لأحكام القرآن.
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٣هـ.
القنوجي (أبوالطيب : صديق بن حسن بن علي)
- أبجد العلوم، لوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم.
وضع فهارسه: عبدالجبار زكار.
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد - دمشق ١٩٧٨م.
- الروضة الندية، شرح الدرر البهية.
تحقيق: الشيخ عبدالله الأنصاري.
طبع على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر.

القيسي (مروان إبراهيم)
ـ التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية.
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، شركة المطابع النموذجية.
ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر)
ـ بدائع الفوائد.
طبعة دار الطباعة المنيرية ـ بيروت، لبنان.
ـ التفسير القيم.
جمع: محمد أويس الندوي.
تحقيق: محمد حامد الفقي.
لجنة التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
ـ الطب النبوي.
مراجعة عبدالغني عبدالخالق.
علق عليه وخرَّج أحاديثه: د. عادل الأزهري، ومحمود فرج العقدة.
دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
ـ الكتاب المقدس.
دار الكتاب المقدس ـ القاهرة.
الكتاني (محمد بن جعفر)
ـ الرسالة المستطرفة.
الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية.

ابن كثير (أبوالفداء)
ـ البداية والنهاية.
الطبعة الثانية ١٩٧٧م، مكتبة المعارف، بيروت.
ـ تفسير القرآن العظيم.
تحقيق: عبدالعزيز غنيم، محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا.
الشعب.
الكوهجي (عبدالله بن الشيخ حسن)
ـ زاد المحتاج بشرح المنهاج
عناية عبدالله بن إبراهيم الأنصاري.
الطبعة الأولى ـ على نفقة الشئون الدينية بدولة قطر.
الكيا الهراسي (عماد الدين بن محمد الهراسي)
ـ أحكام القرآن.
الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان.
لبيد بن ربيعة العامري
ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري.
تحقيق: د. إحسان عباس.
طبعة ١٩٦٢م، الإرشاد والأنباء في الكويت ـ التراث العربي.
الماتريدي (أبومنصور : محمد بن محمد)
ـ كتاب التوحيد.
تحقيق وتقديم: د. فتح الله خليف.

دار الجامعات المصرية.
ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني)
- سنن ابن ماجه.
تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
مالك بن أنس
- الموطأ.
تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي.
دار إحياء التراث العربي.
مجمع اللغة العربية
- المعجم الوسيط.
قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ورفاقه
أشرف على طبعه: عبدالسلام هارون.
محمد عطية سالم
- مقدمة كتاب رحلة الحج للشنقيطي.
- تكملة أضواء البيان للشنقيطي.
المرتضى (أبوعبدالله: محمد)
- إيثار الحق على الخلق.
دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- البرهان القاطع في إثبات الصانع.

القاهرة ١٣٤٩هـ، المطبعة السلفية.
ابن مسافر (عدي الأموي)
ـ اعتقاد أهل السنة والجماعة.
تحقيق: محمد علي إلياس العدواني وإبراهيم النعمة.
الجمهورية العراقية ـ إحياء التراث الإسلامي ١٣٩٥هـ.
مسلم بن الحجاج القشيري
ـ صحيح مسلم.
تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
دار إحياء التراث العربي.
الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ.
المطَرِزي (أبوالفتح : ناصر بن عبدالسيد)
ـ كتاب المغرب في ترتيب المعرب.
دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان.
ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)
ـ لسان العرب.
طبعة مصورة عن طبعة بولاق.
مطابع كوستاتسوماس وشركاه.
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.
ـ الموسوعة العربية الميسرة.
دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

إشراف: محمد شفيق غربال.

ابن الموصلي (محمد)

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

تصحيح: زكريا علي يوسف.

مطبعة الإمام بمصر.

ابن النديم

ـ الفهرست.

دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

النسائي

ـ سنن النسائي.

بشرح جلال الدين السيوطي ـ وحاشية السندي.

فهرسة: عبدالفتاح أبوغدة.

الطبعة الأولى المفهرسة ١٤٠٦هـ.

النووي

ـ صحيح مسلم بشرح النووي.

الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ، دار الفكر ـ بيروت.

الهراس (محمد خليل)

ـ دعوة التوحيد.

الناشر: مكتبة الصحابة، طنطا.

الهروي (أبوعبيد:القاسم بن سلام)

ـ غريب الحديث.

الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ـ أعيد تصويرها ١٣٩٦هـ.

مطبعة مجلس دائرة المعارف ـ بحيدر آباد ـ الدكن.

الهيثمي (علي بن أبي بكر)

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر.

مكتبة القدس ـ القاهرة ١٣٥٢هـ.

الواحدي (علي بن أحمد)

ـ أسباب النزول.

دار الكتب العلمية ـ ١٣٩٥هـ، بيروت ـ لبنان.

وجدي (محمد فريد)

دائرة معارف القرن العشرين.

دار المعرفة ـ بيروت، لبنان.

ونسنك

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

رتَّبه ونظَّمه لفيف من المستشرقين

مكتبة برل في مدينة ليدن ١٩٣٦م.

ياقوت الحموي

ـ معجم البُلدان

دار صادر، بيروت.

أبويعلى (محمد بن الحسين بن خلف الحنبلي)

- كتاب المعتمد في أصول الدين
- تحقيق: د. وديع زيدان حداد

دار المشرق - بيروت، لبنان.

- طبقات الحنابلة.

دار المعرفة - بيروت، لبنان.

٧ ـ فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الصف التصويري والإخراج **الفرقان**
مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام مقابل مكتبة ابن زيدون ت: ٥٥٦٤٨٦٠
الرياض: ت ٤٠٤٣٧٣٢ فاكس ٤٠٤٣٧٨٧

